



روایات غنادہ



ماتیلدا سالمون

حیّی الذی یموت



دار العلم للجمع

شعوب - لبنان

غداة

حبي الذي يموت

ماتيلدا سامون

رسالة مصيرية كتبها ناتالي شالسي البالغة من العمر سبعة عشر عاماً لم تصل إلى المرسل إليه وكان هذا السبب الذي دفعها للرحيل عن بلدة طفولتها وحياتها والغرق في تحضم حياة جديدة بعيدة ومشوحلة هي وفلذة كبدها الذي يريد الجميع منها التخلص منه وإجهاضه وهو بعد جنين.

لكن ابنها هذا كان ابن حب حياتها والذي لم تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال سنوات رحيلها والتي امتدت لثمانية أعوام كاملة. لكن روبرت متشابثون عاد ووجدها الآن ووجد ابنه الذي هو صورة مصغرة عنه، فهل ستركها تتابع حياتها التي نجحت بإنائها بعيداً عن أشلي وأهلها؟ هل ستصدق هي أن روبرت لم يستلم رسالتها تلك وأنه لم يكن يعرف شيئاً عن جنينه الذي كان ينمو بأحشائها؟

القطار المتهادي على سكة الحديدية كان يسير بتواتر
رثيب يتناغم مع أفكار ناتالي التي أخذت تشعر بالتعب
والإرهاق من جراء الرحلة الطويلة هذه. تنفست
الصعداء حين وصل القطار أخيراً إلى «أشلي» محطة
الأنخيرة وتناولت ناتالي حقيبتها الصغيرة من الرف
المخصص للحقائب. لم تكن واثقة تماماً لماذا أنت أو
حتى ما هو شعورها اتجاه عممتها التي ربتها منذ كانت
ناتالي في السنة الأولى من عمرها وبعد مصرع والدتها
بحادثة سير مروع.

الاتصال الذي قامت به إلى «قصر النجمة»، حيث

يقطن آل ستابلتون. حيث تعمل عمته كمديرة منزل، كان مختصراً ومباشراً. ولحسن الحظ من رد على اتصالها كان شخصاً غريباً تماماً عرف عن نفسه بإسم طوني باركر رئيس الخدم.

حالما أعلنت نانالي عن هويتها كان طوني باركر أكثر من متحمس لإعطائها المعلومات التي تريد. عمته كما عرفت كانت في المستشفى في قسم العناية الفائقة.

«إنها مصابة بنوبة قلبية» أبلغها طوني باركر بلهجة أشلي المميزة التي أثارة الحنين العميق داخل نانالي وتابع:

«هي تتادي بإسمك طوال الوقت، سابرين المسكينة... حسناً، اعتقد أنه من الأفضل لو يشرح لك السيد روبرت كل شيء. إذا انتظرت على الخط لدقيقة واحدة فقط فسوف أناديه...»

«كلا» قاطعته نانالي فوراً ومجرد فكرة تحدثها مع روبرت عبر أسلاك الهاتف كادت ان تصيبها بالغثيان:

«ليس من الضروري إزعاج - السيد ستابلتون» قالت بسرعة معطية طوني تفاصيل وصولها قبل أن تتيح له الفرصة للإصرار على تكلمها مع روبرت ستابلتون.

«وهكذا فسأصل إلى المستشفى في الساعة الرابعة

ظهراً» أنهت نانالي حديثها بسرعة واعادت السماعه إلى مكانها وهي ترتعش بأكملها.

زيارتها لعمته التي هي بمثابة أم ثانية لها هو شيء - تعتبره مجرد واجب عليها! لكن ضرورة تحدثها مع الرجل الذي كان السبب المباشر لتركها لأشلي ولعائلتها ولعائلتها قبل ثمانية سنوات أثار الإنقباض داخل أعماها وجعلها تشعر بالآلم. أرادت تأجيل الرحلة إلى وقت آخر لكن إدراكها لرداءة الطقس والإمكانية احتجازها في أشلي في حال أخرت موعد الزيارة هذه لوقت آخر جعلها تقرر الذهاب على الفور.

«سأصل بك فور وصولي إلى الفندق» وعدت إنها جميعي إين الثمانية أعوام والذي هو كل حياتها وهي تعانقه بحب وتقيله للمرة الأخيرة قبل إنطلاقها بالرحلة إلى أشلي.

ظل جميعي و صديقته أماليا يلوحان لها من المحطة حتى غاب القطار تداً عن عيونهما.

لكن صورة جميعي ظلت مرسومة بعقلها بعد أن إبتعدت عن المحطة بمسافات. بجسده الطويل ووجهه المستدير وعيونه الرمادية الفاتحة وشعره الأسود الناعم والذي يشبه تماماً وجه وملامح روبرت ستابلتون والذي تذكره من سنوات مما أرسل قشعريرة ألم داخلها لما حدث فيما مضى بينهما. أعلن المتادي مغادرة القطار

فشدت ناتالي معطفها حول جسدها الرقيق وزورته بأصابع مرتعشة وأخذت نفساً عميقاً وألقت بنظرة سريعة على نفسها بمرآة الحمام. وجهها البرونزي المستدير كان ساحر التقاطيع يعيونها العسلية الواسعة ذات الرموش البنية الكثيفة، وأنفها الرقيق وشفاها الممتلئة. الغمازة على وجنتها كانت تزيد من جاذبيتها. شعرها البني الناعم والكثيف كان ينسدل حتى منتصف ظهرها وكانت ترفعه فوق رأسها بكعكة أنيقة.

نزلت من القطار بخفة كباقي المسافرين المتحمسين للوصول إلى وجهتهم وكان الرجال يركزون نظراتهم عليها وحين تقابلهم بالجمود والبرود الذي اعتادت عليه منذ سنوات كانوا يتابعوا تقدمهم. رغم رقتها ورشاقتها والأنوثة الطاغية التي تنبع منها إلا أن قوة شخصيتها كانت واضحة وظاهرة.

على كل حال، رؤية الرجل الواقف على المحطة لها أظهرت السكون والذهول على ملامحه الجذابة. لأن لا شيء يكل خيالاته طوال السنوات الثمانية الماضية حضرة لتحول ناتالي إلى كل هذا السحر والأنوثة والجاذبية، لطالما تساءل عن كيفية نضوج جمالها وسحرها. إلا أن أجمل تصوراتها لم تكن يمثل ما يراه الآن.

تصلب فكه وزم شففيه وهو يراقبها وهي تنزل من

القطار وتتشرب رويداً رويداً منه وخطواتها الرشيقة تتناغم مع ضربات قلبه التي أخذت تتسارع لأنها كانت تصيب وترأ حساساً بأعماق أعماق قلبه.

لم تكن تراه ورموشها الكثيفة تغطي عيونها العسلية وهي تنظر أمامها وكل شيء كان هناك، الجاذبية الحسية بمشيتها الرشيقة التي يعرفها جيداً. شكل وجهها الجذاب، شعرها الألامع المرفوع بأناقة والذي لم يسبق له وشاهد ناتالي القديمة بهذا الشكل، لكنه كان كالسابق بحاجة لحركة صغيرة واحدة لينسدل على أكتافها كالشلال.

أجمل، فكر بمرارة. الجمال والسحر قد أخذا التحديد النهائي عندها بشكل يتجاوز أقصى تخيلاته ويلبس مشاعر قديمة اعتقد أنها جفت وماتت منذ سنوات.

هذه كانت ناتالي بعد سنوات ثمانية.

وصلت إلى بوابة الخروج وامتدت يدها لتشير إلى سائق التاكسي بالتوقف فسارع بالإقتراب منها قاطعاً عليها الطريق.

«مرحباً ناتالي» حياها بهدوء.

تجمدت ناتالي لسماعها لصوته ينطق بتلك الطريقة العميقة وبذلك الصوت المحفور رغباً عنها بأعماقها. شيء ما تحرك بداخلها وحرك رماد مشاعر خبت نارها

منذ سنوات ورفعت عيونها لتلتقي بعيونه.
للحظة لم يكن بإمكانها التحرك أو النطق وعيونها
تظهر ذهولها الكامل لرؤيتها له هنا. بدا بارداً ومتباعداً
لكن محروساً برقة وهو يقف هنا أمامها ويحدق بها
بعيونه الرمادية الواسعة وكل ما إستطاعت أن تفكر به هو
قولها يسرها يا الهي! إنه نسخة ثانية من جيمي! شبيه
تماماً بإبنه!

- ٢ -

سنوات المرارة الطويلة تحولت إلى غصة إحتقار في
حلقها. ثمانية سنوات، فكرت وبالكاد بدا هو متأثراً
بمرور السنوات. جسده كان لا يزال رياضياً صلباً،
شعره الأسود الناعم لا يزال بنفس الشكل واللون. كان
لا يزال يرفع رأسه بنفس الطريقة المتعالية. لا يزال
يملك تلك الخاصية الرجولية المسيطرة والتي تزيد من
إثارته وجاذبيته.

وحتى الآن، ورغم كل ما إختبرته بين ذراعيه الغير
مهتمتين فقد شعرت بموج العاطفة يشدها إليه. وجهه
كان لا يزال على حاله، بكل خطواته القوية الجذابة -

لكن الصلابة الجديدة كانت هناك ومعها النضج الكامل الذي كونه سنوات ثمانية.

«مرحباً روبرت» تمكنت أخيراً من القول مضيقاً ببرود:

«لم أتوقع وجود أحد يانتظاري هنا».

التوى فمه بإستامة صغيرة قبل أن يعود إلى حاله الطبيعي ويقول:

«حين يعود السخي، ناتالي، فمن المعتاد فرش السجاد الأحمر له».

«وأنت تعتبر نفسك السجادة؟» ردت ببرود.

زادت حدة عيونه الرمادية ولحسن حفظها لربما مر أحد معارف روبرت من قربهم وحياء للحظات قبل أن يتابع طريقه. لحظات كانت كافية لإعادة السيطرة على أعصابه.

قال ببرود:

«هيا أعطني هذه الحقيقة» وقبل أن تتمكن من الاحتجاج تناول روبرت الحقيقة من جانبها وقال:

«سيارتي في الموقف العام وهي على مسافة قصيرة من هنا».

سار أمامها دون أن يلتفت إلى وراء.

راقبت ناتالي وهو يبتعد بعيون ثابتة لا ترمش. كلا، قالت بنفسها هو لم يتغير مقدار شجرة طوال السنوات.

لا زال نفس الرجل المتكبر المتعالي. يتدخل، يستلم زمام الأمور كأنه أرستقراطي متملك جاء لإصطحاب طفلة مشردة.

كان قد وصل إلى موقف السيارات حين غادرت هي بوابة المحطة، وكان يشق طريقه عبر صفوف السيارات بثقة وأنها ستبقيه كالكلب الوديع مما أثار غيظها وحققها... لا، تلك النظرة الأخيرة التي رماها بها قبل أن يستدير ويتجه إلى موقف السيارات أخبرتها أن العداء الهائل الذي تشعر به نحوه لا يقل حجماً عن العداء الذي يشعر هو نحوها به.

إنطلقت خلفه وكعب حذاءها يطرق الأرض المرصوفة بصوت رتيب. وحين وصلت إليه وجدت أنه قد وضع حقيبتها في المقعد الخلفي وفتح لها الباب الأمامي بجانب السائق.

إقترت من السيارة بحركة تحدي وهي تخبره بصمت أنه لا يحق له معاملتها بهذه الطريقة، كأنها... كأنها قطعة اثاث غير مرغوب بها لكنها ضرورية! هي لم تطلب منه لقاءها على المحطة! هي لم تطلب منه أي شيء - أبداً.

توقفت قرب الباب وأخذت تنشق هواء الشتاء البارد الرطب بإستمتاع. اعتقدت أنها قد نسيت رائحة وطعمة هذا الهواء، لكنها لم تفعل فلفحة الهواء المتعشة كانت

ذاتها وكذلك كمية الروائح المشبعة برائحة الأرض.

«سجمدن حتى الموت إذا بقيت تنشقن الهواء البارد لأكثر من هذا» قاطع صوته استماعها فتمت:

«آسف» ورمته بنظرة باردة متجاهلة بتعمد للنيرة المتقدمة بصوته. هذه كانت زيارتها الأولى لموطنها منذ ثماني سنوات. لقد رحلت بعيداً عن هذا المكان بسببه هو، وظلت بعيدة بسببه هو إذا اعتقد أنه سيفسد عليها لمحبة السعادة الأولى هذه فهو سيكون مخطئاً تماماً... دخلت السيارة وشدت المعطف حول ساقها وإبسمت برقة لنفسها حين أغلق هو الباب وإستدار ليأخذ مكانه خلف المقود.

«كيف هي أم... عمي؟» سأله براهتمام.

إنطلق روبرت بالسيارة وقال:

«إعتقدت أنك لن تسألني أبداً».

«المسألة كانت مسألة إعطائي الفرصة للسؤال» أشارت وهي ترميه بنظرة باردة. حتى بروفيله (نصف وجهه) كان يوحى بالثراء، بالإمتياز وبالتحضر والوسامة.

«إنها لا تزال تعاند القضاء». أعلمها بإختصار.

«أخبرني ما الذي حدث؟» سألت وهي تحدد بالزجاج أمامها حتى تتحاشى النظر إليه. كان يسكن

أفكارها بقوة، مبعداً إياها عن الأفكار الواجب عليها التفكير بها.

«لم تكن حالتها بخير منذ أشهر طويلة» أخبرها وعيونه مركزة على الطريق أمامه:

«وكنا مهتمين بمحاولة التخفيف عنها وتحسين حالتها. لكنك تذكيرين على ما أظن كيف هي طبيعتها...» إبتسامة صغيرة وحادة ظهرت على وجهه: «ظلت تصر أنها كانت بأتم صحة وعافية، صحيحة تماماً لمتابعة عملها والقيام به على أحسن وجه كما هي معتادة».

«بالطبع» تمتعت بسخرية.

آل ستابلتون كانوا دوماً بالمرتبة الأولى بالنسبة لعمتها. حتى قبل ابنة شقيقها اليتيمة الوحيدة...

«لأنها كانت تشعر أنها بهذه الطريقة تكون ذات فائدة» علق روبرت بحدة وهو يرميها بنظرة قاسية متابعاً:

«كان عندها القليل الآخر لتحيا من أجله، أليس كذلك؟»

«كلا» رد:

«لكنك عנית ذلك مع ان الله وحده يعرف ما هو الحق الذي تملكينه ويسمح لك بالانتقاد فيما أنت قد نسيت تماماً أن لك عمّة، هي بمثابة أم ثانية لك، لعمدة

ثمانى سنوات كاملة.

هذا صحيح، فكرت وهي تتجاهل هذه النقطة. لقد نسبت ذلك للضرورة وللضرورة فقط. كانت هذه هي طريقته الوحيدة للبقاء والصمود خلال سنوات التعاسة الأولى التي مرت بها بعد مغادرتها «لأشلي».

«لقد عانت من جلطة قلبية صغيرة» تابع روبرت بعد فترة صمت متوتر:

«لم يكن هذا أمراً خطيراً لكنها كانت تصعد السلالم حين أصابتها الجلطة فسقطت بالتالي عن الدرجات وكسرت ساقها. وهي تطالب برؤيتك منذ ذلك الحين بإصرار وبأس - فهي تريد إطلاعك على أمر ما - هذا ما تردده دوماً. ولهذا لم يكن أمامي من طريقة الاتصال بك سوى نشر ذلك الإعلان في الجرائد المحلية.»

«أجل» ردت وهي تتذكر الإعلان الذي كان السبب بعودتها إلى هنا:

«رسالة مستعجلة للآنسة ناتالي شالسي من قرية أشلي والتي تركتها منذ ثمانية سنوات. عمته بحالة صحية خطيرة نرجو الاتصال بهذا الرقم للضرورة القصوى.»

- «ومنذ... منذ متى وهي بهذه الحالة؟» سأله بقلق أخذ يتزايد داخلها.

«منذ شهرين ونصف تقريباً» قال:

«الجلطة القلبية منعت الأطباء من المعالجة السريعة

للساق المكسورة وهكذا فقد استغرقت معالجتها فترة أطول.»

«هل تعرف عمتي بمجيئي؟» سأله بصوت مبجوح. عمتها دون شك بحالة نفسية متردية من جراء عجزها الحالي! فلطالما كانت تذكر العجز وعدم الحركة وشعور عدم الإفادة كان يقتلها. لطالما كانت قوية، صحيحة الجسم وقادرة! عمتها لم يسبق لها وإن أصيبت حتى بالزكام.

«كلا» أجابها روبرت:

«وجدت أنه من الأفضل عدم دفعها لبناء الآمال. فقد خشيت من تغييرك لرأيك بالحلقة الأخيرة وامتناعك عن المجيء وتكبد العناء.»

«لا داعي لاستعمال السخريه روبرت» قالت بجفاف: «أعرف تماماً مما تعتقد عني دون حاجتك للسخريه لتوضيح ذلك.»

«ومن الواضح من لهجتك أنك لا تكثرئين لذلك.»

«هذا صحيح» ردت بوضوح:

«انت على حق تماماً، انا لا اكثرث مطلقاً لذلك. لقد حجزت غرفة لي في فندق الرايتز» قالت مغيرة الموضوع:

«... لكنني أفضل التوجه مباشرة إلى المستشفى أولاً إذا لم يكن عندك مانعاً.»

«لا ابدأ» تمتم:

«لكنك لن تنزلي بالفندق. ستعودين إلى القصر معي».

«مستحيل» قالت بشهقة ومجرد الفكرة ترعبها.
بوجود سامنتا هناك؟ بوجود والدته ووالده؟.

«كلا روبرت هذا مستحيل» أصرت بشدة:

«أفضل البقاء في الفندق. إنه أقرب إلى المستشفى
ولا نية لدي بأن أكون مصدر عدم ملائمة لك لأكثر من
هذا».

«لطالما كنت مصدر عدم ملائمة لي نائالي» علق بنبرة
غريبة:

«لقد قررت منذ سنوات أن تكون نائالي شالسي،
الأمر الغير ملائم الأساسي في حياتي».

- ٣ -

ابتسمت دون أن تتمكن من منع نفسها من ذلك
لطالما كان مرحه وتلاعبه بالكلام مصدر ضحكاتها.
«حسناً، لقد كان عندك فترة إستراحة لثمانى سنوات
كاملة!» علق بجهف.

«ومن قال هذا؟» رد بتحدى وتكهرب الجو داخل
السيارة. النبرة الحادة بكلماته والطريقة التي نظر بها
إليها أخبرتها أنه كان جدياً مئة بالمئة.

أهو ضميره؟ تساءلت، وابتسمت بمرارة لنفسها وهي
تبعد نظرها عنه. هي لا تزال تذكر الطريقة القاسية التي
طردتها بها والدته من القصر وهي تنقل لها رسالة

روبرت اللفة القاسية والتي أحلتها من وعوده ومزقت أعماق ناتالي.

«ها قد وصلنا» قال.

«جيد» قالت بيروود هائل جعله يدير وجهه إليها بدهوة:

«إذا لم يكن عندك مانعاً فسأدخل بمفردي» تابعت ونزلت من السيارة دون أن تلتفت نحوه.

دخلت المستشفى وانبعثت إلى أنفها رائحة الدواء المطهر وأخذت تشاهد الممرضات بأثوابهم البيضاء وقبعاتهم الصغيرة وهم يروحون ويجيشون بممرات المستشفى البيضاء.

توجهت إلى طاولة الاستعلامات وإبستمت للموظفة التي كانت خلف الطاولة.

«قسم العناية الفائقة لو سمحت» سألتها ناتالي بإبتمام.

«سيرافك أندرو إلى هناك آنسة...»

«شالسي - ناتالي شالسي» ردت ناتالي.

«أجل آنسة شالسي تفضلي الاذن بالدخول. هل انت قريبة لإحدى المرضى هناك؟»

«أجل... عمتي سابرين شالسي هناك».

«تفضلي آنسة» قالت الموظفة وناولتها الإذن بالدخول. سارت مع المدعو أندرو إلى المصعد ومنه

إلى ممرات طويلة كانت مشاعر ناتالي تتزايد بداخلها وهي تقترب أكثر فأكثر من مكان عمتها. مشاعر المرارة، الامتعاض المنبعثة من كبرياء أراد الالتصاق بالقواعد والأصول التي تركت آشلي لأجلها. بالإضافة لذلك فقد كان قلقها على عمتها يزداد. أشار لها أندرو إلى المكان وتركها وتابعت هي خطواتها مدركة أن روبرت كما يبدو قد عمل بكلماتها ولم يلحق بها.

تصلبت أسنانها وهي تخطو داخل قاعة العناية الفائقة حيث الصمت قاتل.

كان هناك طاولة إستعلام أخرى امامها وخلفها تجلس ممرضة. أجبرت نفسها على التقدم نحوها وهي تخطو بخفة وصمت.

ثم فجأة أخذت نبضات قلبها تتسارع والممرضة ترافقها إلى الغرفة وتجمدت ناتالي حين شاهدت خلف واجهة الزجاج الضخمة الجسد الصغير التحيل الذي كان مستلقياً بين الوسائد البيضاء وآلة جهاز المصل متصل بالنساعد المعروف. الوجه كان كثير التجاعيد والعيون مغمضة والفم متصلب وكان الحياة تسحب من الجسد المتهالك دارت الدنيا بها ولم تعد ترى بوضوح أمامها.

«ناتالي» جاءها الصوت المألوف العميق قبل أن تغيب عن الوعي بلحظات واحست بذراعين قويين يحملانها وراحت بتشوش عيونه الرمادية تحدق بها بقلق ثم لم تعد

تسرع بشي».

عادت للوعي بعد وقت ووجدت نفسها ممددة على سرير ابيض اللون. روبرت كان يجلس بجانبها ويديه يمكن ان يراها.

«كانت هذه صدمة لها» كان يقول للممرضة الواقعة قريباً وتقيس نبضها:

«لقد اكتشفت للتو ان عمتها التي ربيتها منذ الطفولة شديدة المرض فسارعت بالمجيء إلى هنا بأقصى سرعة. دخولها إلى الجو الدافئ هنا بعد البرودة القارسة في الخارج قد أصابها بالغثيان دون شك».

«أنا... أنا فقط لم أتوقع أن تكون حالتها بهذا السوء» همست ناتالي بإرهاق جاعلة عيون روبرت الواسعة تتركز عليها. بدا مرهقاً وشاحباً.

«أردت أن أحذرك، لكنك اندفعت بسرعة» قال بهدوء.

«عمتك نائمة الآن آنسة شالسي» قالت الممرضة بصوتها الرقيق:

«ولهذا فأمامك الوقت الكافي للاستراحة حتى يحين موعد استيقاظها. سأذهب واصنع لك القهوة - كيف تحبونها؟» عرضت الممرضة بإبتسام.

«ثقيلة وحلوة» رد روبرت ورمته بنظرة دهشة لأنه لا يزال يذكر كيف تحب قهوتها.

تحركت الممرضة بصمت مغادرة الغرفة وأغمضت عيونها بألم للذكرى ما شاهده منذ بعض الوقت وهمست:

«تبدو طاعنة بالسّن روبرت... طا... طاعنة وعجوز...».

«وماذا كنت تتوقعين بعد مرور ثماني سنوات؟» رد بحدة والغضب يلون نبرته ورمهاها بنظرة باردة قبل أن يتابع:

«إنها هنا بسببك أنت ناتالي، هي هنا لانك تركتها ورحلت دون أي كلمة وانت تعرفين أن لا أحد لها بهذا العالم غيرك وغيرنا! ولهذا فلا تتوقعي مني أن أشعر بالتعاطف معك لأن القدر قد أوقعك بشبابة أخيراً. نهض من مكانه وعيونه تزداد حدة وهو يحدث بها متابعاً:

«الوقت الوحيد الذي شعرت به انها فعلاً حية وتنبض بالحياة خلال السنوات الثمانية الماضية كان حين كانت تغرق نفسها بالعمل لدينا».

«لكن هذه كانت حالتها دوماً» ردة بحدة وهو تصلح من جلستها وتسرع بالدوار لذلك:

«مثلك وعائلتك كانت تأتي دوماً بالمرتبة الاولى لديها - ولا تحاول أن تنكر ذلك روبرت لأنك تعرف جيداً وأكثر من غيرك أن هذه هي الحقيقة».

الصمت المتوتر عاد ليطبق على الجو فلا الوقت ولا الزمان كانا مناسبين لهذه المجادلة. أبقت نانالي وجهها مركزاً على الأرض ونهض روبرت بتصلب من جانبيها وأخذ يخطو داخل الغرفة بصمت.

«تفضلني الشاي» جاءها صوت الممرضة الرقيق مجدداً والذي بدا كنسمة الهواء المنعشة وسط القبط: «هذا سيجعلك تشعرين بتحسن». وناولتها الكوب الحار:

«خذني وقتك باحتساء الشاي وستكون عمك قد إستيقظت بهذا الوقت».

«هي... ليست في غيبوبة أليس كذلك؟» سألت نانالي بخوف وإضطراب. «كلا والحمد لله» ردت الممرضة وهي تظمنها بإبتسام:

«إنها فقط نائمة. ونأمل ان الأسوأ قد مر. ساقها يتحسن والحمد لله قد زالت عنها نهائياً كل ما تحتاجه الآن، حتى تتحسن حالتها تماماً، هو رؤيتها لك. كانت شديدة الخوف والرهبة - من ان تسوء حالتها قبل ان تراك...».

سمعوا صوت جرس إستدعاء فاستأذنت الممرضة وتركت الغرفة متجهة الى الغرفة التي إنبعث منها صوت الجرس.

نظرت نانالي الى روبرت المتجه الملامح وسألته: «روبرت لماذا لم تحاول الاتصال بي حين كانت عمتي بأسوأ أحوالها الصحية؟»

لم ينظر اليها بل مشى نحو النافذة وأخذ ينظر إلى الخارج ويديه في جيوب بنطاله البيج و سترته الصوفية المشجرة تظهر صلابة وعرض صدره وكففيه. قال بعد فترة صمت:

«بصراحة لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً. كنت قد رحلت منذ ثمانية أعوام دون أن تبغني لنا بمجرد كلمة تخبرنا إذا كنت على قيد الحياة أو... لا. وتوصلت منذ فترة طويلة إلى الاستنتاج القائل انك لا تكثرين لأمر مطلق شخص في هذه القرية».

ما يقوله كان صحيحاً، إعترفت بصديق لنفسها هي لم تكن تكثرث سواء أبقوا على قيد الحياة أم لا. لكنها تكثرث وتهتم كثيراً الآن، أدركت ذلك وعيونها تتجه إلى صوب غرفة عمتها وشعور هائل بالقلق والتوتر يعتصر امعائها.

«فقط حين بدأت سابرين تسأل عنك أدركت أنها لم تتخلي يوماً عن أمل رؤيتك ثانية - يا لها من حمقاء مسكينة» رماها بواحدة من نظراته الباردة القاسية المريرة وتابع:

«يقولون أنه لا يوجد أي شيء أعظم وأكبر من حب

الوالدة».

أخفت نانالي عيونها برموشها الكثيفة وهي تفكر بالصبي الاسود الشعر الذي تركته برفقة صديقته بعيداً عن هنا وتمتعت:

«وما هو رأيك بعظمة ومدى حب والدي؟»

الحيرة الكاملة ظهرت على وجه روبرت من جراء سؤالها هذا ومن العراة العميقة التي لونت صوتها وهي تنطق بهذا السؤال. قطب جبينه للمحظات ثم قال:

«والدك كان رجلاً متباعداً وهادئاً أجلاً، لكن حتى أنت نانالي لا تستطيعي الإدعاء أنه لم يكن يحبك وأنه لم يرفعك بحنان حتى وفاته وأنت بسن الثالثة عشرة»

- ٤ -

إيسمت لسؤ فهمه الكامل لمعنى كلماتها ونهضت بإرتعاش وقالت:

«أنا مستعدة الآن لرؤية عمتي»

تردد روبرت وهو ينظر إليها بدهشة. لكن لاحظ قناع التباعد الذي وضعت على وجهها وهز رأسه بغموض وأمسك بذراعها بقوة ولم تحاول هي التخلص من قبضته لأنها كانت بحاجة لهذا الدعم في هذه اللحظة بالذات.

«إنها شديدة الضعف» حذرها بصوت خافت وهو يدخل وابها غرفة عمتها:

«وأخشى أن الجملطة قد أصابت نصف وجهها بشبه شلل. هي تنفوه بالكثير من الكلمات والتعابير وإذا استطعت سيكون من الأفضل لو تتظاهري بفهم كل ما نقوله دون أن تلجأى لطرح الأسئلة المستفسرة، لأن هذا سيشبب بإقلاقها وإزعاجها».

طأطأت برأسها متفهمة والغصة تكاد تدفع بالدموع إلى عينيها لرؤيتها مجدداً لجسد عمتها الصغير بين الوسائد والشراشف البيضاء. عمتها كانت لا تزال نائمة وشعرها البني الذي كانت تذكره نانالي جيداً قد تحول الآن إلى حالة بيضاء تحيط بالوجه النحيل الصغير. والدوائر الزرقاء كانت تحيط بالعيون الرمادية التي كانت فيما مضى تنبض بالحياة والاشعاع.

ابتعدت عن ذراع روبرت وإقتربت من السرير والدموع التي تشكلت داخل عيونها تمنعها من الرؤية بوضوح.

«عمتي!!» همست بصوت مبحوح وهي تمسك اليد لمعروفة بدفء.

تحركت الرموش وانشقت عن العيون الرمادية الغائرة التي التمعت بعدم تصديق حين ميزت بعد لحظات هوية المتأدى.

«نانا...» همست عمتها بعدم تصديق وإمتدت اليد الأخرى لتتحسس بإرتعاش وجه نانالي:

«آه نانالي... هل هذا أنت حقاً؟».

الدموع إندفعت على الوجه النحيل وتحركت العيون الغائرة نحو جهة روبرت وهمست سابرين:

«لقد وجدتها. لقد وجدت نانالي».

«أجل سابرين» أجابها برقة وإقترت بمسداً الوجه النحيل بحنان:

«لقد وجدتها».

«نانا...» وفشت سابرين عن نانالي والجوع داخل عيونها لرؤية نانالي اعتصر قلب الأخيرة:

«أه روبرت، أنظر لكم هي رائعة الجمال - ساحرة العيون...» وإمتدت يدها مجدداً إلى وجه نانالي فأمسكت نانالي بيد عمتها وشدت عليها بلهفة كأنها تريد أن تعوض عن الحرمان الذي عانته بعدم رؤيتها لها طوال سنوات ثمانية.

«لا زلت تمتلكين هذا الشعر العسلي الرائع... وهذه البشرة الساحرة...» وتقلت العيون عليها فيما نانالي لا تزال تستوعب مدى التدهور الذي تعرضت له صحة عمتها التي تابعت بصوتها الهامس المتعب:

«انت لا تبسمين... كنت دائمة الابتسام - دوماً وطوال الوقت - مهما كان ما...» ذبلت الكلمات وماتت وعادت الدموع الغزيرة لتغسل وجهها مجدداً.

«لا تبكي» توصلت نانالي بحرارة والدموع تهدد

بالإندفاع مجدداً من عيونها هي وأخذت تداعب وجه عمتها بحب.

«لم أعتقد أنك ستأتين» قالت عمتها من بين دموعها:

«لم أعتقد أنني سأراك مجدداً أبداً».

«حسناً، أنا هنا الآن» طمأنتها ناتالي:

«والآن كل ما عليك أن تفعله هو الإهتمام بصحتك والعودة إلى حالتك الطبيعية».

«أجل» قالت عمتها بتهند وجسدها يترأخى وهي تعيد رأسها إلى الوسائد وتغلق عيونها لحظات وانتظم تنفسها وهمس صوتها قائلاً:

«نانا... لا ترحلي، لا تذهبي بعيداً هلا فعلت؟».

«عندي الكثير... الكثير لأقوله لك... هناك مطالب... بدون اعتراضات... الحياة ثمينة جداً...

كنت أخشى...»

«هش» هدأتها ناتالي بهمس وهي تشعر بالقلق لعدم تسلسل ما تنفوه به عمتها وتابعت:

«توقفي عن القلق بهذا الشأن عمتي. لقد إنتهى كل شيء الآن».

فداع روبرت التي لامست كتف ناتالي أكدت لها ما كانت تراه - لقد إستغرقت عمتها بالنوم مجدداً وإنتهت الزيارة الأولى هذه.

«دعها تستريح الآن ناتالي» نصحتها روبرت برقة:

«هي لا تستطيع التحدث سوى لخمس دقائق فقط في كل زيارة. سنأتي لرؤيتها مجدداً غداً».

«روبرت...؟» همس صوت عمتها وجعلهما يحدقان مجدداً بالسري.

«أجل، أنا هنا سابين» أجابها برقة مقترباً منها.

إتسامة صغيرة لامست وجه العجوز وقالت:

«إعتني بنانا من أجلي حتى أغادر هذا المكان... عنتي بها كما كنت معتاداً دوماً...»

شيء قاسي اعتصر قلب ناتالي ونهضت من مكانها بعصبية وهي تبعد يده عن كتفها وقد عادت العجوة القديمة لتتحرك داخلها وقالت:

«أستطيع الإعتناء بنفسي جيداً، عمتي! لقد أصبحت ناضجة الآن أنذكرين؟»

«أجل» قال روبرت وهو يرمي ناتالي بنظرة تحذير:

«ستبقى ناتالي في قصري سابين، فلا داعي لك للشعور بالقلق عليها أبداً».

«احضرها لي مجدداً غداً» همس الصوت الخفيف.

«أجل سأفعل» قال بإبتسام.

ووجدت ناتالي نفسها تمتعض من نظيرة الحب والشكر التي ظهرت داخل عيون عمتها. طوال فترة حياتها هنا لا تذكر ناتالي ان عمتها قد رمتها بمثل تلك

النظرة. لكنها تذكرت ان عمته كانت دوماً ضعيفة إتجاه لطف روبرت وجاذبيته. وكذلك كانت هي بالنسبة لك، قال صوت صغير داخل عقلها متذكراً كل الحب والحنان الذي احاطتها عمتها به والتي كانت كام ثانية حقيقية لها.

«شكراً لك» تمتم روبرت وهو يسير قربها.

«على ماذا؟» سأله بنظرة امتعاض:

«انها عمتي أنا. وأعتقد أنه من الواجب علي انا أن أشكرك لتحمل عناء إيصالي إلى هنا».

«حسناً، من الجيد أنك قد لاحظت ذلك» رد بيروود.

شدت نانالي خطواتها سابقة إياه بالخروج من المصعد ورد قاسي يتلاعب على شفتها. حقيقة انها كانت ترعى بحب وإهتمام إبنه طوال الثماني سنوات الماضية كان شيئاً ترغب هي بإخباره عنه.

«نانالي...» قال ويده تمسك بذراعها فانتفضت بشدة وابتعدت عنه.

«لا تلمسني» قالت بقوة. وتراجع هو خطوة إلى الوراء من عمق الكرسي والنفور الذي رآه داخل عيونها اللامعة فيما هي تفكر بجيمي وحرمانه من حب الوالد وكل ما يتبع ذلك حين يكون روبرت ستايلتون بالذات هو ذلك الوالد وتابعت:

«فقط - لا - لا تلمسني» رددت مجدداً وهي ترتعش

من شدة المرارة التي اجتاحتها والتي لم تتمكن من إخفائها.

نزلا السلالم مغادرين المستشفى بصمت. لسعة البرودة كانت كبيرة في الخارج وقد ساعد نانالي هذا على تهدأت أعصابها والتخلص من بعض النار التي كانت تشعر بها داخلها. توقفت وأخذت نفساً عميقاً فيما روبرت يراقبها بدقة قبل أن يستدير ويقول:

«سأحضر السيارة. إنتظري هنا».

إنتظرت، كالكلب المطيع إنتظرت والهواء القارس يلسع بشرتها وأذنيها دون أن تشعر حتى بذلك. لحظات وظهرت سيارته وإنحنى ليفتح لها الباب فدخلت وجلست بصمت وبصمت ثبت هو حزام الامان حولها قبل ان ينطلق بالسيارة مجدداً.

«أحتاج للإتصال بالهاتف» قالت فجأة متذكراً وعدها لجيمي ومدركة أنه سيبدأ بالشعور بالقلق عليها.

«تستطيعين إستعمال الهاتف الموجود في القصر» قال روبرت:

«إنه يبعد ربع ساعة فقط من هنا».

«لا اريد البقاء في القصر» ذكرته بعناد:

«إذا رفضت أن تدعني أنزل بالفندق فستعمل حينها غرفتي بمنزلنا القديم».

«أخشى أنك لا تستطيعين فعل هذا أيضاً» قال وثقته

بكلماته تحرك الإنزعاج داخلها:
«منزلكم أصبح مهجوراً منذ فترة تتجاوز السنة
أشهر. وبوجود عمك بالمستشفى فقد إستغلينا الفرصة
واعادة تجديد المكان. إنه محتشد بالأشياء والصناديق
الآن».

«أذن سأنزل بفندق الرايتز» أصررت.
«ستنزلين بالقصر وتوقفي عن المجادلة» قال بحدة
وغضب مما جعلها ترتعش. رماها بنظرة كره باردة
وتابع:

- ٥ -

«عمك تتوقع هذا وسأبدو بمظهر بالغ السوء اذا لم
أحقق لها رغبتها هذه ولهذا فتوقفي عن الجدال وحاولي
على الأقل تقبل العرض بإمتنان».
«تقصد بعدم إهتمام متبادل اليس كذلك؟» قالت
باحتقار:

«إبنة مديرة المنزل الوضيعة تعرض امتنانها وشكرها
«بن ستابلتون العظيم».

«هذا لم يكن حتى مضحكاً ناتالي» رد عليها بجفاف:
«وهذا يعتبر إهانة للطريقة التي تربيته بها معنا
ناتالي. لاني لا اذكر ولا للحظة واحدة أنه قد سبق لك

وشعرت بأنك أقل رتبة مني أو من عائلتي من قبل أي شخص داخل القصر.

«وكيف حال والديك؟ ووالدتك بالذات؟» سأله وتفاعلت حين أبعد نظره عن الطريق امامه وحدق بها. «ألم تعرفي؟» سألها بدهشة حقيقية ثم اضاف بجفاف:

«بالطبع لن تعرفي وكيف لك ذلك وأنت قد قطعت كل صلة لك بأشلي واهلها منذ سنوات؟» اعاد نظره إلى الطريق امامه وقال:

«توفيت والدتي منذ خمسة سنوات ووالدي أصبح شبه مقعد ونصف مشلول وهو لا يغادر جناحه الخاص بالقصر منذ وفاة والدتي».

«انا - انا آسفة» قالت بتصلب وادركت أن روبرت شعر بتصلبها هذا بسبب القسوة التي ظهرت على خطوط وجهه وتابعت:

«أذن فقد أصبحت انت إمبراطور آل ستابلتون لا؟» لفظت الكلمات بطريقة توضح لها شعورها نحوه ونحو كل ما يمثلها.

كلماتها تركت الصمت المكهرب يسيطر بينهما حتى لحظة وصولهما إلى ساحة القصر. وكانت ناتالي مرتاحة لهذا الصمت، فهي لا ترغب بفتح أي خط من خطوط الإتصال مع روبرت ستابلتون مهما كانت مرارة هذا

الخط وقساوته. كان هو شبحاً من ماضيها، شبحاً ترفض هي بكل قواها ان يسكن حاضرها. ولهذا فقد ركزت إنتباهها على ما تراه في الخارج عبر نافذة السيارة طوال بقية الرحلة.

بعد ثماني سنوات، ثماني سنوات قضتهم بعيداً عن قرية ولادتها وطفولتها ترعرعها ومراهقتها. بعيداً عن كل شيء بهذا المكان. لكن يبدو أن شيئاً لم يتغير بهذا المكان، شيئاً لم يتغير سوى هي نفسها.

إرتعشت والسيارة تشق طريقها عبر الطرقات والأشجار وتذكرت آخر صيف قضته هنا بين هذه الربوع. والذي قضته بتقلبها بين ذراعي روبرت المحب والعاشق.

هي لا تزال تذكر الألم والغيرة التي كانت تشعر بها وهي تراقبه من نافذة غرفة نومها وهو يغادر بوابة القصر بكامل زينته وملابسه بطريقه لقضاء زيارة رسمية أو أخرى.

«سأذهب مكان والدي» كان يقول دون ان يلاحظ كم كانت كلماته هذه تحفر ألماً عميقاً داخلها لإدراكها أنها غير مقبولة لتظهر برفقته.

بهذه المناسبات كان يصطحب معه كارولين الجميلة. كارولين كانت أكثر من مقبولة ومناسبة للظهور برفقته. فهي كانت كارولين بوشيه سليلة العائلة الثرية

والارستقراطية الثانية في آشلي. والتي يتوقع الجميع زواجها من روبرت ستابلتون في يوم من الأيام.

هل جاء ذلك اليوم فعلاً وتحقق خلال السنوات الثماتية الماضية؟ تساءلت ناتالي. هي لم تسأله هذا السؤال مبعدة شبح الفتاة الأخرى عن خيالها وهي تركز على مرض عممتها ومعاناتها. شعرت فجأة بالجليد يعتربها ونقلت بصرها إلى يد روبرت الموجودة على المقود بإصابعه الطويلة الصلبة والتي تعرف هي ملمسهما جيداً.

ارتعشت ورأت أنه لا يرتدي خاتم زواج بيده اليسرى. لكن هذا لا يعني الكثير. فلطالما إحتقر روبرت الحلبي والمجوهرات.

حتى الساعة التي يرتديها والتي هي بالغة القيمة إلا أن حزام الساعة كان مصنوعاً من الجلد الفاخر وليس من الذهب.

كل شجاعته الموجهة اتجهت نحو كارولين التي أصبحت الآن دون شك السيدة ستابلتون صاحبة القصر. إنتهت من أفكارها على صوت روبرت الذي فتح لها باب السيارة يقول:

«تفضلني ناتالي إلى قصر النجمة».

نزلت ناتالي وتبعته بصمت وكم هائل من المشاعر يتناهبها لدخولها مجدداً إلى هذا المكان.

باب الخشب الضخم الذي فتحه روبرت كان على حاله وكما تتذكره تماماً وحين دخلت وجدت أن كل شيء كان تماماً بمكانه. حتى الرائحة المميزة للخشب الابنوسي الذي تتكون منه كل أبواب القصر كانت لا تزال هناك. وقفت ناتالي قليلاً ممتصة الصمت وتكتفيها متراخين تحت معطفها الثقيل وقد تلاشى قليلاً القناع المتناسك الذي كانت تتدرع به ليطهر خطوط الترتر والإرهاق العاطفي الذي كانت تخفيه.

ثم وببطء شدت جسدها ودفعت رقبته وأخذت نفساً مطولاً كأنها كانت على وشك الغرق. برقت عيونها ولمعت مجدداً بالحياة للهفة تكلمها مع الشخص الذي تحيا من أجله.

الشخص الذي وهبته الحياة ووهبها هو بوجوده الحياة والحب.

«روبرت» قالت له:

«أريد أن أجري الإتصال الهاتفي»

«بالطبع» قال وهو يضع حقيبتها على الأرض ويرن جرس الخدم ثم سار إلى غرفة مكتبه وقال:

«الهاتف هنا» وفتح لها الباب.

تبعته متمتعة شكرها وهي تمر من جانبته إلى الداخل. مجدداً الغرفة كانت على حالها بالمكتب

الخشبي الضخم الذي يتوسطها وبالكروسي الجلدي الكبير الذي كان خلف المكتب. الجدران كانت عبارة عن رفوف خشبية بديكور رائع وتحتوي كل أنواع الكتب والمجلدات العلمية. والمدفأة الضخمة على الجدار الثالث كانت مضادة والنار بداخلها تهب النور والحرارة وهي تقترب منها بصمت وتسمع صوت الباب يفلق خلفها بهدوء وصوت عطلوات روبرت تبتعد خارج الباب.

أدارت بصرها حول الغرفة وتنهدت بعمق قبل أن تتجه إلى جهاز الهاتف وتخلع المعطف السميك وتضعه على الكروسي بجانبها ثم تدير الرقم الذي تعرفه جيداً والذي سيصلها بأهم شخص في حياتها.

«مرحباً ماما» قال جيمي فوراً دون أن يعطبها حتى فرصة لقول «ألو» وابتسمت ناتالي للمرة الأولى بهذا النهار المرهق وتابع جيمي:

«لقد عرفت أنك أنت المتكلمة! لماذا استغرقت كل هذا الوقت للاتصال بي ماما؟»

«مرحباً حبيبي» قالت بحنانها المعتاد والإسامة الدافئة على وجهها تمحو كل آثار التوتر والقلق:

«الطقس هنا بالغ البرود، ولقد وصلت إلى جهاز الهاتف الآن بالضبط».

«كيف حالك؟ إشتقت إلي؟»

«ليس بعد» كذب جيمي بحب.

فهذه كانت لعبتهما الدائمة، ان يجيب جيمي بطريقة معاكسة لما يشعر به حقاً.

«جيد» قالت بضحك:

«لأنني لم أشتاق لك بدوري بعد» وقهقهت مجدداً حين سمعت صوت ضحكات جيمي الحبيبة.

«آه - هل تصدقين هذا؟ سيصطحبني العم نيكولاس إلى حلبة سباق الشاحنات غداً! هو يقول أنه ماهر بنوع السباق هذا - وهذا ما علي أن أختبره بنفسي» قال جيمي بتلهف.

خلفها فتح روبرت باب غرفة المكتب وانكأ عليه. لكنها كانت مأخوذة تماماً بالمكالمة فلم تنتبه لدخول أي شخص إلى المكتب. وظهرها كان للباب قلم تراه أيضاً.

تابعت المكالمة قائلة:

«حسناً لكن إنته جيداً لنفسك يا حبيبي فلا أريد لعودة لأجذك ملقى على سرير ما بذراع مكسور أو ساق مجبر».

«أجل، أجل واليوم سنذهب إلى مدينة الملاهي» تابع جيمي بحماس:

«ثم سنتناول البيتزا في مطعم لاساغي وهذا وفقاً لإقتراحي فأنت تعرفين تماماً مدى حب أماليا للبيتزا انها

لا تطبيق حرف الباء لانه كلمة بيتزا تبدأ به».

فهتفت ناتالي بصوتها الشجي المبحوح وتخلت مدى تحمل أماليا لرائحة البيتزا ورويتها فقط لإرضاء جيمي الذي تحبه صديقتها وزوجها ويعتبرانه كابنتها جون تماماً.

«يا لما تفعله المرأة للرجل الذي تحب» قالت ناتالي بضحك.

«هل بإمكانني التأكد من أن الجميع يحبني؟» قال جيمي وقد عاد للعبته الذكية والحنان يلون صوته. يا له من فتى حساس، فكرت بالأم وهي تفكر بكل طفولته وبرأته.

«حسناً، نستطيع أن نتأكد أنني لا احبك فقط بل أعبدك» تسمت بحنان ورقة مدركة أن هذا بالضبط ما يرغب جيمي بسماعه:

«أشعر وكأنني أسير هنا بدون ذراعي الأيمن المشتاق أبداً لك».

«متى ستعودين ماما؟» سألها ما تتوقعه.

الرد كان صعباً وتغضن وجهها المتسم مجدداً بالغيوم وهي تتذكر عمتها الموجودة في ذلك السرير بتلك المستشفى.

«لا أعرف بعد يا حبيبي» ردت بإعتذار. فقد إتفقت مع أماليا على التظاهر بأن على ناتالي السفر إلى لندن

لإحضار تشكيلة ملابس الشتاء الجديدة للموسم القادم لمحلها الخاص بالملابس النسائية والولادية والذي يقع في احد أهم شوارع بروودواي التجارية. أماليا كانت صديقة ناتالي وشريكتها وأكثر من شقيقة لها ساعدتها بانجاح المحل وتساعدتها دوماً بالإهتمام الكامل بجيمي كلما إضطرت ناتالي للسفر من أجل المحل.

«لكن تأكد أنني سأعلمك فور معرفتي لموعد عودتي» تابعت مطمئنة جيمي.

«جيد لأنني أريد الانتظار في المحطة. يقول العم نيكولاس ان بإمكاننا ذلك مع أن أماليا قد تكون مشغولة بتحضير المحل للبضاعة الجديدة وتغيير الديكور الداخلي له كماداتها بداية كل موسم».

«اعرف، فهذه هي الحالة كلما سافرت أنا» قالت بتعاطف مدركة مدى عمق صداقتها وحبها لأماليا:

«لكن انتبه أنت لتفسيك جيداً حبيبي، وأعدك بالعودة سريعاً وحالما أستطيع».

«اتمني لو كنت معك» تتم:

«أنا أقلق كثيراً عليك كلما سافرت فأخاف مما قد يحدث لك أو من أي سوء قد تتعرضين له».

«لن يحدث لي شيء جيمي» طمأنته بقوة وبحماسة وهي تشعر بالخوف وعدم الأمان الذي ينمو بداخله كلما إبتعدت عنه وتابعت:

«أنت كل حياتي وأنت تعرف ذلك. وأنا لن أسمح
لأي شيء بالكون أن يبعدني عنك».

- ٦ -

رؤيتها المفاجئة لوالده تراءت أمام عيونها بعيونه
الرمادية المهددة بجسده الصلب فارتعشت بقوة.
«إلى اللقاء الآن يا حياتي إنتبه لنفسك جيداً» قالت
وحبها في صوتها.
«إلى اللقاء ماما انتبهى انت لنفسك ايضاً وعودي لي
بسرعة».

«إنشاء الله» قالت واعادت السماعه إلى مكانها
وتهدلت كتفها مجدداً وطأطأت رأسها حتى لامس
ذقنها صدرها وأخذت نفساً عميقاً لتمنع نفسها من البكاء
فدائماً كان من أصعب الأمور عليها قطع المكالمه معه

وخاصة هذه المرة بالذات فمع إنها لم تفكر بالأمر بعد إلا انها كانت تعلم بأعماقها ان زيارتها لأثلي هذه مع كل ما رأته وكل ما ستره ستحمل لها ولايتها التغيرات الكبيرة والمشاكل التي ستجبر لمشاكل اخرى اكبر وأعمق!

«زوجك؟» سألتها الصوت البارد مستفسراً والذي وصل اليها من الخلف.

استدارت بسرعة لتجد روبرت متكئاً بظهره على حافة الباب وذراعيه متشابكان على صدره وتعاييره غامضة وهو يدرسها.

«كلا» قالت ورفعت رأسها بتحدي كانت معتادة على إظهاره له فيما مضى وحدقت بعيونه بعدم تقبل ل طرحه عليها اسئلة لا يحق له طرحها.

بدا وكأنه يعتبر الفكرة ويحللها والسخرية الصغيرة داخل عيونه جعلتها تنكمش داخلياً وعيونه تنتقل عليها محاولة إختراق اسوار الدفاع والحماية التي بنتها بعناية حولها. ثم تنهد ودفع نفسه بعيداً عن الباب.

«إذا كنت تؤكدين لذلك... ذلك الشخص على الهاتف انك ستعودين اليه بعد أيام قليلة فأعتقد ان هذا كان تصرفاً طائشاً من قبلك».

تصلبت ناتالي:

«يجب علي العودة» أصرت:

«عندي إرتباطاتي الخاصة. مجيبي إلى هنا وفقاً للطلب المستعجل ولفترة قصيرة قد ضاعف مسؤوليات من سيسد مكاني في العمل. يجب علي العودة». كررت بتصميم.

«وعمتك؟» قال ورفع حاجبه بازدياد:

«ها قد رفعتها الآن إلى القمة وسترمين بها إلى أسفل الحضيض دون أن تكتري النتائج؟ الا تعتقدين انها تستحق القليل الأكثر منك. لقد كانت كامك طوال سبعة عشر عاماً بحق السماء! وتستكثرين عليها بضعة أيام مترددة تقضيها برفقتها وهي بحالتها هذه؟»

«لست مترددة بذلك» قالت بتصلب ودفاع:

«الأمر فقط...» فتشت عن الكلمات المناسبة وتابعت:

«عندي حياتي الخاصة الآن روبرت... عندي مسؤوليات جمة علي تحملها والقيام بها. لقد آتيت إلى هنا فور قراءتي للاعلان في الجريدة - بالرغم من كل مسؤولياتي - وسأقدر لك إعطائي نفس الاعتبار ان علي العودة إلى منزلي للقيام بتلك المسؤوليات بأسرع وقت ممكن».

«هذه... هذه المسؤوليات الا تتضمن عمتك؟»

سألتها والازدياد يزداد بصوته:

«أخبريني ناتالي، لأنني أشعر بالفضول حقاً لمعرفة

ذلك...» مسحتها عيونه من رأسها حتى أخمض قدميها
قبل أن تعود إلى عيونها ويتابع:

«... هل كائنات من كان يعتني بك ويؤمن لك نوع
الرخاء الذي كنت تتوقعين مني تقديمه لك؟ أم هل
جيوه متنفخة أكثر من جيوه؟ أنت بالتأكيد ترتدين
الآن ثوباً مهوراً بمقصد أهم المصممين... ولهذا
فعلي التخمين انك لم تعودي رخيصة ابداً».

شيء عنيف إشتعل داخلها وبرقت عيونها بشدة مما
جعل عيونه تتوسع بتحدّي للنظرة التي بدت داخل
أعماق شرارت عيونها الخضراء وراقب قبضتها وهما
تتكوران بجانبها إستعداداً للكمه او صفعه لو كان أقرب
قليلاً منها.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول بكل البرود الذي
استطاعته:

«ما أفعله بحياتي ومع من أقضيها أمر لا شأن لك به
روبرت ستابلتون... ليس منذ اليوم الذي تركتني به
وحددي هنا ولم تفكر به ولا لمرة واحدة بالسذاجة الغبية
التي إستغليتها كل الصيف لإرضاء نزوانك وورغباتك
الجنسية!»

«آه ليس فقط للإرضاء نانالي» قال بتكاسل:
«كنت، وأنا واثق انك قد أدركت ذلك الآن، أكثر
من مرضية فقط».

«ليساعدني الله روبرت» همست من بين أسنانها
المصطكة:

«لكن تلميح آخر على سلوكي وسوف...»
«سوف تفعلين ماذا؟» تحدّاه وهي تفتش عن الكلمة
المناسبة. ومد ذراعيه ليمسك بيدها المتكوّرة وشدها
ليبخر المسافة التي كانت تفصل بينهما:
«ستضربيني؟» سألتها بإغافلة عبر شفاهه المتبسمة
بقسوة:

«تأكدي من انني سأرد لك الصاع صاعين نانالي»
حدّرها:

«متصمخين؟ من سيأتي لنجدتك غير الخدم؟
وصدقيني من سيأتي منهم سيتمتع بمشهد ضربي لك».
«أكرهك» هتفت من أعماق قلبها وموجة ازدواجه
تختفئ:

«احتر ما انت عليه وما تمثله. وإذا كانت كارولين
لا تزال تملك وجهة نظرها التافهة تلك بالحياة فأنا
مشاكدة تماماً اذن أنكما تستحقان بعضكما البعض!
فالزواج منك سيفغذي نظريتها بإستمرار».
تصلب وبدأت نانالي ترتعش داخلياً شعورها أنها قد
تمادت فعلاً.

ثم سمعته يقول بصوت مخنوق:
«متزوج من كارولين؟ من أين بحق السماء أنتك

فكرة انني وكارولين متزوجان؟»

حدثت نانالي به:

«أقصد - أنكما لم تتزوجا؟»

عدم التصديق كان واضحاً بصوتها وضحك روبرت ضحكة قاسية قاطعة جعلتها تتأوه داخلية.

«لا أحتاج إلى الزواج من كارولين لأحصل على ما أريده منها» قال بازدراء واحتقار:

«تماماً كما لم أحتاج للزواج منك لنفس الأسباب».

الازدراء الذي لون كلماتها وربط بينها وبين كارولين كان كالفتيل الذي أشعل بركان غضبها فشدت يدها من قبضته وقالت بهدوء:

«أنت كنت وستظل دائماً شخصاً دنيئاً وحقيقاً روبرت ستابلتون»

إبتعدت عنه متجهة إلى باب الخروج وهي تتناول معطفها.

«إلى أين؟» سألها بحدة.

«للحصول على سيارة أجرة» ردت بحدة أكبر:

«أنا لن أبقى في هذا المكان للحظة أخرى بعد».

«لن تذهبي إلى أي مكان» قال بصوت كالزئير وقطع عليها الطريق بخطوتين اثنتين مسكاً بها بذراعيه الصلبتين وممانعاً إياها من التحرك وإدارها لمواجهته. بجسده الطويل الصلب الذي يفوقها بالطول كان يرسل

كل شرارات الجاذبية التي أخذت تطرق أعصابها ومشاعرها، وامتزج كل شيء، مشاعر الغضب المتبادلة بينهما، مشاعر العداء الازدراء بالإضافة إلى تبادلها للشتائم والإهانات مع إداركها العميق لشيء آخر مختلف تماماً عن كل هذا وأنتج ذلك قشعريرة عميقة ارتعشت لها بكل رفض ونفور.

«أبعد يداك عني» أمرته بقوة:

«لا أتحمل لمس يدك لي».

«لا بأس، اليس هذا بالغ السوء؟» قال وشدها إليه أكثر وشعرت بنار الغضب التي كانت تتأجج داخله: «لأنه حان وقت العقاب الآن نانالي، وسأقوم أنا بدوري الكامل بهذا الشأن».

هبط فمه على شفاهها بقسوة ووحشية مجتاحاً نفورها وبرودها وحين تعمقت قبلته شعرت بمشاعرها تتحرك بإدراك لحظي للأغواء القديم الذي كان مرة يوحدتهما كشخص واحد بروح واحدة وجسد واحد.

وحين انتهت القبلية هذه كان وجهها أبيضاً كوجوه الموتى وكانت ترتعش وازلافرها منفرزة بطرفي المكتب الذي كانت تتمسك به طوال فترة هجومه عليها.

«نانالي...»

مهما كان ما رآه روبرت داخل عيونها وهي تنحني على المكتب وترتعش حتى أخمص قدميها وعيونها

متوسعة وثابتة فقد اذهله ذلك وصعقه دون شك لان نبرة
صوته وهو ينطق اسمها كانت غير ثابتة وغريبة تماماً
على مسمعيها.

إبتلعت ريقها الجاف وهي تشد نفسها من أعناق
العمامة السوداء التي اغرقتها بها قبلته المعاقبة تلك.

- ٧ -

لن يدرك روبرت ذلك. لكن غرائزها ومشاعرها كلها
قد تجمدت وماتت من جراء استغلاله البشع والسيء لها
قبل ثماني سنوات، وكانت تلك المرة الاولى والاخيرة
التي قبلت بها بحياتها حتى الآن.

«بحق السماء» تمتم وعيونها الخضراء ترمش للحظة:
«لا تنظري إلي بهذه الطريقة ناتالي» قال وابتعد عنها
وجسده متصلب من الغضب:

«ماذا اعتقدت أنني كنت سأفعل لك؟» عاد ليحدث

بها وتابع:

«سأغضبك؟»

كلماته أعادت لها حواسها وإدراكها ورفعت أصابعها
المتشنجة عن المكتب إلى فمها المتورم:
«يجب أن أغادر هذا المكان - لا أستطيع البقاء هنا
مع...»

«كلا» هتف ومد يديه كأنه يريد أن يمسك بها ثانية
الا إنه عاد وأنزلهما بغضب لرؤيته لتصلبها وتحولها إلى
تمثال من الحجر وهي تحدق به بكل نقور العالم
واحتقاره للهوة التي حدثت منذ لحظات بينهما.
قال ثم نظر الى وجهها:

«... اذا كان هذا يساعد، فأنا أعتذر ل... لفقدان
السيطرة الذي حصل. هذا لن يحدث ثانية».
مع أنها لم تكن تنظر إلى وجهه الا أنها أحست بعمق
وقوة كلماته:

«سبب مجيئي إلى هنا» تابع بهدوء أكبر:
«كان لاختبرك ان العشاء جاهز. لقد حضرته السيدة
فالو وهي تضعه على المائدة».
«أريد الصعود إلى غرفتي» قالت بلا نبرة أو احساس.
فهز رأسه وخرج فتيعته.

سار بصمت نحو السلالم المؤدية الى الطابق العلوي
والذي تعرفه ناتالي جيداً. لطالما كانت تقفز على هذه
الدرجات وهي طفلة وكانت تشعر بالفخر والكبرياء
لوجودها بهذا القصر الرائع الجمال.

ومرت سنوات قبل أن تدرك أن الكبرياء هذا لم يكن
من حقها بل من حق آل ستابلتون أصحاب هذا القصر
وأصحاب نصف قرية أشلي تقريباً. وأنها هي مجرد ابنة
أخ مدبرة المنزل اليتيمة والتي يعمل والدها كحارس
ليلي على أراضي آل ستابلتون وممتلكاتهم.

هذا مضحك، وجدت نفسها تفكر وروبرت يفتح لها
باب غرفة الضيوف ويسير بخفة امامها. لكن بالرغم من
كل حيها الأعمى والكبير للإن لا انها لم تفكر للحظة
في أن تكون سيدة هذا القصر بيوم من الأيام. ولا حتى
بأكثر أحلامها الخيالية المراهقة. لقد آمنت بعمى أن
روبرت لها لكن بدون أن تفكر للحظة بكل الثراء والغنى
المرتبط به.

«آمل أن يناسبك هذا» تتمم قاطعاً عليها أفكارها.
لقد انسحب الآن وإختفى خلف قناع الادب البارد
وسيطرته على مشاعره كاملة.

«هناك دورة مياه خاصة عبر ذلك الباب» تابع مشيراً
إلى الباب الصغير الذي تذكره:
«اذا نزلت بعد نصف ساعة فأنا واثق أن السيدة فالو
ستكون أكثر من مسرورة. فالعشاء جاهز منذ وقت قصير
و...» صمت قليلاً ثم تابع بشيرة غامضة:

«كارولين بوشيه ستكون موجودة على العشاء».
بقوله هذا إستدار وغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه

يهدوء.

رمت بنفسها على السرير وهي لا تزال ترتعش مما حدث لها في الأسفل منذ لحظات وتمنت لو أنها اكتفت بطلب ساندويش لها إلى هنا. لكن هذا سيظهر له ضعفها وهذا آخر ما تريد إظهاره له. في الأسفل وقد وصلت كارولين بوشيه الآن فقد سمعت ناتالي صوت جرس الباب الرئيسي يدق، فستلعب كارولين دور الملكة. وحقاً لا حق لناتالي بإنكار انتصار كارولين عليها.

أغمضت ناتالي عيونها وغرقت بصفحات كتاب حياتها التي مرت عليها قبل ثماني سنوات بالضبط. وحين كانت هي في السابعة عشرة من العمر فقط.

«كلا لن أفعل ذلك! لن أفعل ذلك! لا اعرف كيف بإمكانك مجرد التفكير بذلك» صاحت فتاة السابعة عشر ربيعاً بحدة والدموع تنحدر بغزارة على وجهها الفتي.
«ستفعلين هذا ناتالي!» ردت المرأة الأخرى بحدة:
«ستخلصين من الجنين هذا! ستفعلين والا فإني لا أريد أن أراك ثانية ابداً...»

«عمتي هذا مستحيل! إنه طفلي وطفل روبرت هو لن يسمح بذلك...» تعالت الصرخات الحادة وازداد نهر الدموع:

«لن يسمح بذلك ابداً...»

«روبرت لا يحبك أيتها الممتعة! هو فقط قد أخذ ما قدمته أنت له على طبق من الفضة وبكل طيبة خاطراً هو لا يحبك ولا يكرث لأمركا إنه كغيره من الرجال، إنه بشر وأنت رميت بنفسك بين احضانه وتحت أقدامه طوال الصيف...»

الآلم الهائل اجتاح قلب المراهقة الشابة ولم تصدق حينها كلمة واحدة مما كانت عمته تقول لها. كانت في السابعة عشر من العمر وغارقة بالحب حتى اذنبها وكانت مذعورة وخائفة. كلمات الطبيب بعد فحصه لها هي التي أجبرتها على التصديق بأنها تحمل جنين حبها داخل احشاءها. وحينها، حينها فقط صدقت كل كلمة كل كلمة قاسية قاتلة مشينة كانت تقولها عمته لها.

بذلك الصيف. بالذات عاد روبرت ستابلتون من جامعته في المدينة ليجد ناتالي المتفتحة بحرارة وانوثة على البلوغ والنضوج بعد سنوات الطفولة الطويلة. كانت في السابعة عشر من العمر وعاشقة للحياة وعشقها هذا كان يظهر ببريق عيونها الخضراء الواسعة حين أتى روبرت ليقتش عنها بذلك الصيف.

كان قد أنهى سنته الأخيرة بالجامعة بعد غياب له لمدة ثلاث سنوات كاملة في المدينة كانت عائلته تزوره خلالها وتقضي معه الصيف في ماراييا حيث تقضي

روبرت قد تخرج الآن وكان نافذ الصبر لاستلام المركز الذي كان ينتظاره دوماً إلى جانب والده بإدارة شركاتهم العائلة والممتدة بكل أنحاء لندن. آل ستابلتون العائلة الاولى والاكثر ثراءً في آشلي وضواحيها بأكملها وأصحاب الأراضي الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس كانوا أقصى صفوة المنطقة بأكملها. لكن، وبالرغم من الاختلاف الهائل بين مستواهما الاجتماعي إلا أن روبرت ستابلتون كان دوماً جزءاً بالغ الأهمية من حياة ناتالي شالسي.

روبرت هو من علمها ركوب الخيل وامتطائه بطريقة تهدأ من حركة الحصان وتجعله يتهادى بها عبر براري آشلي وسهولها وشعرها يتطاير في الهواء وسعادة العالم تشرق بعيونها لاحتساسها بالحرية. الحرية الكاملة من شروط وتضايقات عمتها المنتقدة الصلبة ومن تجاهل والدها لوجودها واهتمامه بشؤونه ونسائه بعد موت زوجته والدة ناتالي بعد ولادتها بوقت قصير. كان روبرت دائماً يخبرها أنها طفلة ولدت بالوقت الخاطئ. وفي المكان الخاطئ. فهي كان عليها أن تكون طفلة غجرية وليست ابنة حارس متقاعد واناني تربيها عمة قاسية وتقليدية ومتسلطة.

روبرت كان هو من يظهر لمساعدتها كلما كانت في

ورطة. روبرت هو الذي أنقذها من الموت حين ذهبت إلى حلبة الثيران الهائجة وأرادت لعب دور الميثادور. روبرت هو الذي احتضنها بحب وعطف حين مات والدها بنوبة قلبية مفاجئة وغير متوقعة.

وروبرت هو الذي كان يمنع عنها غضب وحنق عمتها حين كانت هي تندفع بالمغامرات الخطيرة فقط لتشعر أنها حية - فعلاً حية.

وروبرت نفسه هو الذي انتزعها قبل ذلك الصيف بسنتين وهي تركل وتشتتم من داخل سيارة طوني كامبل حيث كانت بإرتباك مرافقتها الاولى قررت أن تختبر للمرة الاولى ما تردده صديقاتها دوماً امامها حول القبلية - القبلية العميقة على الفم.

«الا يكفي أن الجميع هنا يعتقدون أنك متمردة طائشة وبلا سيطرة تريدنيهم أن يعتقدونك رخيصة أيضاً ولاهية؟» صرخ بها وهو يسحبها بشدة ويجرها جراً نحو المنزل.

«كنا فقط نتبادل القيل بحق السماء وروبرت».

قالت بدفاع وهي تشعر بالرعب الهائل لأن روبرت بالذات هو الذي وجدها بهذا الوضع المربك:

«على الفتاة تعلم بعض الاشياء روبرت».

حذق بها بحنق والرجولة تنبع من كل شيء به وحوله.

القمر كان يدرأ تلك الليلة وكان يعكس اشعته الفضية على شعره الأسود الناعم وعيونه تنظران اليها بثوبها الأبيض القطني البسيط الذي كان يظهر تفاصيل جسدها الغض النامي.

«فقط انظري الى نفسك نانا» قال:

«مجرد التقبيل لا يحتاج لفتح ازوار ثوبك العلوية لا؟»

بارتباك مروع نظرت نانالي إلى ثوبها ووجدت أن ما يقوله كان صحيحاً.

«أنت حتى لا ترتدين صدرية» قال بحدة.

«الفتيات لا يرتدينها بهذه الأيام» تمتعت بدفاع وهي تصحح من وضع ثوبها بكل إرتباك وخجل.

«نوع معين من الفتيات فقط لا يفعل» قال بحدة ثم أثار ذهولها حين امسك بها بقوة والصقها به وقال بغضب:

«إذا اردت دروساً لعينة بالتقبيل نانالي، فكان عليك اللجوء إلي أنا - فبعد كل شيء أنا من علمك كل ما تعرفينه اليس كذلك؟»

شعرت بقوة بوجوده وهي ترفع اليه عيونها بعصبية لتلتقي ببريق عينيه الرمادي الغاضب.

همست باحتجاج صغير مخشوق الانفاس:

«لا تفعل روبرت».

الا أن فمه الذي اطبق عليها اسكنها عن المزيد من الاعتراض واشعرها للمرة الاولى بما يعنيه التقبيل حقاً. ولا أي شيء بمغامراتها العاطفية الصغيرة بسنوات عمرها الخمسة عشر حضرها لما أثارة داخلها عناق روبرت لها وتقيله اياها بتلك الطريقة التي اشعلت كل احساسها ومشاعرها بعمق وقوة اذهلها هي ذاتها بكل براءتها وطيشها.

ثم ابعدها عنه بعد لحظات بدت لها كالعمر واخذ يحدق بها بنظرات مريرة وقال:

«ابتعدي عن الصبيان نانا» امرها بشدة:

«اتسمعين؟ ابتعدي تماماً عن الصبيان أفهمين؟»

ثم رحل تاركاً إياها كالمشلولة المخدرة وحين استعادت وعيها واردات ان تناديه كان هو قد ابتعد داخل حديقة القصر ومنه إلى داخله.

فاستدارت هي واتجهت إلى منزلها الصغير الواقع في طرف الحديقة وصورة وجهه لا تزال امام عيونها.

عاد روبرت إلى جامعته صباح اليوم التالي - ولم تقع عين نانالي عليه الا بعد مرور سنتين ونصف. لكن حين عاد هو إلى أشلي بذلك الصيف وجد امامه نانالي جديدة.

وجد فتاة قد تخفلت مرحلة الطفولة واصبحت على اعتاب ان تصبح امرأة، خرجت من شرققة الطفولة

البريئة إلى الجمال الانثوي الساحر والطاغي والذي
صعقه بشدة.

وجدها في الغابة قرب بحيرة الأوز جالسة على
شرشف ملون وترسم المنظر الرائع أمامها. موهبتها
بالرسم كانت ظاهرة منذ الصغر وروبرت نفسه هو من
شجعها على تنميتها والاهتمام بها. كانت ترتدي تنورة
مزهرة قصيرة ويلوزة بيضاء بلا اكمام وذراعيها وساقها
كانا قد تلونا بلون الشمس الرائع.

لن تعرف كم ظل يراقبها من مكانه قرب شجرة
خلفها لكنها شعرت فجأة انها مراقبة فاستدارت لتجده
متكئاً يظهره على الشجرة القريبة ويديه في جيوب بنطاله
الأبيض وقميصه الأزرق الحريري يعمق لون عينيه
ويزيدهما لمعاناً.

ابتعد عن الشجرة مقترباً منها وقال:

«مرحباً».

«اهلاً» اجابت وهي تبسم له بخجل:

«لقد سمعت انك قد عدت إلى القصر».

صمت متوتر سيطر بينهما واخذ يرمق لوحاتها الجميلة
وقال:

«من الواضح أن موهبتك بالرسم قد نضجت
وكبرت».

«اجل» قالت بابتسام والفرح يضيء نظراتها الخضراء

المشعة. لكن شيئاً ما في نظراته جعلها تلتقط انفاسها
وتفتش عن شيء خفيف تتحدث عنه

«تهانينا» قالت له بركة:

«لقد تخرجت واعتقد ان العلامات متفوقة كالمادة».

طأطأ رأسه الجذاب وقال:

«يحق لي تصنيف نفسي كرجل الآن كما اظن» النيرة
الهازئة كانت تغلف كلماته وحديثه ناتالي بنظرة تعاطف
متفهمة. فقد تكون ناتالي قد واجهت الصعوبات بتربية
عمتها لها وفق شروط وانظمة شديدة تناقض طبيعتها
المتحررة المندفعة لكن روبرت وبالرغم من كل ثرائه
وامتيازاته فقد كان لروبرت مشاكله الخاصة بدوره
بمحاولاته للوصول الى الدرجات العالية المستحيلة التي
يريد والده منه الوصول اليها.

«صيف كامل في المنزل...» تهجد وهو يتمشى
ويتمدد على الشرفف قريباً ورأسه يتكئ على ذراعه:

«ثم سأرحل بعد ذلك إلى كندا حيث سأبقى لمدة
عشرة أشهر بالتمرن عند شركة وارنر قبل أن أعود
لاستلام شركات والدي».

نظرت ناتالي بعيداً عنه وقد غلف بعض الضباب
عيونها الجميلة:

«علينا أن نكبر كما اظن» تمتعت.

«اجل» وافقها روبرت وهو يدرس بروفيها:

«لكنني اعتقد أنك قد بدأت بذلك فعلاً» رفع اصبعه
واخذ يتحسس وجنتها وتابع:

«هل كنت جيدة أثناء فترة غيابي؟»

سؤاله جلب الابتسامة إلى عيونها:

«آه، أجل» اعترفت:

«على أفضل ما أمكنتني على كل حال. كنت أكثر من
مشغولة طوال هاتين السنتين للإنتهاء من الدراسة
بالمعهد القريب وقد تدبرت لي عمتي منذ أربعة أشهر -
أنا أساعد السيدة بوشيه ثلاثة أيام في الأسبوع».

«آل بوشيه؟» قال بدهشة وهو يجلس فجأة:

«لا يجب عليك أن تعلمي هناك، نانالي. فبعكس
عمتك أنت لم تخلقي لخدمة الآخرين».

لمحة الاحترار التي غلفت كلماته بتحدثه عن عمتها
اثار حفيظتها وأشعل برق عينيها وقالت بكبرياء:

«أنا لست أفضل أو أسوأ من عمتي سابرين روبرت!
لا أشعر بالعار والخجل بترتيبي للأسرة وغسلي للبلاد
لكسب عيشي».

«حسناً، إذا كان عليك فعل ذلك لكسب العيش
فالأفضل لك أن تعلمي في القصر عندنا! وليس عند آل
بوشيه!»

«آه، اليس هذا لطفاً كبيراً منك؟» قالت بغضب وهي
تنهض لتجتمع أغراضها لترحل وشلال شعرها الذهبي

ينسدل حول وجهها المحتقن:

«بكلمات أخرى لا مشكلة عندك بمسحي لبلاط

قصركم لكن ليس بلاط أي أحد آخر».

فهي كانت تساعد عمتها بين الحين والآخر. كان

عليها هذا - بوصفها قريبة مديرة المنزل.

«أنا لم أقصد ذلك» قال بحدة ممسكاً برسغها ليمتصها

من النهوض:

«قصدت... اللعنة، نانالي».

شدها وسقطاً معاً على الأرض وحقق بها وهو يتابع:

«لا شك أن كارولين بوشيه تتفاخر بوجودك عندها

للخدمة وتشر ذلك على الجميع».

«استطيع تدبر أمر كارولين» قالت مبعدة نظرها عنه

لأن كبريائها كان يتألم لادراكها أن كارولين بوشيه تنفوق

عليها بمراتب اجتماعية كثيرة هي نفسها لا تعترف بها.

وكانت كارولين تشعر بالغيرة القائلة من العلاقة

الخاصة التي تربط بين روبرت وبين نانالي ووجود

نانالي بخدمتها لثلاث أيام في الأسبوع كان كالجحيم

الكامل لنانالي، فكارولين لم تكن تترك أية فرصة

صغيرة تمر دون أن تذكر نانالي بوضاعة مركزها

الاجتماعي والفروقات الكبيرة بين مستواهما.

خفت قبضته على رسغها الا انها لم تحاول الابتعاد

وظلت تحديق به عبر رموشها بينما غرق هو بأفكاره

الخاصة.

«لا زلت لا ترتدين الصدرية» علق فجأة مما جعل وجهها يحمر خجلاً وهي تنظر إليه.
«الجو - الجو حار جداً» قالت بدفاع واللون يزداد على وجنتيها وهي ترى نظراته المركزة على صدرها البض.
«جميل» تمتع بعمق:

«جميل...» ورفع عيونه لتتشابك مع عيونها:
«لم أستطيع طوال الستين العاضيتين من نزع جمال وجهك وصدرك من خيالي ناتالي» قال بصوت مبحوح:
«ليس منذ أن قبلتك تلك الليلة تحت ضوء القمر».
«لا تفعل روبرت...» قالت وارادت الابتعاد عنه الا أن شيئاً ما أبقاها مكانها. رفع يده وأخذ يلامس صدرها من فوق البلوزة القطنية الرقيقة وحين شعر بارتعاشاتها المستجيبة وسمع شهيقها الصغيرة ورأى فمها الشهي ينشق بإغراء رفع إليها عيونه اللامعة وهمس:
«صدر جميل، شفاء جميلة. لم أستطع نسيان تلك القبلية ايضاً». تمتع بصوت هامس:
«وقد انتظرت سنتين لعينيتين كاملتين لمعاودة تقبيلك مجدداً.

قربها منه وبدون مقاومة التصقت هي به وغرقت بدفه قبلته وعناقته وهناك تحت ظلال الأشجار قرب

مياه البحيرة المتلألأة وعلى صوت العصافير المغردة حول روبرت ناتالي العذراء إلى امرأة حرة طليقة وسعيدة.
«أنا مغرم بك ناتالي» همس بحرارة حين أدرك حقيقة ما فعلاه وجعلها هذا تقائله بضعف:
«أعتقد أنني كنت دوماً مغرمًا بك منذ لحظة ولادتك».

وغرقت هي بحرارة وصدق اعترافه. ولم تسأل مرة عن مدى صدقه وأمانته بما اعترف به، فهي لم تعتقد ولا لمرة واحدة فقط أن بإمكان روبرت باستثناء كل الناس غيره أن يكذب عليها هي. وطوال الصيف كانا لا يفترقان عن بعضهما البعض كلما سنحت لهما الظروف وكانا يسترقان لحظات السعادة والمتعة هذه بالتقاءهما بسرية في الغابة او في أي مكان آخر للاستمتاع بحبهما دون أن يشاركهما أي احد آخر بذلك.
بنهاية ذلك الصيف كادت ناتالي أن تنهار لشدة حزنها من اضطرابه للسفر إلى كندا لمدة عشرة اشهر كاملة.

«هذا للافضل يا حبيبتني» قال لها وهو يضمها اليه بقوة وكأنه يتألم لمجرد ذكره لسفره:
«يجب أن أثبت نفسي لأبني كرجل يعتمد عليه وبشخصية قوية قبل أن أبداً بإطلاعه على طلباتي. وأنت

لا تزالين صغيرة السن... لكن حين أعود، اعذك اننا سنتزوج على الفور سنتزوج يا حبيبتي حتى ولو اضطررني ذلك لمعاداة العالم بأسره». قال بشدة وعمق وتابع:

«لا يمكن التفريق بيننا ناتالي - فأنت وأنا أصبحنا جسداً واحد وروحاً واحدة».

ذهب لعشرة أشهر ولم تراه لثمانية وتسعون شهراً. وبعد رحيله بشهرين أدركت ناتالي انها تحمل طفله بأحشائها. لجأت إلى عائلته واطلعتهم على ما حدث طالبة منهم عنوانه.

كلمات والدته الرنانة ستظل محفورة بأعماق قلبها إلى الأبد.

«لا أحد يستطيع إيتزاز هذه العائلة واجبارها على الزواج» قالت الوالدة بحدة وزوجها يحدق بابتة الحارس باحتقار وقرف:

«أنت تقولين أنه طفل روبرت لكن روبرت أنكر ذلك. في الحقيقة روبرت يتساءل عن إمكانية معرفتك لهوية الجنين هذا بالضبط، بما أن حقيقة انك متوفرة لكل من يطلبك شيء أكثر من ظاهر وأكيد»

تابع والده تمزيقها بإعطائها شيك بمبلغ من المال رماه لها وهو يقول وعيونه تمكس ازدواجه واحتقاره:

«تخلصي من جنينك اللقيط هذا. الاجهاض ليس بالأمر الصعب بهذه الأيام. وقد أعطيتك المبلغ الأكثر

من كافي لقيامك بذلك! لا أريد أن يرتبط إسم ابني بأية فضيحة أنت وحدك مسؤولة عنها! ابني سيتزوج من كارولين بوشيه الفتاة المحترمة الشريفة سليلة الحسب والنسب. لقد خططت لهذا منذ سنوات وإما أن تتخلصي من ذلك الطفل وإما أرمي بك وبعمتك خارج آشلي كلها - وسأؤكد بنفسى الا تحصلوا على عمل آخر في أي مكان آخر بالجوار نظراً للمعلومات التي سأعطيكها للجميع عنك! أفهمت ذلك ايها المتسلقة الرخيصة؟ لا أريد أن أراك هنا مجدداً. أغربي، أغربي عن وجهي وابتعدي مع فتيات من أمثالك».

عافرت ناتالي القصر والدموع والاحتقار والألم والغضب واليأس يختلطون داخلها ويمنعها من الرؤية الواضحة. وهي تصرخ بهستيريا.

استقبلتها عمتها بنفس الشيء وقالت:

«عليك أن تفعل ما يطلبانه آل ستابلتون منك ناتالي، لقد مضى على عملي بهذا القصر عشرون عاماً ناتالي عشرون عاماً! أنا أكثر من مسنة للتفتيش عن عمل آخر يمكن آخر! وأنا لا أريد ذلك أصلاً! إذهبي - إرحلي - تخلصي من الجنين اللعين وبحق السماء بحق السماء لا تعودى. إلى هنا ثانية! لقد غسلتني بالعار بما فيه الكفاية - بأكثر من الكفاية! لا تعودى إلى هنا أبداً...»

وهذا ما حدث وما كان ليستمع بالحدوث لولا ان

قرأت ذلك الاعلان قبل ساعات ام قبل سنوات؟

هزت رأسها بعنف مبعدة ذكرى التعاسة هذه من عقلها وفتحت عيونها مجدداً وهي تتساءل هل القدر هو الذي جعلها توافق على العودة إلى هنا؟ هل مصيرها هو الذي اعادها مجدداً إلى أشلي؟ صوت طرقات على باب الغرفة سرقها من أفكارها وذكراياتها الحزينة وسمعت صوتاً نساءياً يقول:

«آنسة شالسي السيد ستابلتون والأنسة بوشيه بانتظارك».

«أجل سأنزل بعد عشر دقائق» ردت ناتالي وهي تمسح وجهها بيديها وتزيل آثار الدموع عنها ثم دخلت غرفة الحمام حيث ادارت المياه الدافئة واغتسلت بسرعة مبعدة عنها كل الماضي ومستعيدة سيطرتها وتعقلها وتركيزها على المستقبل الذي ازدادت خشيتها عليه...

سرحت شعرها جيداً وتركته يشد على أكتافها ثم ارتدت الثوب الذهبي الرائع المصنوع من خيوط الحرير والمطرز بخيوط الذهب. الثوب كان ضيقاً على الصدر والخصر وطويل وله شق طويل من طرفه يظهر ساقها الجميلة الصب.

أضافت بعض الماكياج لوجهها الجذاب وابتسمت لنفسها بالمرآة فمهما كانت كارولين متأنقة ومتشوقة هذا المساء فهي لن تظهر بمظهر أجمل مما تبدو عليه ناتالي

الآن. فلطالما كانت العيون تنجبه إلى وجهها البرونزي وعيونها الخضراء الواسعة وليس إلى شعر كارولين الأصفر وعيونها الزرقاء الصغيرة ووجهها ذو الملامح الطفولية.

اتجهت نحو الباب ورفعت ذقنها بكبرياء ونزلت السلالم بخطواتها الأنيقة الواثقة.

روبرت وكارولين كانا بانتظارها في قاعة الجلوس. روبرت ببدة رسمية نبيلة وقميصاً أخضر اللون وانتهت ناتالي للمرة الأولى أنه صار يهتم بأناقته بطريقة كانت تزيد من جاذبيته وسحره الآن وقد اكتمل نضجه واكتملت رجوليته. فهو يبلغ الواحد والثلاثين من العمر الآن فكرت بألم. هزت رأسها ورفعت نظرها عنه إلى الفتاة المتأنقة التي كانت تجلس قربه وتحديق بها بدهشة.

كانت تزال نحيلة ورشيقة وشعرها الأصفر الذهبي كان مرفوعاً بأناقة أعلى رأسها. ثوبها كالعادة كان فاخراً وثميناً يناسب بلونه الفيروزي ملامح وألوان كارولين.

نظرة روبرت المخترقة كانت تراقبها وهي تقترب منهم برشاقة، أخذاً بعين الاعتبار شعرها العسلي الكثيف الناعم المشدل بأنوثة على أكتافها وحول وجهها الساحر الجذاب التقاطيع ومتنبهاً لجسدها المتناسق يتقاطعه وتضاريسه الأنثوية الواضحة تحت الثوب الضيق.

العيون الرمادية ارتفعت إلى عيونها وأخذ قلبها ينتفض بقوة للنظرة التي برقت داخل عيونها للحظة قبل أن يستعيد مجدداً قناع البرودة والصلابة.

ابتعدت نظرها عنه وقالت:

«مرحبا كارولين».

«أهلاً ناتالي» ردت الفتاة الأخرى بصوتها الصغير:

«لقد تغيرت كثيراً. كيف حال عمك الآن؟ لقد كنا

جميعنا بالغى القلق، المسكينة، مع أن روبرت كان رائعاً وبالغ اللطف معها، اليس كذلك حبيبي؟»

لم يجيبها روبرت ونهض ليحضر الشراب لناتالي.

فتابعت كارولين بتعمد:

«ولحسن الحظ فقد وجدنا السيدة فالو فوراً وهكذا

إن مرض عمك لم يسبب الكثير من... عدم الملائمة في القصر هنا و...»

«كارولين من الأفضل التوجه إلى غرفة المائدة لأن

كل شيء أصبح جاهزاً» قال روبرت مقاطعاً أيامها بجفاف.

رمت كارولين بنظرة سريعة وقالت:

«آه أخيراً حان الموعد... لا أعرف روبرت. لربما

كان من الأفضل لو أنك حذرته من أن موعد العشاء سيأخر حتى هذا الوقت. أكاد أموت من الجوع».

«أعرف وأعتذر عن ذلك» قال بلياقة باردة وهو يقود

ناتالي إلى غرفة المائدة وكارولين تسير بجانبها:

«كان علي الاتصال بك وإلغاء موعد العشاء هذا لكنني

بصراحة نسيت تماماً أنك ستحضرين إلى القصر للعشاء

كارولين وتذكرت ذلك فقط حين فتحت لك الباب»

«شكراً لك على صراحتك!» ردت الفتاة وادركت

ناتالي دون أن تنظر إليها أن اللون الأحمر قد غزا

وجنتيها وظلت صامتة لحين جلوسهم حول المائدة.

وحول المائدة أخذت كارولين كما توقعت ناتالي

تشغل روبرت بأحاديثها المشرقة حول أشياء لا معنى لها

وحول أشخاص وأسماء لا تعرف ناتالي عنها شيئاً.

ولهذا فقد تشاغلته الأخيرة بتناول الطعام وبالبقاء صامتة

شاكراً حفظها أن كارولين لا تتحدث عنها هي.

«أتريدين المزيد من العصير ناتالي؟» تفاجأت حين

وجه لها روبرت هذا السؤال ورفعت عيونها لتواجه

النظرة العميقة داخل عينيه.

«لا... شكراً» رفضت بأدب.

لكن هذا السؤال جذب انتباه كارولين إليها وانتظرت

ناتالي سيل الأسئلة الاستفزازية التي ستوجه لها.

«حسناً» بدأت كارولين بهدوء:

«لقد... لقد كان من الجيد رؤيتك ثانية نانا. هل

ستطول إقامتك هنا؟»

«لا أعتقد ذلك» ردت ناتالي بغموض متعمد مصممة

على عدم منح كارولين الاكتفاء بمعرفة أي شيء عن خططها وخطواتها المقبلة:

«لكننا وبدون شك سنشاهد بعضنا مجدداً قبل رحيلي». وإبستم لها بنظاها.

«هذا محتمل جداً» ردت كارولين بإبتسامة مشابهة:

«بما أنني وروبرت نقضي معظم أوقاتنا سوياً» قالت ورمت روبرت بإبتسامة جذابة متتابعة:

«قد نخرج سوياً بسهولة ما... استطيع دائماً إيجاد شريك لك نانا».

اجل لكن من؟ الجنانتي أو السائق أو لربما رئيس الخدم؟ فكرت نانالي مدركة تماماً أن هذا هو ما يجول برأس كارولين وما توحى به بئرتها.

«لسم أقطع كل هذه المسافة لحضور السهرات والحفلات كارولين» اعلمتها نانالي ببرود:

«عمتي مريضة وسأقضي معظم وقتي أثناء إقامتي هنا معها».

«ثم ستعودين إلى حيائك المعتادة دون شك» مجدداً تلك التبرة المتمعدة بصوت كارولين التي تابعت:

«اتنما لسم تكوننا... مقربتين جداً من بعضكما البعض، اليس كذلك؟»

«مقربتين كفاية الآن لأفكر بإمكانية العودة للعيش هنا إذا رغبت عمتي بالبقاء في أشلي» سمعت نانالي نفسها

تقول هذا رداً على استفزاز كارولين لها.

وشعرت بالرضى لأن الدهشة ظهرت على الوجنتين الآخرين رغم أنها لم تكن تعني ما قالت حقاً. فمن رابع المستحيلات لها العودة للعيش هنا هي وجيمي، جيمي بالذات. فتابعت قائلة:

«لكن قد تتمكن من إقناعها بالعودة للعيش معي».

«أين؟» سألتها روبرت بحدّة.

نظرت إليه مدركة أنه لا يزال مجهول مكان إقامتها ولا نية لديها بالطبع بإطلاعها على ذلك.

«في واشنطن» أجابت فوراً مدركة أن البحث عنها هناك سيكون كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

«لقد عاشت عمك كل حياتها هنا في أشلي» قال مبعداً فكرتها بنبرة قاطعة:

«فقط الشخص المتوحش البلا جذور سيفكر بانتزاعها من هذا المكان وهي بهذا السن».

«أذن ماذا تقترح أن أفعل؟» تحدته ببرود:

«لست بلهاء روبرت، اعرف جيداً أن عمتي لن تتمكن من متابعة عملها كمديرة منزل بعد خروجها من المستشفى. فهذا أكثر من واضح وهي أصبحت في سن التقاعد الآن وكما اوضحت أنت ذلك مسبقاً» أضافت بصوت حريري:

«أنها مسؤوليتي وليست مسؤولية أي شخص آخر».

«أذن كما اقترحت منذ لحظات سيكون عليك المجيء للعيش هنا» قال بلهجة انتصار جعلت ناتالي تقطب جبينها بحيرة. لماذا يرغب هو نفسه بذلك؟
«ارتباطاتي الحالية قد تجعل هذا الامر... صعباً» قالت.

«هناك رجل ما؟» سألت كارولين بصوت معسول.
حدقت ناتالي بروبرت للحظة قبل أن تنظر إلى كارولين وتقول: «

«أليس هو موجوداً دوماً؟ لكنني ادير أعمالتي الخاصة الآن ولا أستطيع فعلاً إغلاق العمل او نقله الى هنا».

«انت - تديرين عملك الخاص؟» سألت كارولين بعدم تصديق كامل وابتمت ناتالي لأنها نجحت اخيراً بالتأثير على كارولين.
«أجل» ردت بكبرياء:

«لكنه ليس من النوع الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر بكل سهولة. إنه محل لبيع الألبسة الجاهزة وقد افتتحت به مؤخراً فرعاً للتصميم والخياطة والعرض - زبائني يعتمدون علي شخصياً. ولهذا فعلي التواجد حيث يكونون، اذا فهمت قصدي».

«آه» علقت كارولين وقد بدت عليها الخيبة:
«انقصدين انك تملكين محلاً لبيع الألبسة الجاهزة؟»
«الاهم هو قسم التصميم فانا أنتج الآن ماركة معروفة

من أثواب النساء؟»

«حقاً؟» سألت كارولين بعدم تصديق.

«أجل - ماركة برنس هي من إنتاجي الخاص».

«برنس للألبسة النسائية من إنتاجك؟» قالت كارولين بعد لحظات ونظرت بحسد الى ثوب ناتالي وقالت:

«وهل هذا برنس؟»

«كلا إنه مصمم لي أنا شخصياً فقط» قالت ورفعت نظرها إلى روبرت الذي بدا عليه التفكير العميق وثابت:

«استأذن الآن... علي الخلود للنوم، لقد كان يومي طويلاً ومرهقاً».

«بالطبع» قال ونهض عن الطاولة بأدب.

«تصبحون على خير» قالت ببرود.

«تصبحين علي خير» ردا ببرود مماثل وهما يحدقان بها بتفكير.

غادرت ناتالي الغرفة واخذت نفساً عميقاً وهي تعير الصلاة ثم إتجهت نحو السلالم حيث سمعت صوت روبرت ينادي اسمها بنعومة وهو يغلق باب غرفة المائدة خلفه.

استدارت لتنظر اليه وتعابيرها مستفسرة ومرهقة.

«لا تزال معي» قال بصوت رقيق.

قطعت محاولة أن تفهم معنى كلماته.

«برنس» قال بإشراق وتوسعت عيونها لإدراكها معنى كلامه.

«لماذا اخترت إسمه بالذات من بين كل الأسماء الأخرى ناتالي؟» سألتها وهو يقترب ليوقف قريباً:

«هل يعني هذا أنك كنت تفتقدينا وأنت مشغولة بيناه عملك؟»

إستدارت مبتعدة عنه وقالت بهدوء:

«إذا قصدت بسؤالك هذا إذا كنت أفقد برنس فإن الجواب هو أجل. لقد كان هو وحده الصديق الحقيقي لي في هذا المكان. بالطبع أنا أتذكره.»

تابعت خطواتها دون أن تنظر إليه لكنها شعرت بعيونه المتقلصة تلهب ظهرها وندمت، ندمت لأنها سمحت لاستغزات كارولين بالنيل منها وجعلها تبوح بشؤون عملها وحياتها وها هو الآن يرغب بمعرفة المزيد.

إرتعت بغضب من نفسها لتلك الزلة وأغلقت عليها باب غرفتها. هي لم تأتي إلى هنا لتباهى ولتظهر لهم جميعاً نجاحها بحياتها بالرغم من تعارضهم جميعاً لتحيطيها!!

ليلة ناتالي بتلك الليلة كان سلسلة من الكوابيس وأحلام الذكريات والمشاهد الماضية التي كانت تجعلها تستيقظ من النوم وهي تشعر بالألم بقلبها المطعون. وهكذا مع أول ظهور لخبوط الشمس إستيقظت

وصعدت إلى تراس القصر للتمتع بجمال المنظر وسحره من هناك.

لم تنزل إلى الطابق السفلي الا بعد أن تأكدت من ذهاب روبرت إلى عمله وذلك بعد أن شاهدت سيارته تبعد خارج بوابة القصر.

أبلغتها مديرة المنزل بذهابه وأبلغتها رسالته القائلة بأن السائق الخاص سيوصلها إلى المستشفى. تناولت ناتالي فطورها ثم إرتدت بنظراً بنياً وقميصاً جريداً مشجراً وسرحت شعرها جيداً ثم ذهبت إلى المستشفى. قضت النهار بأكملها إلى جانب سرير عمته واستراحت حين شعرت بتحسن حالتها عما كانته البارحة ويطء ويأدراك كبير من الطرفين بدأت ناتالي وعمتها بإرساء قواعد علاقة جديدة بينهما. لم تذكر ناتالي لعمتها موضوع جيمي ولم تسأل سايرين عن عملية الإجهاض التي أرادت وعائلة ستاهلتون منها أن تجريها. قبل سنوات ثمانية.

كانت تحدث عمتها عن عملها حين ظهر روبرت داخل الغرفة. هي لم تسمعه يصل فخطواته كانت كالعادة بلا صوت. وعمتها هي التي رآته أولاً وابتسمت له بإشراق وهي تتمتع:

«روبرت! كم تسرني رؤيتك.»

«تبدين بحالة أفضل اليوم سايرين» قال وهو يقترب

من السرير ليداعب الخد العجوز. ويقلبه. وشعرت نانالي أن وجوده يضيف على جو الغرفة القوة والسيطرة. وسمعت يثابح يمرح:

«أنساءل ما الذي سبب هذا التحول؟».

ظهرت الدموع داخل عيون سابرين وقالت بركة:

«آه، روبرت... شكراً لك على إيجادك لها...»

وتحركات اليد الرقيقة لتمسك بيد نانالي ولتشد عليها بحتان وتابعت:

«لا تعرف كم تعني لي رؤيتي لنانا مجدداً».

«أعتقد أنني أعرف سابرين» قال بهدوء وعيون تنسابان بغموض مع نظرة نانالي.

«كيان كل هذا بسببي أنا - خطي أنا كما تعرف»

تابعت عمتها ببيكاء:

«أنا من أرسلها بعيداً - وهي بعد طفلة، طفلة يصعب السيطرة عليها. لكن لم يكن يحق لي أن أفعل ذلك!» وجهت عيونها الباكية إلى نانالي متابعة بحزن:

«لم يكن يحق لي ذلك نانا، وقد قضيت كل هذه السنوات أندم على ذلك».

«لا ترهقي نفسك عمتي» قالت نانالي بحب عميق وقد تأثرت من مدى الألم والندم الذي تشعر به عمتها:

«لم يعد هذا كله يهم الآن. الماضي هو الماضي، ومن الأفضل نسيانه الآن إلا تعتقدين ذلك؟» قالت

نانالي مغلفة الموضوع مخافة أن تنفوه عمتها بشيء ما أمام روبرت. فأخبر ما تريده نانالي هو أن يعرف روبرت بأمر ابنه.

«آه، أجل» قالت عمتها بتنهيد وهي توشك على النوم:

«أفضل نسيان كل الماضي لو أستطيع».

استغرقت سابرين بالنوم وظل روبرت ونانالي يحدقان بها لبعض الوقت قبل أن يغادرا الغرفة.

أمسك روبرت بيدها للحظة فور مغادرتهم للغرفة وقال:

«هل هي من أرسلك بعيداً؟»

ترددت بالإجابة ثم قالت:

«أجل» دون أن تكشف هوية من أجبرها على هذا الرحيل.

«لماذا؟» سألتها وعيون مدفونة داخل عيونها:

«هل عرفت بشأننا نانا؟ هل كان ذلك هو السبب؟»

ارتعشت بشدة لمشاداته لها بالإسم الذي كان كالموسيقى على آذانها كما نطقته شفاهه. عضت على شفتها السفلى بقوة متسائلة عما دفعه ليبدو مذهولاً لفكرة سبب طردها هذه في حين أن عليه الإدراك أنه هو نفسه من دفعها لذلك.

«كما قلت لعمتي منذ لحظات...» قالت وقد

إستعادت قناع البرود والصلابة:

«الماضي هو الماضي ومن الأفضل نسيانه».

ظل يحدق بها للحظات مدركاً أن كلماتها تخفي الكثير من الأسرار والأشياء التي يعرف هو شيئاً عنها. لكن بالنسبة لها هي، لم يكن هناك العديد من هذه الأسرار. إذا قرر روبرت نسيان كل الذكريات ورميها خلف ظهره فهذا هو شأنه لكن إن كان بقسوة القلب هذه ليتمكن من نسيان الماضي فعلاً فلا فائدة إذن من محاولة التحدث عن ذلك الماضي إستعادت صلابتها وسارت امامه.

راقبها مخترقاً كل خطوة تخطوها مدركاً أنها قد اختبأت خلف قناعها الصلب. في الماضي كانت كل مشاعر ناتالي وأفكارها تظهر على وجهها وداخل عيونها لكن الآن صار من الصعب جداً عليه إختراق نظرتها لمعرفة ما يدور داخل عقلها.

بإستثناء حين قبلها تلك القيلة. فقد إندفعت مشاعرها عبر الحواجز وسببت له الصدمة والذهول لعمق كرهها ونفورها منه. وتركه هذا غاضباً ومهاناً لأنه سمح لمشاعره هو بالظهور.

عاد إلى القصر والصمت رقيقهما الثالث.

وإرتاحت ناتالي لهذا لأنها كانت بحاجة للتفكير بالعديد من الأشياء. لقد تحدثت اليوم مع طبيب عمته

وعرفت منه أن صحتها لن تعود إلى حالتها الطبيعية ابداً. وأنها ستظل بحاجة للرعاية والعناية حتى بعد خروجها من المستشفى. وهي بالطبع لن تتمكن من معاودة العمل وسيكون عليها الاستلقاء والابتعاد عن كل ما يثيرها ويحرك أعصابها. فإذا حدث لها أية نوبة أخرى في المستقبل فإنها ستكون القاضية عليها لا محالة.

«أخشى انني لن أكون متواجداً على العشاء هذه الليلة».

قطع فجأة صوته حبل أفكارها جاعلاً إياها تنظر إليه كأنها قد نسيت أنه يجلس على المقعد بجانبها خلف المقود.

«عندي بعض الإرتباطات بالعمل وسأناخر في المكتب إلى ما بعد العاشرة».

«لا بأس» قالت ببرود:

«أنا لا أبقى معك بوصفي ضيفة ولهذا فلا تشعر بأنك المضيف وأن عليك تسليتي».

«لربما علي تسليتك فعلاً» تتمم وهو يرميها بنظرة سريعة.

تجاهلت تعليقه ونظرت بعيداً عبر النافذة. لكن ضربات قلبها تسارعت لتعليقه المعسول هذا وفهمت ما يقصده بكلماته. وأدركت أنه بدأ يؤثر عليها بنفس

الطريقة التي كانت تشعر بها في السابق، في نفس المكان المؤلم داخل أنسجة قلبها الممزقة.

تنهدت بعمق وتمنت لو أنها لم تكن هنا معه، وتمنت لو أنها لم تقرأ مقالة الجريدة تلك.

«ما دمت وعمتك تستطيعان إرساء دغائم السلام مجدداً بينكما ناتالي» قال بهدوء:

«الا تعتقدين أن بإمكاننا محاولة فعل ذلك بدورنا؟».

- ٨ -

كلا، قالت بنفسها فوراً. لن نتمكن ابداً من فعل ذلك. نظرت إليه بتمعن مدركة أن روبرت ستابلتون الذي تراه أمامها الآن قد أصبح رجلاً ناضجاً بكل معنى الكلمة قد أصبح قادراً وحكيماً ومسيطرأ.

روبرت ستابلتون الذي كانت تعرفه سابقاً كان متهورأ ومستعداً لتشجيعها للقيام بمغامرة مثيرة، كان يعشق طبيعتها المتمردة المغامرة، وحبها المتأجج للحياة.

وكان حين يعانقها ويبادلها الحب كان يغرقها في بحار النشوة والمتعة بكل مشاعره وعواطفها.

تحركت أحاسيسها متوسلة بعض التأكد أنه لا يزال هنا لكنها أسكتت هذا الصوت داخلها فقد حولتها السنوات إلى المرأة التي هي عليها الآن. وحولته هو

إلى الرجل الهاديء المسيطر والقادر. وأصبح هو أكثر خطراً الآن، لأنه كما يبدو كان قادراً على إفهامها هذا ولو فقط عبر هذه الوسيلة الخطرة بجعلها تقارنه مع روبرت ستابلتون القديم.

«لا أعتقد ذلك روبرت» أجابته بصدق:

«فيعكسي وعمتي، نحن لم نعد نملك أي شيء مشترك بيننا».

«وهل تعتقدين ذلك حقاً؟» قال وأصابه تصلب على المقود للحظات:

«أنا لا أعتقد هذا... لا أعتقد هذا مطلقاً».

التفت عيونهما للحظة، لجزء من اللحظة فقط نزلت نظرتيه إلى جسدها قبل أن تعود إلى عيونها. وهذا كان كافياً لها لتعرف ما كان يقصده بالضبط.

لقد رأت تلك النظرة بعيونه في السابق - لمرات ومرات. هو لا يزال يرغب بها! يرغب بها بلهفة وحرارة كما كان قبل ثماني سنوات! رغبة جامحة عميقة وقوية دون التفكير بالعواقب والنتائج عما يمكن أن تفعل هذه الرغبة لهما!

بإرتباك أبعدت نظرها عنه وتصلبت شفاهها بخوف واشمئزاز.

«إنس هذا روبرت!» قالت بصوت كالصوت:

«أنا لم أعد تلك الفتاة الحمقاء الغبية والساذجة التي

كنتها منذ ثماني سنوات - لقد كبرت بسرعة وبشكل كامل والفضل يعود لدروسك القاسية التي علمتني أياها».

نطقت كلماتها الأخيرة بكل المرارة والألم بما جعله ينظر إليها بذهول.

لحسن الحظ كانا قد وصلا إلى القصر ففتحت ناتالي باب السيارة وغادرتها بسرعة مصممة على الالتجاء إلى غرفتها للتخفيف من عمق الغضب والحقد الذي كان يشتعل داخلها.

الا أنه لحق بها وهي تصعد السلالم وسارع بالقبض على رسغها ومنعها من متابعة السير.

«لم تنتهي بعد ناتالي» قال بحدة:

«لقد ضقت ذرعاً بالملاحظات المتعمدة التي ترميها بوجهي بين الحين والآخر - أنت من تركني ورحل قبل ثماني سنوات ناتالي وقد حان لك الوقت لتدركي ذلك».

حدقت به بعدم تصديق لعمق دفته للحقيقة وقالت له بغضب عارم:

«فكر بما تشاء عليك اللعنة! أنا لست دميكت الخشبية التي ترميها أو تلعب بها ساعة تشاء وتريد».

«كلا» رد بحدة مماثلة:

«أنت امرأة قاسية بلا مشاعر قررت ولسبب الله وهي

وحدها تعرفه قررت أنه مهما كان ما حدث هنا قبل ثمانية سنوات فالحق يقع على الجميع الا عليها هي.

«هذا صحيح» وافقته وهي تحاول الافلات من قبضته دون جدوى:

«قاسية، بلا مشاعر وبعيدة المثال... لك او لاي رجل آخر يفكر باستغلالي مجدداً»

«وجيمي؟» أصر بحدة:

«أين يترك هذا حبيبك جيمي؟»

التمعت عيونها بشدة وقالت:

«هذا يترك جيمي بمكانه وحيث هو دائماً - إنه الاستثناء للمساعدة الصلبة، إنه يمتلكني قلباً وروحاً وجسداً ولا أنت، ولا... كل إغراءاتك القديمة... سوف - سوف تحطم ذلك».

تخلصت من قبضته وتركها تبعد عنه وهي ترتعش بشدة وجدت صعوبة معه بالمحافظة على توازنها على السلالم.

«لكنه، مثلي تماماً لم يكن بحاجة ليتزوج منك ليجعلك عبدة المطيعة...» قال بقسوة عميقة هزت أعماقها:

«ومثلي... مجدداً كما أظن، هو وجد أن بإمكانه الحصول على ما يريد منك دون اضطراجه للتورط بأشياء تقليدية مفيدة كالزواج».

«هذا صحيح» وافقته دون أن تعطي له أي شيء أو مقدمة له كل شيء. إذا كان عنده التنبؤ الكافي وحده النظر:

«إنه يشبهك بالعديد من الأشياء - باستثناء شيء بالغ الأهمية ومصيري». استدارت ببطء لتتأمل إليه وعبورها تحمل كل الإزدراء كتبرتها تماماً:

«كما ترى جيمي يحبني. أنا الشخص الوحيد في العالم كله الذي يهتم له. ولا هو ولا أنا بحاجة لدليل مادي من أي نوع لنعرف أن هذا صحيح».

شيء ما تحرك بأعماقه وحدقا ببعضهما للحظة طويلة قبل أن تستدير وتتابع خطواتها.

«وهل يعرف... جيمي الرائع خاصتك هذا عن إجهاضك؟» تجمدت ناتالي مكانها وكأن روبرت قد طعنها بسكين حاد إخترق أعماق أعماق قلبها.

«أم أنك فضلت إخفاء هذا التفصيل الصغير عنه؟ ليس العديد من الرجال يتقبل فكرة قتل الاجنة ناتالي. فهذا الأمر لا يتناسب مع جهة نظرهم الوردية التي يفضلونها عند نسايتهم، اليس كذلك؟»

«أنت من بين كل الآخرين عليك إدراك ذلك روبرت» أجبرت نفسها على التحرك مجدداً مجبرة نفسها على التلطف والقاء نظرة اخرى عليه راغبة بزرع آظافرها بجلد وجهه:

«فمن المفترض بك أنك قد أصبحت رجلاً بعد كل شيء».

تركته وشعور الرضى يكتنفها لأنها أصابته بالصميم وأسكنته وظلت الكلمة الأخيرة لها هي. وبعد أن أغلقت باب غرفتها على نفسها إرتمت على السرير والغضب ينطلق كالشرارات من عيونها النارية وهي تصيح بكل ألم:

«اللعين القاسي - الحقيقر الفظ الميت المشاعر».

إتصلت بجيمي صباح اليوم التالي وأخذت بعض القوة من ثروته البريئة.

«اهلاً ماما» قال بصوته الاحب إلى قلبها:

«يقولون أن الثلج يتساقط عندك وأن الثلج أصبح بعلو المنزل».

ضحكت نانالي قائلة:

«لا جيمي هناك مبالغة بهذا الوصف. أجل لقد

تساقط الثلج أثناء الليل وأجل هو كثيف على الأرض. لكن الشوارع سالكة والسير متحرك»

تحدثت بعد هذا مع أماليا واطمأنت منها عن سير العمل.

«كيف وجدت العودة؟» سألتها أماليا بعد قليل.

«صعبة» اعترفت نانالي:

«الأمر غريب، لكن يبدو أنني غير قادرة على معرفة

شعوري حول أي شيء حولي بعد. لقد انصدمت بشدة حين رأيت ما آلت إليه عمتي التي كانت دوماً رمز القوة والصلابة لي... سأواجه بعض المشاكل قريباً أماليا... عمتي ستكون بحاجة للرعاية والاهتمام الكامل بعد خروجها من المستشفى ولا أدري كيف سأفعل ذلك مع وجود كل المشاكل والمصاعب المستترة والتي ستظهر معها».

«وروبرت ستابلتون؟» سألتها صديقته بعناية:

«هل قابلته؟»

«آه، أجل» قالت نانالي:

«أنا أقيم في قصره وأنحدث معك من مكتبه الآن ممثلة دور الزائر المتردد مع المضيف المتردد».

«يا الهي» قالت أماليا بتفهم فهي كانت تعرف كل

قصة صديقته وعذاباتها:

«وكيف حدث ذلك؟»

«إنها قصة طويلة» قالت نانالي بتنهيد:

«عليك الانتظار لحين أعود. أنا أفكر بالعودة اليوم

بالبذات فلم يعد بإمكانني التحمل لأكثر من هذا».

«الوضع مؤلم وقاتل أماليا. سأعود إلى هنا بنهاية

الأسبوع لحين تستعيد عمتي صحتها وتصبح قادرة على

القدوم لتعيش معي».

«تبدو هذه فكرة جيدة ناتالي» قالت صديقتها
بتعاطف:

«لا تقلقي بشأن جيمي فهو واثق بحولان حياتنا الى
جنة».

ضحكت ناتالي وقالت:

«أنت أعز صديقة وأخت أهدتني إياها الأيام أماليا».

«حبه لا تقولي هذا ناتالي» ردت صديقتها فوراً:

«تعرفين مدى حبنا لك ولجيمي».

«أجل، اعرف».

«إلى اللقاء الآن».

وضعت ناتالي السماعة وتهدت بعمق قبل أن تغادر
المكتب ومن ثم تذهب والسائق إلى المستشفى.

لقد تعمدت هذا الصباح أيضاً مغادرة الغرفة بعد
مغادرة روبرت للمنزل فهي لم تكن راغبة برؤيته ولا
باطلاعه على نيتها بعودتها اليوم إلى واشنطن.

عمتها كانت متعبة ومتوترة وكأنها متزعجة من أمر ما
تكتمه بداخلها. حاولت ناتالي تهدأها والتطبيب من
خاطرها لكن محاولاتها لم تنجح ورأت أن الممرضات
أخذت يعاين عمتها كل نصف ساعة وابتسامتهن
المطمئنة لا تخبر ناتالي بشيء.

أخذت الغيوم تتلبد في السماء منذرة بعاصفة قريبة
وبدا الثلج يتساقط منذراً ناتالي بضرورة الاسراع بالعودة

إلى واشنطن وفق مخططاتها قبل أن تعلق هنا لفترة لا
يعلمها إلا الله.

إنحت فوق عمتها وقالت:

«عمتي... أنا مضطرة للرحيل اليوم».

«لا» صاحت العمة بقوة وهي تمسك بيد ناتالي
شدة:

«لا تتركيني نانا - ليس مجدداً... أرجوك لا
تتركي».

«أرجوك عمتي» توسلت بعمق كارهة نفسها
لاضطرابها لفعل هذا:

«أعدك أنني سأعود لرؤيتك بنهاية الأسبوع
القادم... وعدت بصدق:

«أرجوك حاولي أن تفهمي ان عندي إرتباطات مهمة.
ولا أستطيع البقاء هنا لأكثر من هذا».

«لا أريدك أن ترحلي نانا...» أخذت الدموع تتحدر
على الوجه الحزين وجلست ناتالي قريبا وقد ملأ اليأس
والحزن نفسها وأخذت عمتها في حضنها.

«أحبك عمتي» قالت بصدق ينبع من أعماق نفسها
وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة طويلة:

«لا أريد أن أتركك هنا. سيزورك روبرت وأنت
تعرفين أنه سيفعل. وسأعود بنهاية الأسبوع...»

«كلا، لن تعود» همست المرأة المسنة بحزن

عميق:

«سترحلين مجدداً وتنسي كل شيء عني!»

شدتها إلى صدرها وقالت:

«لا تيكي عمتي - أرجوك لا تيكي - لا أستطيع تحمل دموعك».

«أعرف أنك بلا شك تكسرينني» قال الصوت

الضعيف من بين الدموع:

«آه، لكن عليك مسامحتي نانا! عليك ذلك! لا أستطيع الاستمرار بالعيش مع شعوري الهائل بالذنب الذي اقترفته بحقك! أنا - أنا فقط لا أستطيع».

«أنا سامحتك» قالت ابنة شقيقها بقوة:

«بالطبع قد سامحتك».

«كل هذه السنوات» عادت سايرين للانتحاب مجدداً وأصابعها تشد ناتالي إليها بقوة كأنها تخشى عليها من الابتعاد:

«كل هذه السنوات كانت تأكلني نانا، تأكلني وتأكلني حتى لم يعد باستطاعتي التحمل لأكثر من هذا ناتالي».

«شش» هذاتها ناتالي ودموعها تنحدر على خديها من شدة عمق شعور الذنب الذي كان يخنق عمتها.

«شش»، لم يعد كل هذا بهم الآن. لا شيء بهم سوى تحسنتك وعودتك إلى صحتك».

«آه. لكن هذا بهم» قالت بانتحاب وهي ترتعش:

«لقد خذلناك جميعاً بأسوأ طريقة وأكثرها قسوة! أنا، آل ستابلتون، روبرت... يا للجريمة المروعة التي ارتكبتها بحقك نانا، يا للجريمة التي لا تغفر! طفل، فليسامحنا الله، طفل إستمعنا لتعطيم طفلة أخرى عاجزة وضعية آه يا الهي» شهقت بدموعها وجسدها الصغير يرتعش بقوة:

«آه، طفل روبرت - حفيدي - جعلناك تقتليه بدافع الكبرياء اللعين! ولا أي عذر على هذا الكون يبرر هذه الجريمة! ولا أي شيء... أنا المسؤولة عن هذا... أنا...»

شيء هائل كان يمزق اوصال عمتها. شعرت ناتالي بهذا بذعر وهول وهتفت:

«عمتي - بحق السماء لا تموتي - بحق السماء - إسمعي أنا لم أفعل ذلك - لم أخلص من الجنين - عندك حفيد يا حبيبتي - حفيد رائع صحيح الجسم وساحر في الثامنة من العمر».

ثم كل شيء تفجر حولها صوت الآلة الموصولة بطرف عمتها إرتفع وإندفع سبل الممرضات إلى السرير وادارت هي عيونها بذهور ورعب في الغرفة وتجمدت كل اواصلها وانثلت حين رأت الشكل الطويل الداكن الذي كان يقف اسفل سرير عمتها. كان يبدو مذهولاً،

مصعوقاً ولون وجهه كلون وجوه الموتى وعيونه كالتماثيل.

رفعها احدهم من قرب سرير عمته واجلسها على الكرسي فيما أخذ الممرضون والطبيب يهتمون بعمتها. لكن شيئاً من كل هذا لم يقطع تشابك نظراتها وروبرت.

لقد سمع ما قالته والآن هو يعرف كل شيء. لقد دخل الغرفة بصمت وسكون كعادته وسمع كل كلمة نطقت بها هي.

حملها احدهم متمماً شيئاً ما بأذنها واجلسها بطرف الغرفة بعناية وبعد الاعتذار بقيت وحدها والصدمة تهز أعماقها.

متى انضم روبرت إليها، هي لم تعرف فقد وجدته فجأة جالساً بقربها ويده تمسك بيديها. لم يتكلما ولم تحاول الاعتماد عنه وعقلها وقلبيها بحالة شلل كامل إلى أن وصل الطبيب بعد دهر ورثت على كتفها بهدوء.

«لا بأس، كل شيء على ما يرام آنسة شالسي. عمك بخير. لقد مرت بنوبة قلبية جراء تعرضها لصدمة عصبية كبيرة كما يبدو. الخطر قد زال الآن وهي ترتاح بعد المخدر الذي اعطيناها إياه وستظل كذلك ليومين آخرين فلا داعي للقلق».

رفعت نانالي نظرها إليه ولم ترى شيئاً ثم حركت

عيونها إلى جهة سرير عمتها حيث عاد صوت الجهاز إلى طبيعته وأعدت نظرها إلى وجه الطبيب المطمئن ثم نظرت إلى يديها المتكورتين داخل يدا روبرت وفجأة أدركت وكسطوع البرق أن لا شيء يهم، لا تكران عمته لها حين كانت بأمس الحاجة إليها، ولا رفض روبرت لها وهي في احلك أوقاتها ولا كلمات والدته القاسية القائلة لها، لا شيء من كل هذا يهم ما يهم حقاً أنها اخطأت. بعدم تصميمها على مبادتها بعدم إصرارها على الوقوف بوجه الجميع واطهار حقها وحق طفلها. لو فعلت ذلك لما حدثت سنوات العذاب والكره الثمانية هذه. لو فعلت لما عاشت عمتها والذنب يخنقها. جيمي كان حياً يرزق وبأحسن صحة وسعادة. الطفل المرفوض من كل من حوله يسبب خوفهم من قوته لا يزال حياً، لو انها بقيت لو انها حاربت لما تكونت سنوات المرارة والذنب والعار هذه ولكانت سنوات صافية صادقة وعادلة.

رفعت عيونها مفتشة عن عيونه ووجدته يحدق بها بغموض. ورفعت ذقنها بكبرياء صارعت كثيراً للحصول عليه متحدية إياه.

«هل هو طفلي نانالي؟» سألتها بعنق.

لم تجيبه، لم تستطع أن تفعل. الحقيقة كانت عالقة بشدة في حلقها ونهضت وسارت بترنح إلى قرب سرير

عمتها ووقفت وأخذت تحديق بالجسد الضعيف المسترسل بالنوم.

كل هذا كان بسببها هي! عنت نانالي نفسها بشدة. ما كان عليها الهروب قبل سنوات! ما كان يجب أن تسمح لآل ستابلتون اللعناء بتسميم علاقتها الدموية بعمتها! وما كان عليها أبداً التفكير بالابتعاد عن سرير عمتها هذا وهي تدرك بأعماقها أن العمّة الحبيبة المسكينة لم تكن مستعدة لفراق آخر!

الدموع التي إنهمرت من عيونها منعته من الرؤية وأثقل الشعور بالذنب كاهلها. ما كان عليها التفكير بترك عمتها وهي بهذه الحالة! فهي كانت أمّاً لها منذ سنتها الأولى!

روبرت هو الذي كان يدفعها للرحيل مجدداً، اعترفت بمرارة! روبرت وقوة انجذابها نحوه رغم كل المرارة والأزدراء المتأصل بداخلها نحوه والذي نما وترعرع طوال السنوات الماضية.

«إسمعي...» قال وهو يقف خلفها دون أن يلمسها ونبرة صوته توضح مدى الصراع الذي يبذله للسيطرة على أعصابه:

«... لا نستطيع القيام بأي شيء آخر لها اليوم...» العاصفة في الخارج تزداد. فلنعد إلى المنزل قبل أن تزداد حدتها...»

المنزل!... منزلها وهو بعيد آلاف الكيلو مترات عن هنا إقتربت يحذر من سرير عمتها وطبعت قبلة على وجنتها وهمست من بين دموعها:

«أحبك، عمّتي». ثم استقامت وتسلمت بقنقاع الجليد مجدداً وهي تغادر وروبرت الغرفة.

العاصفة كانت تزداد فعلاً مما اضطر روبرت لتركيز كل انتباهه على الطريق أمامه وهما بطريق عودتهما إلى القصر.

حالها وصلا سارعت نانالي بالتوجه إلى السلام على أمل التهرب مما سيحدث فور دخول روبرت المنزل. لكن محاولتها هذه لم تنجح وسمعت خطوته الثقيلة خلفها مباشرة.

كلمتين فقط نطقتهما وهما:
«إلى المكتب»

فطأطأت هي رأسها وسارت امامه إلى هناك وخلعت معطفها قبل أن تجلس على احد الكراسي الجلدية الضخمة والمقابلة للمدفأة التي كانت النار تشتعل داخلها مرسلة الدفء بالغرفة ولكن ليس بداخل نانالي الذي كان كالجليد البارد.

تبعتها روبرت ومزاج غامض واسود ورمى بمعطفه على الكرسي ثم جلس على الكرسي المواجه لها.
«هل هو طفلي؟» كرر السؤال الذي تركته هي بلا

جواب في المستشفى.

ضحكت بقسوة ابعد ما تكون عن المرح وقالت:
«بالنسبة لمعظم الآخرين لا» قالت متذكرة الاتهامات
المروعة التي رماها بها والداه ومتذكرة التحديات حول
معرفتها لهوية والد الطفل كما قالت والدته، وتذكرت
الغضب والعدائية والغموض والذهول التام حول ما كان
سيحدث لها، وألم الرفض يملأ روحها الصغيرة بالذعر
والخوف حول مستقبلها وما عليها أن تفعله وهي بعد
في السابعة عشر ربيعاً وساذجة ووحيدة تماماً.
«ليس هذا ما سألتك إياه» قال بحدة والغضب يحول
عيونه إلى قطعتين من الجليد:
«أنا سألتك إن كان لي ولك ابن أنا لا أعرف شيئاً
عنه».

مجدداً ضحكت بقسوة:

«كلا لا تملك ابناً لا تعرف شيئاً عنه» قالت ورفعت
رأسها إليه بتحدى:
«مع أنه من الممكن ان عندك ابناً كنت تعرف مرة
عنه - والذي - وللمعلوماتك طلب مني التخلص منه وهو
بعد جنين فقط للمحافظة على اسم وسمعة العائلة».
«ما الذي تتحدثين عنه؟» سألها بذهول:
«أنا لم ولن أسمح لأية امرأة تقهر بقتل جنينها وهو
بعد داخلها - مهما كانت الظروف والملايسات».

«حقاً؟» نهضت واحتقارها له وحقدتها عليه كالبركان
داخلها لقدرة على الكذب - حتى على نفسه وتظاهره
بكل هذا الدهول والانصعاق:
«إذن الشيك الضخم الذي اعطوني إياه منك
لإجهاض طفلك به لم يكن له علاقة بك، اليس
كذلك؟» نهض روبرت كالصاعقة على قدميه وامسكها
بعنف وادارها لمواجهته وهو يزار:
«انتظري للحظة... أنا لم اكتب لك أي شيك!
مجبر ام لا! ولهذا توقفي عن الادعاء بأنني مجرم بلا
احساس يدفع لقتل الاطفال الابرياء!».
«أنت هكذا بالضبط روبرت».
«إسمعي نانالي...» قال واصابعه تنغرز بكتفها
بحدة وغضب هائلين:
«لن أسمح لك بمحادثتي بهذه الطريقة! اللعنة
عليك! لقد عيدت الأرض التي كنت تسيرون عليها».
«تعرفين انني اعيد الأرض التي تسيرون عليها نانا».
لقد صدقت هذه الكلمات الحارة فيما مضى لكنها لن
تفعل ذلك مجدداً.
«ارفض مناقشة هذا» اخبرته وهي تنتزع نفسها منه
وتأخذ نفساً عميقاً لتهدئة بركان غضبها.
اخذ بدوره نفساً عميقاً لنفس السبب ثم قال بصوت
هادئ بطيء:

«هل الصبي الذي تخفينه في مكان ما في أرض الله
الواسعة هذه - هو ابني ام لا؟»

لا! ارادت أن تصرخ بأعلى صونها لا، لا الآن ولا
غداً!

ظلت تحديق بالنار وعيونها تقدح شرراً ويدخلها
مرارة السنوات السابقة كلها عادت لتظهر الى السطح
حاملة معها كل آلامها وتحملها والعذاب الذي مرت به
حتى تمكنت من تأسيس عمل ومصدر رزق ثابت لها
ولايتها. وفكرت بالانكار، بالانكار عليه حقه بابنه عقاباً
له على إطلاقه هذا السؤال وحتى مجرد تفكيره بذلك!

ولكن لماذا تفعل هذا؟ لماذا تكذب بشأن نسب
جيمي؟ جيمي هو ابنه وهي كانت فخورة بأن تكون
والدته... مهما كان شعور والده ودوره بهذا.

رفعت نظرها اليه والكره واضح داخل عيونها اللامعة
وقالت عبر اسنانها المضطكة:

«أجل، إنه إبنك - مع كل عدم الاكتراث الذي يشعر
هو به لهذا والحمد لله».

ردة فعله ادهشتها، فهو لم ينعته بصفة كاذبة ولم
يطلبها بدليل حسي يثبت اقوالها ولم يسألها عن كيفية
معرفتها لهوية الاب الحقيقية، بل اخذت تراقب لون
الحياة ينسحب من وجهه بطريقة مروعة لم يسبق لها
وشاهدت مثيلاً لها من قبل.

«استطيع أن أخنك لهذا نائالي...» همس بحشرجة
عميقة:

«استطيع أن اضع اصابعي حول عنقك الجميل هذا
واسحب الحياة اللعينة منك! كيف تجرات واخفيت
عني ابني الذي هو من لحمي ودمي وابقيته بعيداً عني
كل هذه السنوات؟».

شعرت بالإرتعاش من شدة العنف الذي كان يعتصره
فتراجعت إلى الوراء بترنح وسارعت بداء لتطبيقان على
عنقها برقة قاسية.

«تشعرين بالخوف؟» قال وعيونه كالجحيم:

«يجب ان تكوني كذلك يا معذبتى الصغيرة. يا
الهي! يجب أن تكوني كذلك».

الدفاع العدائي برق داخل عيونها وهي تنظر إليه
بتحدي والمرارة العميقة التي تشعر بها نحوه تظهر على
السطح بينهما، مبقية إياها متصلبين وعدائية الثمانية
سنوات تبرق بينهما بشدة.

«إنه إبنى روبرت» قالت وتملكها الواضح جعله
يرتعش:

«ابني انا! أسمع؟! الجزء الوحيد الذي قمت انت به
بهذا الشأن كان مجرد الحصول على المتعة الحيوانية
الشهوانية!»

كفه الذي ضغط بشدة وعنف على وجنتها جعلها

تشهق من الألم وقال:

«لا تحطلي أبداً من قدر وجوده بهذه الطريقة! أبداً»
وعيونته تصبان كل إحتراره لها داخل عيونها.
إبتعد عنها وأدار ظهره لها فيما هو يحاول بصعوبة أن
يتحكم بأعضائه ومشاعره وقد جرّتها كلماته إلى هدوء
يقترّب من العقلانية.
«أنا - آسفة» همست بألم كان محقاً بهذه النقطة
الوحيدة فقط. لا يجب عليها أن تحط من قدر جيمي
بهذه الطريقة.

وأجهها مجدداً وعضلات وجهه متصلة ثم ابتعد نظره
عنها مجدداً ووضع يديه بجيوبه وأخذ يخطو داخل
الغرفة كمادته حين يكون بركان المشاعر مضطرب داخله.
«إتصلي به» قال فجأة وهو يستدير ليوأجهها وقد عاد
التحدي الخطر يلعب داخل عيونته مجدداً.
توسعت عيون نانالي وهتفت بغرابة:
«ماذا؟»

«إتصلي به» قال وهو يجرها من ذراعها ويجلسها
بقسوة على الكنية المجاورة للهاتف:
«إتصلي بابننا - عندك رقم تواجده بالطبع!» رمى
جهاز الهاتف بحضنها وتابع كالنمر:
«إفعل ذلك الآن! أريد أن أسمع صوته».
ارتعشت نانالي حتى أخمض قدميها مدركة أنه كان

يمسك غضبه بشعرة صغيرة وأنه قد يعثر بها حتى اذا
رفقت، حركت بأصابع مرتجفة الرقم التي تحفظه غيباً
والذي سيصلها بمنزل أماليا.

الدموع كانت محتقة داخل حنجرتها. ولحظات
وسمعت صوت أماليا على الخط الآخر.
«مرحبا، أماليا» حيثها بصوت مخنوق أجبرتها على
التنطق وعيونها تنظر إلى روبرت للحظة قبل أن تبتعد
عنه:

«كيف - كيف حال جيمي؟»

«يسحب ويطوي الحياة من عروق مارك».
قالت أماليا بمرح دون أن تنتبه لنبرة صديقتها
واضطربها.

«لقد ذهبوا لاصطياد السمك اليوم. ومارك المسكين
تعثر وسقط في المياه وتستطيعين تصور ما فعله الولدان
بعد ذلك».

«هلا اعطيتني جيمي أماليا لو سمحت؟» قالت نانالي
دون أن تتمكن حتى من الابتسام.
إنتهت صديقتها للتوتر الذي كان يلون صوتها
وسألته باهتمام:

«نانالي هل هناك خطب ما؟»

«لا، لا» طمأنتها نانالي وعيونها تتوسع ل تمنع نفسها
من البكاء:

«كل شيء على ما يرام! فقط أرغب بالتحدث مع جيمي».

«سأناديه لك...» قالت أماليا وسمعت ناتالي صوت صديقتها وهي تنادي جيمي واطبق شعور الكارثة على جوانح ناتالي.

«إذن جيمي هو الحبيب الوفي ليس كذلك؟»
قال روبرت بحقن وغضب:

«أيتها اللعينة! كنت تتحدثين مع ابني من هاتفي ومن منزلي وأمام سمعي دون أن تخبريني بذلك! أيتها اللعينة الحقيرة!»

«مرحباً ماما» سحبها الصوت المشرق والتوتر الهائل داخلها أخذ يتحول إلى أمواج من الألم أخذت تجتاح رأسها:

«هل أخبرتك أماليا عما حدث للعم مارك؟»
سأل جيمي وهو يفقه بسعادة دون أن تعثره أدنى فكرة عما كانت أمه تمر به وتابع:

«سأخبرك لقد كان ذلك أكثر المواقف المضحكة التي شاهدتها وطلوني بحياتنا كلها... لقد انزلت قدمه بحذائه الرياضي الجديد على الأرض الزلقة وقد حذرته من ارتداء هذا الحذاء بالذات لكنه لم يستمع لي وأووفاً فوقع في البحر وانتشر الرذاذ علي وعلى طلوني وعلى الأسماك والميناء وما...»

لم تعد تسمع المزيد لأن روبرت إنتزع السماعة من بين يديها وأخذ يستمع للمرة الأولى لصوت ابنه، ومجدداً رأت ناتالي اللون المتحول على وجهه والمشاعر تتصارع داخله.

ثم رأت وقلبا ينتفض ويكاد ينفجر وروبرت يعيد نظراته المتهمة إليها، رأت الدموع الحارة تلمع داخل عينيه وفمه المتصلب خير دليل على المشاعر المتفجرة التي قد إجتاحتها.

أعاد لها السماعة وراقبته وهو يتعمد بخطواته كالمخمور ويرمي بنفسه على أقرب كرسي ويضع رأسه بين يديه.

«على كل حال» عاد إليها صوت جيمي المشرق:
«لحسن الحظ كان هناك ملابس اضافية له في الحقيبة. فارتداها وعدنا إلى المنزل دون أن نجرؤ على مجرد الابتسام في طريق العودة خوفاً من أن يرمينا العم مارك خارج السيارة».

«أمي أخبريني الآن متى ستعودين إلى المنزل؟»
قفزت ناتالي من مكانها لسؤاله هذا ولم يسعها عقلها المخدر برد مناسب فنقلت عيونها إلى روبرت وصارعت لاستعادة هدوئها. تحرك روبرت من مكانه وتوقف قلب ناتالي للحظة عن النبض لاعتقادها أنه سيأخذ السماعة منها مجدداً مطعماً جيمي على هويته

ومخبراً إياه كم كاذبة ولعينة هي والدته! لكنها سمعت صوت كؤوس زجاجية وادركت أن روبرت يحضر لنفسه بعض الشراب.

استعادت سيطرتها وهزت رأسها بشدة مبعدة غمامة الخدر عن تفكيرها وقالت بصوت مخنوق:

«جيمي اسمع... أخشى أن الثلج يزداد هنا ولا - لا - لا أستطيع حقاً أن أعرف موعد عودتي. لكنني سأنتقل بك لا طلعك على ذلك. أنا مشتاقة جداً لك يا جيمي».

قالت والدموع تهدد بغزو وجهها:

«آسفة للتأخر».

«لا بأس» قال دون أن ينجح تماماً بإخفاء خيبته:

«اعتقد ان على أماليا والعلم مارك تحملي لبعض الوقت الإضافي».

«هذا ما أعتقد أنه أيضاً إلى اللقاء يا جيمي انتبه لنفسك جيداً».

«وأنت أيضاً تصبحين على خير ماما».

«تصبح على خير حياتي».

لحظات طويلة مرت قبل أن تضع الساعة مكانها وتلفت لتجد روبرت قد عاد إلى كرسيه ويده كأس شراب.

أخذت نفساً عميقاً وهي تعض على شفثها السفلى ثم نفذت أمره الصامت ومشيت نحو الكرسي المقابل وهي

تدرك ان هذه هي مجرد البداية.

«ما هو! اسمه الكامل؟» سال دون أن يرفع نظره عن الكأس بين يديه.

«جيمي... جيمسون روبرت شالسي» قالت بهدوء «حسناً، اعتقد أن هذا شيئاً على الاقل. ما هو تاريخ ميلاده؟»

«١٤ نيسان ١٩٨٦» قالت.

طأطأ برأسه مستوعباً هذه المعلومات. رفع كأسه وجرع محتوياته كلها دفعة واحدة. وسيطر الصمت بينهما وادركت ناتالي انه يمر بأعنف الصدمات التي

مرت به بحياته.

«كيف يبدو؟»

«غسلت الدموع وجهها وهمست:

«يا له السماوات» همس بحرارة:

«ما الذي فعلته بك بحق السماء منذ ثمانية سنوات وجعلك تبعدين ابني عني كل هذه المدة؟»

رفعت عيونها الباكية إليه والألم يلتصع داخلها:

«لكنني كتبت لك رسالة روبرت! انت تنظر إلي وكأنني ارتكبت جريمة لا تغفر بحقك... لكنني كتبت لك رسالة اخبرك بها انني انتظر طفلك! انت لم تنس هذا بالطبع - لقد توسلت اليك لتعود لتساعدني! لكنك

لم تزج نفسك حتى بإرسال الرد».

«رسالة؟» هتف بدهول:

«أنا لم أستلم أية رسالة منك».

«آه - توقف عن إدعاء البراءة روبرت ستابلتون».

قالت بحدة:

«بالطبع انت قد استلمتها»

«هل انت واثقة من انك قد ارسلتها؟»

«أجل بالتأكيد أنا واثقة» ردت بتأكيد.

فهي تذكر جيداً ذلك اليوم لقد كتبت له الرسالة بدموعها وتوسلته العودة ومساعدتها لأنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله! ذهبت إلى مكتب البريد بيوم ثلجي عاصف وادعت الرسالة بصندوق البريد أجل إنها واثقة من ذلك كتبتها بوجودها هنا

«أجل لقد أرسلتها» قالت بثقة:

«وأنت قد استلمتها».

«أنا لم استلم أية رسالة منك ناتالي» قال بحدة:

«لقد انتقلت من مقاطعة أونتاريو حيث بقيت لمدة شهر واحد وذهبت إلى فاننا ومنها إلى أماكن أخرى متفرقة حيث كانت فروع الشركة التي تمرنت بها. فكيف تكونين أكيدة انني قد استلمت الرسالة؟»

«أنا اعرف ذلك وحسب» قالت دون ان تفصح له عما قالته لها والدته ووالده من أن روبرت يشك بأن يكون

الطفل طفله من علاقته بفتاة من مستواها.

«حسناً...» قال بنفاذ صبر:

«أذن لفترض ان هناك رسالة وانك قد ارسلتها كما تؤكدين الم يخطر ببالك للحظة أن هناك احتمال الا تصلني رسالتك هذه؟»

«كلا» قالت بثقة غير مصدقة أن هذا كان يحدث فعلاً.

«فكري بهذا ناتالي» حثها بأناة:

«هل سبق لي وطوال سنين معرفتنا أن خذلتك؟»

«أنت فارسي المغوار وأنا حبيبتي إلى الأبد» تردد صدى صوتها المراهق بأفكارها ومعها صوته القاتل بصديق:

«أنت سبب وجودي وكل حياتي نانا».

كل هذا كان خطأ - كل شيء كان خاطئاً منذ البداية. حبهما وتناجيه الهدامة..

لكن ما كان عليها الرجل. هذا ما تعرفه وتدركه هي الآن. كان عليها الصمود وإجبار روبرت على تحمل مسؤولياته بدلاً من ترك زمام الأمور لوالديه المتعسفين. «أسفة» قالت بهدوء الآن وقلبيها يتصلب ضدّه مجدداً:

«أنا لا أصدقك وكل هذا لا يهم الآن، لأن وقت تصحيح الخطأ قد فات - فات منذ زمن بعيد» تابعت

بإرهاق:

«لقد كونا طفلاً بيننا روبرت. لكنك ليس والده فعلاً، وفيما يتعلق بجيمي فهو يعيش حياته بهناء وسعادة بدونك سيحيا بدون أن يتعرف عليك حتى».

«آه، هذا ما تعتدونه انت ؟؟» قال بخفة وهو يقترب منها بخفة كالفهد المستعد للانقضاض على فريسته وامسك بقوة بذراعها والشرر يتطاير من عينيه:

«أذن دعيني اخبرك ايها اللعينة الانانية الصغيرة ان ابني سيعرف من هو والده. انت تدنين لي بثمانية سنوات من حياة ثمانية سنوات لعينة! وسأستعيدهم عليك اللعنة! وسأستعيد كل لحظة من لحظات كل سنة! وسيكون إبني هنا تحت سقفي بظرف اسبوع واحد من الآن! وتستطيعين انت أن تذهبي إلى الجحيم فأنا لا اكرث لذلك مقدار ذرة».

إذا لم يكن بتهديده الشديد هذا من إثارة كل رعبها فقد فعلت قبلته التي تلت ذلك. فقد سحقها وهو يلصقها به ويهوى على فمها بوحشية هائلة سقرت انفاسها وجردتها من كل قوتها.

«لا تفعل...» همست بحرقة حيث رفع شفاهه عنها للمحظات:

«ارجوك لا تفعل...»

«ولم ؟؟» سألها بإغظة:

«كنت تشرقين بقلباتي وتتجاوبين معها بطريقة اشك بوجود مثيلاً لها عند نصف نساء الارض» لامس شفاهها بغمه بخفة ورقة سببت لها الارتجاف:

«من المستحيل ان كل ذلك التجاوب قد مات! انا لا اصدق ذلك».

وكان فمه على شفاهها مجدداً بطريقة مختلفة تماماً هذه المرة. بعف ورقة بقوة واكتشاف وحركت قبلته الحارة هذه غصباً عنها سيل المشاعر الخائبة داخلها والتي اعتقدت ان جذوة نارها قد خبت منذ سنوات وسنوات.

«ارجوك، روبرت» توسلت وشفاهه تقترب من اذنها: «لا تفعل هذا بي مجدداً».

«اتعتقدين انني اريد ان اشعر اتجاهك بهذا؟» قال وهو يرفع رأسها اليه ويحدق بجذوة الرغبة التي اخذت تلمع بأعماق عيونها:

لقد ارتكبت أسوأ وأبشع جريمة تقتربها المرأة بحق الرجل بإخفائك أمر وجود إبني عني! لكن، وليساعدني الله ناتالي - أنا - أنا لا ازال أرغب بك - أرغب بك منذ اللحظة التي شاهدتك بها تنزلين من القطار بتلك المحطة» غضب لهاذه كان يشعل خدوها:

«وهذا...» قال ومرر شفاهه بخفة على فمها متابعاً: «... هذا سيكون وسيلتك الوحيدة للنجاة ناتالي».

أبقي جذوة رغبتي نحوك مشتعلة وسأدعك تحتفظين
بإبتك. والا فإنني سأخذ منك! ولن تقع عينك عليه
أبدأ بعد ذلك.

همجية تهديده تسلكت إلى أعماقها وارتجفت فهو
قادر فعلاً على تنفيذ وعيده. فالمال والسلطة دون ذكر
القانون يسمحان له بذلك ويحققانه له. وجيمي! هل
سيتمكن من إغواء الطفل بتحقيق كل أمنياته وأكبرها
والتي يتمناها كل الاطفال الذين يمثل سنه؟ هي تعرف
نقاط ضعف ولدها واسوأ نقاط الضعف هذه كانت إدراك
جيمي أنه لا يمتلك والداً كغيره من الاطفال.

«سأكرهك دائماً لهذا» صاحت وهي تصارع غيوم
العاطفة الجامحة التي اخذت تهدد بإغراقها وشفاهه
تلامس وجهها وفمها.

«أكرهيني اذن» قال بهدوء:

«لأنك ولو عشت وبلغت المئة فإنك لن تحتقريني
بهدف الدرجة التي احتقرك وازدريك بها ناتالي».

أطبق على «فمها مجدداً قبل أن يبتعد عنها ويقول
بنبرة أمرة:

«أحضري معطفك».

حدقت به بعيون مذهولة وقالت:

«ماذا؟»

«أحضري معطفك» قال وهو يرتدي معطفه.

«لكن - لكن - لماذا...؟»

«لأننا سنذهب لإحضار إيني إلى هنا».

ضربة كالصاعقة كانت كلماته بالنسبة لها:

«لكن روبرت» صاحت:

«لا نستطيع الذهاب إلى واشنطن بهذا الطقس! بحق

السماء...»

ادارته بقوة ليواجهها وتابعت:

«إنظر للغد» توسلته بحرارة.

من الواضح أنه لا يزال تحت تأثير الصدمة وهو لا
يفكر بوضوح دون شك.

«قد يتوقف تساقط الثلوج غداً وستعود الطرقات إلى
حالتها السالكة. ارجوك! إنظر للغد».

نظر إليها واستمع لكلماتها المتوسلة ثم قال:

«أحضري معطفك ناتالي. سنذهب الآن».

يجنون غادرا المنزل بليلة العاصفة تلك وكان المطر
ينهمر بغزارة على زجاج السيارة بطريقة تجعل الرؤية
بالغة الصعوبة. لكن روبرت كان يركز عيونه الصقرية
على الطريق امامه ويسير بتصميم كالجبال. لم يتكلم
أي منهما هو كان متجها إلى هدفه متحدياً كل العوامل
الجوية السيئة جداً وهي كانت أكثر من خائفة للتكلم
وعيونها مركزة على الطريق الزلقة امامهم وقلبها على
لسانها معظم الوقت وهي تراقب تستمع وتشعر بأقل

صوت تصدره عجلات السيارة على الأرض التي تحولت إلى أنهار من المياه المتدفقة.

حين وصلنا إلى أطراف الضاحية خفت حدة المطر قليلاً وحتى الرياح خففت من عويلها الناحب وتمكنت ناتالي أخيراً من الاسترخاء قليلاً والاستغراق بأفكارها المضطربة.

إصرار روبرت الكامل على انكاره لرسالتها أمر يحيرها - لأن هذا لا يخدم هدفاً معيناً الآن، اللهم إذا كان يريد أن يحتفظ بماء الوجه.

لكن لسبب ما أدركت أن هذا ليس هو السبب. في الماضي روبرت الذي كانت تعرفه كان يتحمل مسؤولياته سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، متحملاً عقابه عن كل الأخطاء الصغيرة التي كان يقوم بها بقوة وشجاعة. وهكذا فإذا كان قد استلم رسالتها فكان سيسرع بالعودة إلى المنزل على جناح السرعة. برتد أم لا، روبرت الذي كانت تعرفه كان سيعود إليها بسرعة لو مهما وقف بطريقه من عقبات.

وتساءلت بألم هل ظلمته وكانت هي السبب بالاجحاف بعدم محاولتها الاتصال به ثانية طوال كل السنين الماضية؟ تذكرت كم كانت الفكرة تجول برأسها في أول فترة هروبها من آشلي وقد خطت مرة له فعلاً رسالة قصيرة لكن بدلاً من أن تضعها في صندوق البريد

فقد وضعتها في سلة المهملات. فرغم كل الصعوبات والمشاق التي تعرضت لها فور هروبها بتأمينها لعمل ولمكان يأويها هي وطفلها الذي كان رضيعاً إلا أن كبرياءها كان دوماً يمنعها من محاولة الاتصال بروبرت مجدداً. وقد ساعدها المبلغ الذي اعطاها إياه والده المتخلص من الطفل على تأمين مكان إقامتها والبدء بتجارة صغيرة كانت كافية لتقنها التسول والحاجة.

«لقد إتصل بي ابني هذا اليوم» قال لها والده في ذلك اليوم المشؤوم:

«بدأ مبتشئاً من رسالة ما قد أرسلتها له وتدعين أشياء خاطئة وكاذبة عنه، وابني بالطبع ينكر كل ما تقوله رتدعيه».

كيف من الممكن لها التصديق ان روبرت لم يتسلم رسالتها؟ لم يعرف أي شخص برسالتها هذه سوى هي نفسها ولكن...!

لقد شاهدت وهي تضع رسالتها بصندوق البريد جان طومسون السائق الخاص لوالد روبرت الذي أخذ يرمقها بنظرات غامضة وهي تطلب من موظف البريد إرسال الرسالة إلى كندا. هي لم تهتم لهذه النقطة بتلك اللحظة لكن لسبب غريب غريب تذكرت هي الآن تلك النظرة الغريبة التي رماها بها جان هذا.

هزت رأسها بقوة قائلة انها ستصاب بالجنون إذا ما

ظلت تفكر بهذه النقطة. لا شك أن روبرت يكذب
ولسب ما بشأن عدم استلامه للرسالة المصيرية التي
كانت ستغير كل حياتها وتمحي هذه السنوات الثمانية
من حياتها وحياة جيمي لو ان والده روبرت تصرف
بطريقة أخرى واستجاب لرسالتها تلك!!

الآن، ببطء وعناية تلمعت في مكانها محاذرة الا
تجذب انتباه روبرت وادارت رأسها لتدرس بروفييل
وجهه. كان لا يزال شاحباً وملامحه متصلبة متوترة،
لكن الجاذبية كانت لا تزال هناك، تشع خلال طيات
التوتر والقلق. قبل ثمانية سنوات كان هذا الوجه معتاداً
على الاشراف بالبسمات والضحكات حتى بدون سبب
ولمجرد رؤيته لها.

«انا سعيد، أحب البقاء معك» كانت كلماته دوماً
كلما كان برفقتها. هي لم تشاهده يتسم منذ لحظة
وصولها إلى آشلي هو لم يتسم مطلقاً.
للحياة طريقتها الخاصة بتغيير الأشياء، فكرت حتى
هي لم يتسم كثيراً بعد مغادرتها لآشلي وبعد وصولها
مجدداً إليها الآن. بينما في الماضي كلما كانت برفقة
روبرت لم يكن الضحك والابتسام يفارقها ولا للحظة
واحدة فقط. كانا يضحكان، يثرثران، يتقائلان يمارسان
الحب... ألم الذكرى أخذ يسري في جسدها لتحسرها
على الحب والثقة التي كانت بينهما فيما مضى.

هل سيدبر روبرت القديم أو الجديد ظهره
لمسؤولياته؟

مجرد رؤيتها له مع عمتها يعطيها الجواب الواضح.
هو لن يتخلى ابداً عن مسؤولياته اتجاه أي شخص
يرتبط هو به بأية علاقة.

هل كانت هي غبية لتصدق كلمات والده؟ أكانت
غبية وعمياء وحماة كفاية لتصدق أنه من الممكن
والمعقول أن يهجرها روبرت ويتخلى عنها بتلك
الطريقة؟

ارتعشت وشدت اطراف المعطف حول جسدها. من
غير الممكن ان يعرف والده بأمر الرسالة الا من روبرت
نفسه. لا، أمرت عقلها بالتوقف عن التفكير عن
الاعذار لروبرت. فلا يوجد له أي مبرر. المبررات لا
تواجد له أصلاً.

توقف روبرت لتعينة السيارة بالترين واحضر لها
فنجاناً من الشوكولاتة الساخنة ناو لها إياه دون ان يتكلم
أو حتى دون أن ينظر إليها. وتابع الانطلاق مجدداً
والجو الأسود الثقيل لا يزال يسيطر بينهما، وأخذت
تفكر ناتالي بمنزلها، بمنزلها وجيمي والذي لن يكون
ابداً منزل روبرت.

ارتعشت بوضوح والثقت روبرت للحظة نحوها.
«تشعرين بالبرد؟» سألها بنبرة بلا لون.

هزت رأسها بنقي دون أن تطيعها حنجرتها بالنطق
وثابت النظر عبر زجاج نافذتها. وعاد الصمت ليسيطر
بينهما مجدداً وفرحت هي لهذا. فهي حقاً لا تملك أي
شيء آخر لتشارك بالحدث به مع روبرت. لا شيء
ابداً.

غفت لبعض الوقت على صوت رثابة العجلات دون
أن تنس حذرهما من وجود روبرت قربها انطلاقتها إلى
المجهول الكامل الذي تخشاه كالموت.

فتحت عيونها بعد بعض الوقت ووجدت أنهم قد
وصلوا فعلاً إلى مدخل واشنطن.
«من أين الآن؟» سألتها دون أن يلتفت نحوها وقد بدا
مرهقاً وشاحباً.

ارشدته إلى العنوان بصوت بلا لون ثم عادت
للصمت بعد أن عرف هو الطريق.
المطر هنا قد تحول إلى رذاذ خفيف والطرقات كانت
مضادة وواسعة فزاد روبرت من سرعة سيارته واكملت
هي إرشاداتها ودخلا في الطريق الفرعي الذي يقع
منزلها بآخره.

حالما وصلا غادرت نانالي السيارة وهي تشعر
بالخدر والشلل بكل أطرافها. إنضم روبرت إليها بعد
لحظات ووجهه لا يزال يرتدي الصلابة والتصميم.
«جيمي ليس هنا» قالت وهي تفتح الباب:

«إنه الآن عند إحدى صديقاتي».

طامطاً برأسه وكأنه قد إستنتج ذلك مسبقاً. أضاءت
ضوء المدخل وإتجهت نحو غرفة المطبخ.
«أقدر حصولي على فتجان من القهوة قبل التوجه
للتوم ناتالي» قال بتصلب وقد ظننها متجهة إلى غرفة
النوم.

نظرت إليه وقالت:

«أنا متجهة إلى المطبخ».

سار خلفها ودخلا المطبخ الصغير خاصتها والذي
كان مرتباً وصغير الحجم كياقي غرف منزلها. كان
روبرت ينظر حوله بامتناعاض وادركت نانالي أنه يفكر كم
هو من غير الملائم لجيمي الإقامة بهكذا مكان. لكنها
وجيمي كانا سعيدين بهذا المكان وارتدت إختياره بذلك
لكن الارهاق والتعب منعاهما من فعل ذلك واكتفت
بالتشاغل بتحضير القهوة.

جلس هو على الكرسي الصغير وقال فجأة:

«كم يبعد من هنا؟»

لقد شعرت طوال الرحلة أن أفكاره كانت مركزة على
جيمي وسؤاله هذا يؤكد ذلك.

«ليس بعيداً» ردت:

«بعيداً عن هنا حوالي العشرة أميال».

طامطاً رأسه وقال بإرهاق:

«سأذهب لأحضره إلى هنا في الصباح».

«لا» صاحت نانالي وهي تحدق به بذعر:

«ليس - ليس عليك أن تفعل ذلك. أ... آماليا

ستحضر وإياه إلى هنا في الصباح. فالمحل يقع بنصف المنزل الثاني وهي تفتحه في التاسعة صباحاً وتحضر جيمي وأينها معها. ولهذا - فليس من الضروري ذهابك لإحضاره».

طأطأ روبرت برأسه وتنهدت بعمق أنه قد تقبل لتبصيحها.

من غير الممكن لها مجرد السماح لروبرت بإظهار نفسه هكذا في حياة جيمي. ليس بدون مقدمات وشروحات على الأقل.

«تفضل» قالت وهي تضع الفئجان أمامه على الطاولة:

«القهوة. بعدها سنحاول النوم».

«كم هي الساعة الآن؟» سألها وكأنه على وشك

الغياب عن الوعي من شدة الإرهاق.

«الواحدة بعد منتصف الليل» قالت وعقلها مشغول بما ستقوله أو تفعله غداً.

جلست على الكرسي المقابل له وهي ترتشف فئجائها وتحديق بالطاولة الخشبية».

«ما الذي حدث لنا بحق السماء نانا؟» تتمم فجأة

رافعاً عينوه المتورمة نحوها:

«أين بحق السماء ارتكبنا الخطأ؟»

ملأت الدموع عينونها وهست بصوت خافت:

«لا أعرف روبرت. أنا حقاً لا أعرف».

«يا الله» قال:

«إنني أدير الأشياء وأفكر بها برأسي مجدداً ومجدداً

دون أن اتوصل لشيء مطلقاً»

«أذن لا تفعل ذلك» إقترحت بوهن ثم شعرت بالشفقة

عليه لأن كل شيء كان فعلاً بفوضى عارمة.

مرت يدها لتلامس يده وقالت:

«من غير المجدي التفكير بكل ما حدث. اترك الباقي

للغد، حتى يصفى ذهنك وتتمكن من التفكير بوضوح».

حدق بيدها بأصابعها الرقيقة وهي تلامس يده الكبيرة

وتهدلت كتفاه بألم فعضت نانالي على شفتها لتمنع

نفسها من البكاء. لا، مهما كان ما حدث منذ ثمانية

سنوات فهي تدرك تماماً أن روبرت قد مر بأصعب

عذاب بحياته لرفضه لطفله. ولربما، هو كعنتها قضى

السنوات الماضية هذه وشعوره بذنبه يقرض ضميره

ويقتض مضجعه.

«هيا» قالت بتنهّد وهي تبعد يدها عن يده:

«لنخلد للنوم. نستطيع أن تستعمل غرفة جيمي ما

دام هو خارجها»

«كلا» قال ورأسه يهتز بشدة وعيونه تحدقان بها
بتصميم:

«سننام بغرفة واحدة بما تبقى من هذه الليلة»
كلماتها صلبتها ومنعتها من الحركة وحدقت به يدهول
وعدم تصديق:

«أنا لن أنام معك» صاحت مجنون.

«ستفعلين» أصر دون أن يتحرك:

«أو انك لن تنامي أبداً. لا سبيل آخر لك ناتالي، أنا
لن أسمح لك أبداً بالتسلل ليلاً لتسرقني ابني مني مجدداً
وتختفي للمرة الثانية».

«لكن - هذا - هذا تفكير مجنون روبرت!» قالت وهي
تشهق بدهشة:

«إلى أين سأذهب؟ منزلي هو هنا... وعملي! أنت
لا تفكر بوضوح... استعمل سرير جيمي وسأوقظك
بالوقت ال...».

«قلت أننا سننام سوياً» قاطعها بتصميم:

«الله يعلم...» تابع بتنهيد:

«أنا بحاجة لبعض الدعم الانساني بهذه الليلة، وبما
أنك سبب هذه التعاسة الهائلة التي تشتعل داخلي فأنت
وحذك المسؤولة عن التخفيف من ذلك». مجدداً العيون
الجليدية اخترقتها والانهاومات كلها واضحة بأعماقها
وتابع بقوة:

«النوم فقط. هو كل ما أريده إذا ما كان عقلك
المعكوس يفكر بشيء آخر. النوم هو كل ما أريد من
الاطمئنان إلى أنك موجودة بجانبني حتى أواجهه في
الصباح».

تهدت ناتالي وتراحت كتفها باستسلام وقالت بتناقل
ووهن:

«النوم».

ثم وقبل أن تفكر للحظة أخرى بما كانت تفعله
غادرت المطبخ متجهة إلى غرفة نومها. روبرت لم يكن
يعرف ذلك لكن في الحقيقة هي كانت بحاجة يائسة أكثر
منه للدعم الانساني الذي تحدث عنه. وهذه حاجة لم
تشعر بها طوال السنوات الثمانية الماضية.

«غرفة الحمام من هناك» اشارت إلى باب صغير:

«سوف ابدل ملابسني فيما تغسل أنت وجهك
ويديك».

استغرقت دقائق قليلة فقط لتخلع ملابسها ولترتدي
قميص نومها الطويل. مرا بجانب بعضها البعض وهي
بطريقها إلى الحمام بعد خروجه هو منه لكنهما لم
ينظرا إلى بعضهما البعض.

غادرت الحمام بعد دقائق واندست بالسرير الى جانبه
محاذرة أن تلمسه أو تقترب منه.

لكن ذراعه امتدت وقربتها منه ملصقة إياها بصدرة

الصلب.

«شكراً لك على هذا» تتمتع بنعاس وفمه قرب شعرها
الحريري:

«أعرف أن هذا كان طلباً مبالغاً به لكنني بحاجة لك
هذه الليلة، نانا، أنا بحاجة لك...»

وغرق بالنوم بهذه السرعة. ظلت نانالي بلا حراك
بين ذراعيه دون أن تصدق أنه قد استغرق بالنوم بهذه
السرعة وأخذت تشعر بضربات قلبه التي هدأت وبتنفسه
الذي انتظم وأدركت أنه فعلاً قد غرق بالنوم. ثم،
ويبطء أخذت تشعر بالاسترخاء وقد سرى الدفء
بجسدها من جراء التصاقها به واعمضت عيونها واغرقها
الارهاق والتعب بالنوم.

ثم استغرقت غفوتها هذه هي لا تدري، فقد أخذت
تعود إلى وعيها ببطء وشعور عارم بالدفء اللذيذ يغزو
جسدها.

فتمطت بتهند ونعاس.

راقب روبرت حركتها هذه من مكانه قريباً وهو
متكى على ذراعه ويدرس ملامحها الناعسة وجسدها
الرائع. إنحنى على خدنها الحريري وقبلها بخفة
وتعمتت هي شيء ما مطالبة بالمزيد.

- ٩ -

فأعطاهما ما تريد وأخذ يقبل انفها الرقيق ورموشها
المغلقة ووجنتيها.

«نانا...» همس بركة

«روبرت...» تنهدت واستدارت نحوه وذراعيها
تعانقان رقبته وتشده إليها.

ابتسم قليلاً وبرقة بنفس الرقة التي كانت تعود هي بها
إلى الوعي واقترب بفمه منها وأخذ يرتشف بحنان
غريب رحيق شفاهها الجائعة للحب وأخذت يداه
تتحركان على جسدها إياها من القماش الذي يفصل بين
جسديهما.

استيقظت ناثالي تماماً حين شعرت بيديه على ساقها وشهقت:

«روبرت!» دون أن تكون واثقة تماماً سواء اكانت صاحبة أم تحلم.

«شش» همس بخفة:

«لا بأس. انت تريدني نانا، جسدك يخبرني بهذا، والله يعلم...» همس بعمق:

«انني أريدك بدوري وبقوة...»

غطى فمه فمها مجدداً مانعاً إياها من الاعتراض فيما اخذت هي تصارع رغبتها العميقة بالاستسلام الكلي له وقد أخذت ملامساته له تثير نيران رغبتها تماماً كما يحدث في الماضي.

آه، لا... همست بعمق وقد أخذت أمواج المتعة تغرقها بلججها.

«لا أريد هذا» همست بإرتعاش.

«بالطبع تريدين» اكد لها:

«هذا ما ولدت لأجله، أن تكوني لي بهذه الطريقة!»

حقاً؟ هل ولدت لتعرف فقط اللذة الساحرة للمسة هذا الرجل؟ وهي هنا بين احضانه ادركت أن ما يقوله كان صحيحاً لأن ولا أي رجل آخر كان قادراً على الاقتراب منها وفعل هذا لها. ولا أي رجل غيره منذ البداية.

«ستقتلني بهذا اتعرف؟» صرخت بيأس مما كانت تسمح بحدوثه بكل ذرة في كيائها.

«لكن يا لها من طريقة للموت يا حبيبتي» تمت بهمس:

«ضائعة بين ذراعي الرجل الذي يعبدك بيأس ويقدريه».

«يا الهي ناثالي لكن عليك أن تلمسيني، كل هذا عذاب رائع رائع».

استيقظت في الصباح بإدراك عميق أن شيئاً جذرياً قد تغير بحياتها. تمطت بنعاس وشعور الدفء والمتعة لا يزال داخلها.

ثم تصلبت وقد لامست ذراعها جسد دافئ وعاري جعلها تتجمد للحظة. ثم ادارت رأسها ورأت روبرت ينام بسلام وهدوء قربها وعادت ذكرى ما حدث تغزو عقلها وتلون بالرعب خدودها.

«يا إله السماوات» قالت بصوت مختوق وهي تحاول به بما الذي فعلته؟؟

بدا مسترخياً وراضياً، تماماً كروبرت الذي عرفته منذ سنوات. انتفض قلبها وأخذت الدموع تتساقط بصمت من عينيها.

انها تحبه رددت بنفسها بألم. تحبه بعمق وقوة تماماً كما كانت دوماً وكما ستظل إلى الأبد. تحبه بكل ذرة

من وجدانها بكل لحظة من حياتها. معرفتها هذه تركتها
تشعر بالوحدة والفراغ لأنها ادركت تماماً الآن. أنه مهما
كان ما سببه روبرت لها من ألم وعذاب إلا أنها لم
تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال السنوات
الثمانية تلك.

لكن هل يعني هذا أن عليها السماح له بالتسبب لها
بأي ألم وعذاب وعليها مسامحته بعد ذلك؟ لربما
ستفعل ذلك ردت على نفسها بمرارة وألم.
فتح عيونه والبريق الساحر داخلهما.

«لماذا؟» هفتت به.

إبتسم وانكىء على ذراعه محدقاً بها وقال ببساطة:
«أريد إيني، بأي ثمن لكنني أفضل أسهل وأمتع
اللاثمان. انت هو ذلك الثمن ناتالي. غير الأم سأحصل
على الإبن» قال ومد اصابعه ليداعب أطراف فمها
المرتعش.

«انت - انت خططت لهذا؟» قالت بذهول لشدة خيبة
إذا ما فعل.

«ما الذي تعتقدين انني كنت افعله طوال فترة الرحلة
من آشلي إلى هنا؟» قال وعيونه تسخران منها:

«أنا لست أبليها ناتالي، مع انني اعرف جيداً أنك
تعتقدينني كذلك. ألفتط طريقة للحصول على إيني هي
عبرك أنت. عليك أن تكوني بجاني أنا حتى تجعلني

تقبله لي أسهل واسرع - لكنينا معاً».

قطبت بعدم فهم وقالت:

«لا أفهم كيف إغوانك لي سيكسك ذلك الدعم»
«بالطبع تفهمين» قال بسخرية رقيقة ويده تلامس
جسدها وشعر فوراً باستجابتها له وضحك بركة قائلاً:
«أنتين؟ أنت لي ناتالي! علي فقط ملاستك
هكذا...»

وفعل ومجدداً نجابت معه بعجز:
«... حتى أجعلك راغبة بتنفيذ أي شيء مقابل
الحب والمتعة»

«ياه!» قالت باختناق:

«أنا اكرهك».

«لكنك مستعدة لي في أي وقت» أعلمها بقسوة وهو
يقبلها مجدداً بإثارة وغرقاً سوياً ببحر الحب.
«انت لي الآن ناتالي» قال لها بعد فترة:

«تذكري هذا حين يعود جيمي إلى المنزل. فقد يعني
هذا الفرق بين حصولك عليه او خسارتك له».

«لا تهددني روبرت» قالت بهدوء وهي تنزل من
السرير وقد ادركت بعد ما حدث هذه الليلة انها له وانها
كانت دوماً وستبقى له حتى لو لم يعد يرغب بها...
«انت لم تتغير كثيراً عبر السنين لا؟ لا تزال متوحشاً
على صورة إنسان».

إبتسم واقترب منها وتعمت قرب فمها:
«وانت أيضاً لم تتغيري، يا معذبتى الصغيرة» قبلها
بتلذذ وعمق وتابع:
«وستظلين هكذا إلى الأبد».
ضحك وابتعد عنها وقال:
«ها إذهبي وارتندي ملابسك فلا أريد أن يصل إبني
ويجد والدته هكذا».
«أنت ملعون روبرت أنت كذلك حقاً» تمتعت بجفاف
وهي تتجه نحو الحمام.
«لست كذلك لكن إبني ينظر العالم كذلك» قال
بحدة:

«وهذا خطأ سيتم إصلاحه على الفور».
«وماذا يعني هذا؟» سألته وقد شعرت بالخطر.
«سأذهب لأحضر الفطور» قال متجاهلاً سؤالها وخرج
من الغرفة تاركاً إياها تحديق بالفراغ خلفه متسائلة عما
قصده بكلماته هذه.
استحمت وغادرت الغرفة بعد أن إرتدت ثوباً أبيضاً
جَمِيلاً وأخذ التوتر يزداد داخلها كلما إقتربت الساعة من
التاسعة.

سمعت صوت السيارة في الخارج ورأت أماليا
وجيمي وطوني يغادرونها.
ركض جيمي نحو سيارة روبرت الفارهة المتوقفة

قرب المدخل ثم سارع بدخول المنزل بعد أن شاهد
والدته تقف خلف النافذة.
«ماما!» صاح وانتفض قلبها لسماعها لصوته وهو
يقترب من باب الدخول.
«أرجوك روبرت...» إستدارت بحرقه نحو روبرت.
«أرجوك دعني اتحدث معك أنا أولاً - دعني أشرح».
«تشرحين؟ كيف؟» تحداهما بشدة:
«بإجلاسه وإخباره كم هو والده حقيراً وعديم
المسؤولية وبلا مشاعر؟» رفع عيونه القاسية إليها وقال:
«لا، سنفعل ذلك سوياً».
«لكن...» فتح باب الدخول وأخذت الخطوات
تقترب منهما فسارعت ناتالي إليه وأمسكت بذراعه
بشدة:

«أرجوك، أنت والده بحق السماء روبرت! أنا لن
أؤذيه أبداً بتصويرك بتلك الصورة البشعة! فهذا سيغني
كأنني أشوه صورته هو نفسه».
إقترب صوت الأقدام أكثر وازداد التوسل بأعماق
ناتالي لخوفها من تعرض فلذة كبدها للصدمة.
«أرجوك روبرت إرحمني أرجوك وانتظر».
«حسناً، سأفعل ذلك في قصر النجمة! وسأخذك
وإياه إلى هناك في الحال. أسمعت في الحال؟».
«موافقة، موافقة» قالت بسرعة وقد إنفتح الباب

ودخل جيمي بوجهه المشرق بالسعادة.

«ماما! صاح بلهفة:

«متى عدت؟ هل رأيت تلك السيارة الرائعة المتوقفة قرب منزلنا؟ من تعتقدينه ي... تلاشى صوته بعد أن إنشبه أن أمه لم تكن بمفردها داخل الغرفة وخفت الإشارة عن وجهه بعد أن رأى الغريب الواقف وسط الغرفة.

«آه، آسف، لم أدرك أن هناك أحداً غيرك هنا».

ثم سيطر الصمت على جو الغرفة. لا شيء - لا شيء بالصورة التي تخيلتها ألف مرة حول مقابلة روبرت لجيمي خلال السنوات الثمانية الماضية والتي كانت تدرك أنها كانت ستحصل يوماً ما كانت مشابهة كما كانت تراه الآن وروبرت واقفاً يحدق بابه المطابق له بتلك الملامح والتقاطيع.

ثم دخلت أماليا خلف جيمي كاسرة التوتر الخائق ووجهها الجميل فضولي وهي تنظر إلى ناتالي الواقفة بلا حراك قرب النافذة. نظرت ناتالي إليها بتوسل وهزت رأسها بتحذير صامت والدموع المهددة داخل عيونها ووجهها الشاحب كوجوه الموتى أفهمت أماليا أن خطباً ما قد حل. وتحركت عيونها إلى روبرت وكحال كل من يعرف جيمي فإن الشبه الكبير بينه وبين الرجل الغريب الواقف داخل الغرفة كان أكثر من واضح وشحب وجه أماليا نفسها وهي تعود بنظرتها إلى

ناتالي.

ثم بحساسية شكرتها ناتالي عليها فهمت أماليا أن عليها الخروج فاستأذنت وغادرت الغرفة تاركة إياهم بمفردهم.

«جيمي...» استجمعت ناتالي بقوة نفسها تاركة ذراع روبرت ومقتربة بخطوات بطيئة وهي تبتسم لطفلها: «تعال إلى هنا» حنته بصوت مبحوح وهي تمد يدها نحوه:

«هناك شخص هنا يود مقابلتك...»

تناول جيمي يدها وسمح لها بجذبه نحوها فيما عيونهم تحدقان بروبرت الثابت كالثمثال. صارعت للسيطرة على مشاعرها بهذه اللحظة العاصفة ونظرت إلى طفلها ثم إلى روبرت.

«روبرت...» تمتعت بصوت مخنوق وهي تصارع دموعها التي أخذت تهدد بالانسياب:

«هذا جيمي. جيمي... هذا صديق قديم لي. إسمه - إسمه هو روبرت ستابلتون وهو...» لم يعد بإمكانها قول المزيد وأخذت شفاها ترتجف وتوسلت لروبرت للنجدة للمساعدة.

«مرحباً» قال جيمي مخففاً الضغط الهائل الذي كان يخنق الآخرين ومد يده نحو والده وهو يشعر بالتوتر المسيطر على الجو دون أن يفهم السبب بذلك.

روبرت لم يتحرك. بدا غير قادراً على ذلك ونظرت
ناتالي باضطراب إليه. وجهه كان كالبلور تماماً
والتصلب الواضح على ملامحه يظهر مدى البركان
الهائل الذي يتفجر داخله من جراء صدمة رؤيته
لابنه...

«روبرت...» توصلت بصوت مرتعش واجتاحتها
موجة من التعاطف المرير وهو يرفع عينه لتتشابك
نظرتيه مع نظرتها. حثته بملامحها والارتعاش الصغيرة
لكتفها دلته أنها عاجزة تماماً ولا تعرف ماذا عليها أن
تفعل. فابتعد روبرت بنظرتيه عنها وعاد لينظر إلى وجه
جيمي المراقب.

- ١٠ -

تحرك الطفل بعدم إرتياح من جراء تحديق روبرت به
وتحركات اليد الصغيرة مما جذب انتباه روبرت إليها
للمرة الأولى وظل يحديق للحظات باليد الصغيرة
الممدودة نحوه ثم أعاد عينيه إلى وجه جيمي ثم إلى
يده وامتدت يده هو ببطء وارتعاش لتمسك باليد
الصغيرة.

ثم رفع عينيه مجدداً إلى ناتالي والانهام القاسي يلتصق
بأعماقه الرمادية. هذا هو إبني! كانت عينوه المريرة
تقول لها. إبني! وستدفعين أنت ثمن إخفائه بعيداً
عني!

ارتعشت واضطرت للابتعاد بنظرها عنه والألم
والدنب يخفقانها سمعت روبرت يأخذ نفساً عميقاً مهتزاً
ويستجمع شتات نفسه.

ثم جاءها صوته المرتعش:
«اهلاً يا بني».

كلمة بني هذه حزت بأعماق ناتالي كحد الخنجر
الحاد وتمنت لو بإمكانها فقط الهروب من هذه اللحظة.
«هل هي سيارتك التي في الخارج؟» سأل جيمي
بفضول متشجعاً من ابتسامة روبرت التي له:
«إنها ألفا روميو اليس كذلك؟ اعرف لأنني قد رأيت
صورة لها في إحدى المجلات. ما هي مدى سرعتها؟
هل تتجاوز حدود المئة؟ سيارة ماما تصل حتى الثمانين
فقط لكن...» الحديث البريء والرفيق هذا أعاد
روبرت إلى الواقع وجعله يأخذ نفساً عميقاً أعاده من
المكان المظلم الداكن الذي اخذته اليه الصدمة.
«بالطبع تستطيع الوصول إلى المئة وتجاوزها أيضاً»
اجاب:

«وإذا أحببت فسأخذك بها بجولة مطولة الآن».
«حقاً؟» سأل جيمي وعيونه تتوسع من الدهشة
واقترب بخطوة متشوقة نحو والده:
«هذا سيكون رائعاً! لم يسبق لي ابداً أن ركبت
بسيارة مثل هذه».

الدهشة والإثارة كانت تلون نبذة جيمي وتجمدت
ناتالي.

«هيا سنذهب الآن فوراً أنت والدتك وأنا بمرحلة
مطولة سنستغرق ساعتين ونصف».
ساعتين ونصف حقاً؟ يبدو هذا رائعاً اليس كذلك
ماما؟

اكتفت ناتالي ببطأطة رأسها بموافقة للعيون الممتلئة
بالإثارة والتي كانت تنظر اليها.
«لكن إلى أين سنذهب؟»

«سأخبرك بالطريق!» رد روبرت بابتسام:
«هيا لربما نود تغيير ملابسك استعداداً للمناسبة.
سأساعدك بذلك فيمَا تخبر والدتك صديقتها عن رحلتنا
هذه».

ابتسم جيمي بفرح وامسك بيد روبرت الممتدة نحوه
ونفذ ما كان روبرت يقوله:
«هيا يا بني سأساعدك بتغيير ملابسك ونتنظر والدتك
في السيارة».

قاده جيمي والسعادة تضيء وجهه إلى غرفته وأخذ
يثرثر بسعادة عن كل الاشياء المتعلقة بالسيارات والتي
هو مغروم بها.

سارت ناتالي بخطى مخدرة نحو الباب المؤدي إلى
البيتك الخاص بها وبأماليا.

هبت آماليا إليها فور دخولها وشكلها يوحى انها على
وشك الانهيار الكامل.

«ناتالي، بحق السماء» هفتت آماليا وهي تسرع
لتساعد صديقتها على الجلوس على اقرب كرسي:
«ما الذي يحدث؟ وهذا الرجل إنه... إنه والد
جيمي اليس كذلك؟»

اندفعت الدموع من عيون ناتالي وهمست:

«آه آماليا لا اصدق أن كل هذا يحدث لي. سيأخذنا
روبرت إلى أشلي مجدداً ولا... لا أعرف ماذا علي أن
أفعل آه... أنا لا أستطيع منافسة روبرت وما بإمكانه
أن يقدمه لجيمي وهو يعرف ذلك تماماً».

«لا شك أن الأمر كان بالغ الصعوبة عليه هو» أيضاً
ناتالي قالت صديقتها بمنطق:

«إن يكتشف بعد ثمانية سنوات ان له إبنا يمثل روعة
جيمي».

«صعب ان يكتشف إن ابنه لا يزال على قيد الحياة
تقصدين» قالت ناتالي بمرارة لصديقتها التي تعرف
القصة بأكملها:

«لا أستطيع نسبان الحقيقة أنه قد تنازل عن مسؤولياته
اتجاه جيمي حتى قبل أن يولد».

«لا، لا أعتقد أن بإمكانك ذلك» وافقتها آماليا:
«لكن - هل أنت واثقة أن رسالتك تلك قد وصلته

ناتالي؟ الجواب على هذا السؤال قد يعني تبدل الكثير
من الأمور».

«لقد أرسلتها» ردت ناتالي بتصميم:

«لقد وضعتها بالصندوق الخاص ولا شك أنها قد
وصلته. فلا تحاولي المجادلة بهذه النقطة آماليا
أرجوك».

«حسناً لن أفعل» قالت صديقتها بفهم:

«ما الذي ستفعلينه الآن؟»

«لقد توسلت له الا ينقل الخبر لجيمي كالصاعقة
ووافقت غصباً عني على الذهاب إلى أشلي معه. أنا
وجيمي. فعمتي لا تزال في المستشفى لكن الخطر قد
زال عنها والحمد لله. وستكون بخير مساء هذا اليوم
و... يريد روبرت إطلاق جيمي على كل الحقيقة هناك
و... آه، ماذا يجب أن أفعل؟»

«فقط إفعلي ما يريدك منك ناتالي» ردت آماليا:

«للحياة طريقة غريبة يحل عقد ومتاهات أيا منا.
وأشعر بأعماقي أن كل شيء يسير معك على ما يرام
ناتالي من الآن فصاعداً. لقد تعذبت كثيراً وتعرضت
للظلم والطرد من اقرب الناس لك لكن السعادة ستعرف
طريقها اليك قريباً. هذا ما تنبؤني به حاستي السادسة
وأنت تعرفين صدق هذه الحاسة ناتالي؟»

ضحكت ناتالي بخفة ومسحت دموعها وقالت:



روایات غنادہ



ماتیلدا سالمون

حیاتی الذی میوت



دار العلم للجمع

شعوب - لبنان

غادة

حبي الذي يموت

ماتيلدا سامون

رسالة مصيرية كتبها ناتالي شالسي البالغة من العمر سبعة عشر عاماً لم تصل إلى المرسل إليه وكان هذا السبب الذي دفعها للرحيل عن بلدة طفولتها وحياتها والغرق في تحضم حياة جديدة بعيدة ومشوحلة هي وفلذة كبدها الذي يريد الجميع منها التخلص منه وإجهاضه وهو بعد جنين.

لكن ابنها هذا كان ابن حب حياتها والذي لم تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال سنوات رحيلها والتي امتدت لثمانية أعوام كاملة. لكن روبرت متشابثون عاد ووجدتها الآن ووجد ابنه الذي هو صورة مصغرة عنه، فهل ستركها تتابع حياتها التي نجحت بإنائها بعيداً عن أشلي وأهلها؟ هل ستصدق هي أن روبرت لم يستلم رسالتها تلك وأنه لم يكن يعرف شيئاً عن جنينه الذي كان ينمو بأحشائها؟

القطار المتهادي على سكة الحديدية كان يسير بتواتر
رثيب يتناغم مع أفكار ناتالي التي أخذت تشعر بالتعب
والإرهاق من جراء الرحلة الطويلة هذه. تنفست
الصعداء حين وصل القطار أخيراً إلى «أشلي» محطة
الأنخيرة وتناولت ناتالي حقيبتها الصغيرة من الرف
المخصص للحقائب. لم تكن واثقة تماماً لماذا أنت أو
حتى ما هو شعورها اتجاه عممتها التي ربتها منذ كانت
ناتالي في السنة الأولى من عمرها وبعد مصرع والدتها
بحادثة سير مروع.

الاتصال الذي قامت به إلى «قصر النجمة»، حيث

يقطن آل ستابلتون. حيث تعمل عمته كمديرة منزل، كان مختصراً ومباشراً. ولحسن الحظ من رد على اتصالها كان شخصاً غريباً تماماً عرف عن نفسه بإسم طوني باركر رئيس الخدم.

حالما أعلنت نانالي عن هويتها كان طوني باركر أكثر من متحمس لإعطائها المعلومات التي تريد. عمته كما عرفت كانت في المستشفى في قسم العناية الفائقة.

«إنها مصابة بنوبة قلبية» أبلغها طوني باركر بلهجة أشلي المميزة التي أثارة الحنين العميق داخل نانالي وتابع:

«هي تتادي بإسماك طوال الوقت، سابرين المسكينة و... حسناً، اعتقد أنه من الأفضل لو يشرح لك السيد روبرت كل شيء. إذا انتظرت على الخط لدقيقة واحدة فقط فسوف أناديه و...»

«كلا» قاطعته نانالي فوراً ومجرد فكرة تحدثها مع روبرت عبر أسلاك الهاتف كادت ان تصيبها بالغثيان:

«ليس من الضروري إزعاج - السيد ستابلتون» قالت بسرعة معطية طوني تفاصيل وصولها قبل أن تتيح له الفرصة للإصرار على تكلمها مع روبرت ستابلتون.

«وهكذا فسأصل إلى المستشفى في الساعة الرابعة

ظهراً» أنهت نانالي حديثها بسرعة واعادت السماعه إلى مكانها وهي ترتعش بأكملها.

زيارتها لعمته التي هي بمثابة أم ثانية لها هو شيء - تعتبره مجرد واجب عليها! لكن ضرورة تحدثها مع الرجل الذي كان السبب المباشر لتركها لأشلي ولتمزقها ولعائلتها قبل ثمانية سنوات أثار الإنقباض داخل أمعاءها وجعلها تشعر بالآلم. أرادت تأجيل الرحلة إلى وقت آخر لكن إدراكها لرداءة الطقس والإمكانية احتجازها في أشلي في حال أخرت موعد الزيارة هذه لوقت آخر جعلها تقرر الذهاب على الفور.

«سأصل بك فور وصولي إلى الفندق» وعدت إنها جيمي إين الثمانية أعوام والذي هو كل حياتها وهي تعانقه بحب وتقيله للمرة الأخيرة قبل إنطلاقها بالرحلة إلى أشلي.

ظل جيمي و صديقته أماليا يلوحان لها من المحطة حتى غاب القطار تداماً عن عيونهما.

لكن صورة جيمي ظلت مرسومة بعقلها بعد أن إبتعدت عن المحطة بمسافات. بجسده الطويل ووجهه المستدير وعيونه الرمادية الفاتحة وشعره الأسود الناعم والذي يشبه تماماً وجه وملامح روبرت ستابلتون والذي تذكره من سنوات مما أرسل قشعريرة ألم داخلها لما حدث فيما مضى بينهما. أعلن المتادي مغادرة القطار

فشدت ناتالي معطفها حول جسدها الرقيق وزورته بأصابع مرتعشة وأخذت نفساً عميقاً وألقت بنظرة سريعة على نفسها بمرآة الحمام. وجهها البرونزي المستدير كان ساحر التقاطيع يعيونها العسلية الواسعة ذات الرموش البنية الكثيفة، وأنفها الرقيق وشفاها الممتلئة. الغمازة على وجنتها كانت تزيد من جاذبيتها. شعرها البني الناعم والكثيف كان ينسدل حتى منتصف ظهرها وكانت ترفعه فوق رأسها بكعكة أنيقة.

نزلت من القطار بخفة كباقي المسافرين المتحمسين للوصول إلى وجهتهم وكان الرجال يركزون نظراتهم عليها وحين تقابلهم بالجمود والبرود الذي اعتادت عليه منذ سنوات كانوا يتابعوا تقدمهم. رغم رقتها ورشاقتها والأنوثة الطاغية التي تنبع منها إلا أن قوة شخصيتها كانت واضحة وظاهرة.

على كل حال، رؤية الرجل الواقف على المحطة لها أظهرت السكون والذهول على ملامحه الجذابة. لأن لا شيء يكل خيالاته طوال السنوات الثمانية الماضية حضرة لتحول ناتالي إلى كل هذا السحر والأنوثة والجاذبية، لطالما تساءل عن كيفية نضوج جمالها وسحرها. إلا أن أجمل تصوراتها لم تكن يمثل ما يراه الآن.

تصلب فكه وزم شففيه وهو يراقبها وهي تنزل من

القطار وتقترب رويداً رويداً منه وخطواتها الرشيقة تتناغم مع ضربات قلبه التي أخذت تتسارع لأنها كانت تصيب وتراً حساساً بأعماق أعماق قلبه.

لم تكن تراه ورموشها الكثيفة تغطي عيونها العسلية وهي تنظر أمامها وكل شيء كان هناك، الجاذبية الحسية بمشيتها الرشيقة التي يعرفها جيداً. شكل وجهها الجذاب، شعرها الألامع المرفوع بأناقة والذي لم يسبق له وشاهد ناتالي القديمة بهذا الشكل، لكنه كان كالسابق بحاجة لحركة صغيرة واحدة لينسدل على أكتافها كالشلال.

أجمل، فكر بمرارة. الجمال والسحر قد أخذا التحديد النهائي عندها بشكل يتجاوز أقصى تخيلاته ويلبس مشاعر قديمة اعتقد أنها جفت وماتت منذ سنوات.

هذه كانت ناتالي بعد سنوات ثمانية.

وصلت إلى بوابة الخروج وامتدت يدها لتشير إلى سائق التاكسي بالتوقف فسارع بالإقتراب منها قاطعاً عليها الطريق.

«مرحباً ناتالي» حياها بهدوء.

تجمدت ناتالي لسماعها لصوته ينطق بتلك الطريقة العميقة وبذلك الصوت المحفور رغباً عنها بأعماقها. شيء ما تحرك بداخلها وحرك رماد مشاعر خبت ناراها

منذ سنوات ورفعت عيونها لتلتقي بعيونه.
للحظة لم يكن بإمكانها التحرك أو النطق وعيونها
تظهر ذهولها الكامل لرؤيتها له هنا. بدا بارداً ومتباعداً
لكن محروساً برقة وهو يقف هنا أمامها ويحدق بها
بعيونه الرمادية الواسعة وكل ما إستطاعت أن تفكر به هو
قولها يسرها يا الهي! إنه نسخة ثانية من جيمي! شبيه
تماماً بإبنه!

- ٢ -

سنوات المرارة الطويلة تحولت إلى غصة إحتقار في
حلقها. ثمانية سنوات، فكرت وبالكاد بدا هو متأثراً
بمرور السنوات. جسده كان لا يزال رياضياً صلباً،
شعره الأسود الناعم لا يزال بنفس الشكل واللون. كان
لا يزال يرفع رأسه بنفس الطريقة المتعالية. لا يزال
يملك تلك الخاصية الرجولية المسيطرة والتي تزيد من
إثارته وجاذبيته.

وحتى الآن، ورغم كل ما إختبرته بين ذراعيه الغير
مهتمتين فقد شعرت بموج العاطفة يشدها إليه. وجهه
كان لا يزال على حاله، بكل خطواته القوية الجذابة -

لكن الصلابة الجديدة كانت هناك ومعها النضج الكامل الذي كوَّنته سنوات ثمانية.

«مرحياً روبرت» تمكنت أخيراً من القول مضيقاً ببرود:

«لم أتوقع وجود أحد يانتظاري هنا».

التوى فمه بإستامة صغيرة قبل أن يعود إلى حاله الطبيعي ويقول:

«حين يعود السخي، ناتالي، فمن المعتاد فرش السجاد الأحمر له».

«وأنت تعتبر نفسك السجادة؟» ردت ببرود.

زادت حدة عيونه الرمادية ولحسن حظها لربما مر أحد معارف روبرت من قربهم وحياء للحظات قبل أن يتابع طريقه. لحظات كانت كافية لإعادة السيطرة على أعصابه.

قال ببرود:

«هيا أعطني هذه الحقيقة» وقبل أن تتمكن من الاحتجاج تناول روبرت الحقيقة من جانبها وقال:

«سيارتي في الموقف العام وهي على مسافة قصيرة من هنا».

سار أمامها دون أن يلتفت إلى الوراء.

راقبت ناتالي وهو يبتعد بعيون ثابتة لا ترمش. كلا، قالت بنفسها هو لم يتغير مقدار شجرة طوال السنوات.

لا زال نفس الرجل المتكبر المتعالي. يتدخل، يستلم زمام الأمور كأنه أرستقراطي متملك جاء لإصطحاب طفلة مشردة:

كان قد وصل إلى موقف السيارات حين غادرت هي بوابة المحطة، وكان يشق طريقه عبر صفوف السيارات بثقة وأنها ستبقيه كالكلب الوديع مما أثار غيظها وحققها... لا، تلك النظرة الأخيرة التي رماها بها قبل أن يستدير ويتجه إلى موقف السيارات أخبرتها أن العداء الهائل الذي تشعر به نحوه لا يقل حجماً عن العداء الذي يشعر هو نحوها به.

إنطلقت خلفه وكعب حذاءها يطرق الأرض المرصوفة بصوت رتيب. وحين وصلت إليه وجدت أنه قد وضع حقيبتها في المقعد الخلفي وفتح لها الباب الأمامي بجانب السائق.

إقترت من السيارة بحركة تحدي وهي تخبره بصمت أنه لا يحق له معاملتها بهذه الطريقة، كأنها... كأنها قطعة اثاث غير مرغوب بها لكنها ضرورية! هي لم تطلب منه لقاءها على المحطة! هي لم تطلب منه أي شيء - أبداً.

توقفت قرب الباب وأخذت تنشق هواء الشتاء البارد الرطب بإستمتاع. اعتقدت أنها قد نسيت رائحة وطعمة هذا الهواء، لكنها لم تفعل فلفحة الهواء المتعشة كانت

ذاتها وكذلك كمية الروائح المشبعة برائحة الأرض.

«سجمدن حتى الموت إذا بقيت تنشقن الهواء البارد لأكثر من هذا» قاطع صوته استماعها فتمت:

«آسف» ورمته بنظرة باردة متجاهلة بتعمد للنيرة المتقدمة بصوته. هذه كانت زيارتها الأولى لموطنها منذ ثماني سنوات. لقد رحلت بعيداً عن هذا المكان بسببه هو، وظلت بعيدة بسببه هو إذا اعتقد أنه سيفسد عليها لمحبة السعادة الأولى هذه فهو سيكون مخطئاً تماماً... دخلت السيارة وشدت المعطف حول ساقها وإبسمت برقة لنفسها حين أغلق هو الباب وإستدار ليأخذ مكانه خلف المقود.

«كيف هي أم... عمي؟» سأله براهتمام.

إنطلق روبرت بالسيارة وقال:

«إعتقدت أنك لن تسألني أبداً».

«المسألة كانت مسألة إعطائي الفرصة للسؤال» أشارت وهي ترميه بنظرة باردة. حتى بروفيله (نصف وجهه) كان يوحى بالثراء، بالإمتياز وبالتحضر والوسامة.

«إنها لا تزال تعاند القضاء». أعلمها بإختصار.

«أخبرني ما الذي حدث؟» سألت وهي تحدد بالزجاج أمامها حتى تتحاشى النظر إليه. كان يسكن

أفكارها بقوة، مبعداً إياها عن الأفكار الواجب عليها التفكير بها.

«لم تكن حالتها بخير منذ أشهر طويلة» أخبرها وعيونه مركزة على الطريق أمامه:

«وكنا مهتمين بمحاولة التخفيف عنها وتحسين حالتها. لكنك تذكركين على ما أظن كيف هي طبيعتها...» إبتسامة صغيرة وحادة ظهرت على وجهه: «ظلت تصر أنها كانت بأتم صحة وعافية، صحيحة تماماً لمتابعة عملها والقيام به على أحسن وجه كما هي معتادة».

«بالطبع» تمتعت بسخرية.

آل ستابلتون كانوا دوماً بالمرتبة الأولى بالنسبة لعمتها. حتى قبل ابنة شقيقها اليتيمة الوحيدة...

«لأنها كانت تشعر أنها بهذه الطريقة تكون ذات فائدة» علق روبرت بحدة وهو يرميها بنظرة قاسية متابعاً:

«كان عندها القليل الآخر لتحيا من أجله، أليس كذلك؟»

«كلا» رد:

«لكنك عנית ذلك مع ان الله وحده يعرف ما هو الحق الذي تملكينه ويسمح لك بالانتقاد فيما أنت قد نسيت تماماً أن لك عمّة، هي بمثابة أم ثانية لك، لعمدة

ثمانى سنوات كاملة.

هذا صحيح، فكرت وهي تتجاهل هذه النقطة. لقد نسبت ذلك للضرورة وللضرورة فقط. كانت هذه هي طريقته الوحيدة للبقاء والصمود خلال سنوات التعاسة الأولى التي مرت بها بعد مغادرتها «لأشلي».

«لقد عانت من جلطة قلبية صغيرة» تابع روبرت بعد فترة صمت متوتر:

«لم يكن هذا أمراً خطيراً لكنها كانت تصعد السلالم حين أصابتها الجلطة فسقطت بالتالي عن الدرجات وكسرت ساقها. وهي تطالب برؤيتك منذ ذلك الحين بإصرار وبأس - فهي تريد إطلاعك على أمر ما - هذا ما تردده دوماً. ولهذا لم يكن أمامي من طريقة الاتصال بك سوى نشر ذلك الإعلان في الجرائد المحلية.»

«أجل» ردت وهي تتذكر الإعلان الذي كان السبب بعودتها إلى هنا:

«رسالة مستعجلة للآنسة ناتالي شالسي من قرية أشلي والتي تركتها منذ ثمانية سنوات. عمته بحالة صحية خطيرة نرجو الاتصال بهذا الرقم للضرورة القصوى.»

- «ومنذ... منذ متى وهي بهذه الحالة؟» سأله بقلق أخذ يتزايد داخلها.

«منذ شهرين ونصف تقريباً» قال:

«الجلطة القلبية منعت الأطباء من المعالجة السريعة

للساق المكسورة وهكذا فقد استغرقت معالجتها فترة أطول».

«هل تعرف عمتي بمجيئي؟» سأله بصوت مبجوح. عمتها دون شك بحالة نفسية متردية من جراء عجزها الحالي! فلطالما كانت تذكر العجز وعدم الحركة وشعور عدم الإفادة كان يقتلها. لطالما كانت قوية، صحيحة الجسم وقادرة! عمتها لم يسبق لها وإن أصيبت حتى بالزكام.

«كلا» أجابها روبرت:

«وجدت أنه من الأفضل عدم دفعها لبناء الآمال. فقد خشيت من تغييرك لرأيك بالحلقة الأخيرة وامتناعك عن المجيء وتكبد العناء.»

«لا داعي لاستعمال السخريه روبرت» قالت بجفاف: «أعرف تماماً مما تعتقد عني دون حاجتك للسخريه لتوضيح ذلك.»

«ومن الواضح من لهجتك أنك لا تكثرئين لذلك.»

«هذا صحيح» ردت بوضوح:

«انت على حق تماماً، انا لا اكثرث مطلقاً لذلك. لقد حجزت غرفة لي في فندق الرايتز» قالت مغيرة الموضوع:

«... لكنني أفضل التوجه مباشرة إلى المستشفى أولاً إذا لم يكن عندك مانعاً.»

«لا ابدأ» تمتم:

«لكنك لن تنزلي بالفندق. ستعودين إلى القصر معي».

«مستحيل» قالت بشبهة ومجرد الفكرة ترعبها. بوجود سامنتا هناك؟ بوجود والدته ووالده؟.

«كلا روبرت هذا مستحيل» أصرت بشدة:

«أفضل البقاء في الفندق. إنه أقرب إلى المستشفى ولا نية لدي بأن أكون مصدر عدم ملائمة لك لأكثر من هذا».

«لطالما كنت مصدر عدم ملائمة لي نانالي» علق بنبرة غريبة:

«لقد قررت منذ سنوات أن تكون نانالي شالسي، الأمر الغير ملائم الأساسي في حياتي».

- ٣ -

ابتسمت دون أن تتمكن من منع نفسها من ذلك لطالما كان مرحه وتلاعبه بالكلام مصدر ضحكاتها. «حسناً، لقد كان عندك فترة إستراحة لثمانى سنوات كاملة!» علق بجهف.

«ومن قال هذا؟» رد بتحدى وتكهرب الجو داخل السيارة. النبرة الحادة بكلماته والطريقة التي نظر بها إليها أخبرتها أنه كان جدياً مئة بالمئة.

أهو ضميره؟ تساءلت، وابتسمت بمرارة لنفسها وهي تبعد نظرها عنه. هي لا تزال تذكر الطريقة القاسية التي طردتها بها والدته من القصر وهي تنقل لها رسالة

روبرت اللفة القاسية والتي أحلتها من وعوده ومزقت أعماق ناتالي.

«ها قد وصلنا» قال.

«جيد» قالت بيروود هائل جعله يدير وجهه إليها بدهوة:

«إذا لم يكن عندك مانعاً فسأدخل بمفردي» تابعت ونزلت من السيارة دون أن تلتفت نحوه.

دخلت المستشفى وانبعثت إلى أنفها رائحة الدواء المطهر وأخذت تشاهد الممرضات بأثوابهم البيضاء وقبعاتهم الصغيرة وهم يروحون ويجيشون بممرات المستشفى البيضاء.

توجهت إلى طاولة الاستعلامات وإبسمت للموظفة التي كانت خلف الطاولة.

«قسم العناية الفائقة لو سمحت» سألتها ناتالي بإبتمام.

«سيرافك أندرو إلى هناك آنسة...»

«شالسي - ناتالي شالسي» ردت ناتالي.

«أجل آنسة شالسي تفضلني الاذن بالدخول. هل انت قريبة لإحدى المرضى هناك؟»

«أجل... عمتي سابرين شالسي هناك».

«تفضلني آنسة» قالت الموظفة وناولتها الإذن بالدخول. سارت مع المدعو أندرو إلى المصعد ومنه

إلى ممرات طويلة كانت مشاعر ناتالي تتزايد بداخلها وهي تقترب أكثر فأكثر من مكان عمتها. مشاعر المرارة، الامتعاض المنبعثة من كبرياء أراد الالتصاق بالقواعد والأصول التي تركت آشلي لأجلها. بالإضافة لذلك فقد كان قلقها على عمتها يزداد. أشار لها أندرو إلى المكان وتركها وتابعت هي خطواتها مدركة أن روبرت كما يبدو قد عمل بكلماتها ولم يلحق بها.

تصلبت أسنانها وهي تخطو داخل قاعة العناية الفائقة حيث الصمت قاتل.

كان هناك طاولة إستعلام أخرى امامها وخلفها تجلس ممرضة. أجبرت نفسها على التقدم نحوها وهي تخطو بخفة وصمت.

ثم فجأة أخذت نبضات قلبها تتسارع والممرضة ترافقها إلى الغرفة وتجمدت ناتالي حين شاهدت خلف واجهة الزجاج الضخمة الجسد الصغير التحيل الذي كان مستلقياً بين الوسائد البيضاء وآلة جهاز المصل متصل بالنساعد المعروف. الوجه كان كثير التجاعيد والعيون مغمضة والفم متصلب وكان الحياة تسحب من الجسد المهالك دارت الدنيا بها ولم تعد ترى بوضوح أمامها.

«ناتالي» جاءها الصوت المألوف العميق قبل أن تغيب عن الوعي بلحظات واحست بذراعين قويين يحملانها وراحت بتشوش عيونه الرمادية تحدق بها بقلق ثم لم تعد

تسرع بشي».

عادت للوعي بعد وقت ووجدت نفسها ممددة على سرير ابيض اللون. روبرت كان يجلس بجانبها ويديه يمكن ان يراها.

«كانت هذه صدمة لها» كان يقول للممرضة الواقعة قريباً وتقريباً نبضها:

«لقد اكتشفت للتو ان عمتها التي ربيتها منذ الطفولة شديدة المرض فسارعت بالمجيء إلى هنا بأقصى سرعة. دخولها إلى الجو الدافئ هنا بعد البرودة القارسة في الخارج قد أصابها بالغثيان دون شك».

«أنا... أنا فقط لم أتوقع أن تكون حالتها بهذا السوء» همست ناتالي بإرهاق جاعلة عيون روبرت الواسعة تتركز عليها. بدا مرهقاً وشاحباً.

«أردت أن أحذرك، لكنك اندفعت بسرعة» قال بهدوء.

«عمتك نائمة الآن آنسة شالسي» قالت الممرضة بصوتها الرقيق:

«ولهذا فأمامك الوقت الكافي للاستراحة حتى يحين موعد استيقاظها. سأذهب واصنع لك القهوة - كيف تحبونها؟» عرضت الممرضة بإبتسام.

«ثقيلة وحلوة» رد روبرت ورمته بنظرة دهشة لأنه لا يزال يذكر كيف تحب قهوتها.

تحركت الممرضة بصمت مغادرة الغرفة وأغمضت عيونها بألم للذكرى ما شاهده منذ بعض الوقت وهمست:

«تبدو طاعنة بالسن روبرت... طا... طاعنة وعجوز...».

«وماذا كنت تتوقعين بعد مرور ثماني سنوات؟» رد بحدة والغضب يلون نبرته ورمهاها بنظرة باردة قبل أن يتابع:

«إنها هنا بسببك أنت ناتالي، هي هنا لانك تركتها ورحلت دون أي كلمة وانت تعرفين أن لا أحد لها بهذا العالم غيرك وغيرنا! ولهذا فلا تتوقعي مني أن أشعر بالتعاطف معك لأن القدر قد أوقعك بشبابة أخيراً. نهض من مكانه وعيونه تزداد حدة وهو يحدث بها متابعاً:

«الوقت الوحيد الذي شعرت به انها فعلاً حية وتنبض بالحياة خلال السنوات الثمانية الماضية كان حين كانت تغرق نفسها بالعمل لدينا».

«لكن هذه كانت حالتها دوماً» ردة بحدة وهو تصلح من جلستها وتسرع بالدوار لذلك:

«مثلك وعائلتك كانت تأتي دوماً بالمرتبة الاولى لديها - ولا تحاول أن تنكر ذلك روبرت لأنك تعرف جيداً وأكثر من غيرك أن هذه هي الحقيقة».

الصمت المتوتر عاد ليطبق على الجو فلا الوقت ولا الزمان كانا مناسبين لهذه المجادلة. أبقت نانالي وجهها مركزاً على الأرض ونهض روبرت بتصلب من جانبيها وأخذ يخطو داخل الغرفة بصمت.

«تفضلني الشاي» جاءها صوت الممرضة الرقيق مجدداً والذي بدا كنسمة الهواء المنعشة وسط القبط: «هذا سيجعلك تشعرين بتحسن». وناولتها الكوب الحار:

«اغذي وقتك باحتساء الشاي وستكون عمك قد إستيقظت بهذا الوقت».

«هي... ليست في غيبوبة أليس كذلك؟» سألت نانالي بخوف وإضطراب. «كلا والحمد لله» ردت الممرضة وهي تظمنها بإبتسام:

«إنها فقط نائمة. ونأمل ان الأسوأ قد مر. ساقها يتحسن والحمد لله قد زالت عنها نهائياً كل ما تحتاجه الآن، حتى تتحسن حالتها تماماً، هو رؤيتها لك. كانت شديدة الخوف والرهبة - من ان تسوء حالتها قبل ان تراك...».

سمعوا صوت جرس إستدعاء فاستأذنت الممرضة وتركت الغرفة متجهة الى الغرفة التي إنبعث منها صوت الجرس.

نظرت نانالي الى روبرت المتجه الملامح وسألته: «روبرت لماذا لم تحاول الاتصال بي حين كانت عمتي بأسوأ أحوالها الصحية؟»

لم ينظر اليها بل مشى نحو النافذة وأخذ ينظر إلى الخارج ويديه في جيوب بنطاله البيج و سترته الصوفية المشجرة تظهر صلابة وعرض صدره وكففيه. قال بعد فترة صمت:

«بصراحة لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً. كنت قد رحلت منذ ثمانية أعوام دون أن تبغني لنا بمجرد كلمة تخبرنا إذا كنت على قيد الحياة أو... لا. وتوصلت منذ فترة طويلة إلى الاستنتاج القائل انك لا تكثرين لأمر مطلق شخص في هذه القرية».

ما يقوله كان صحيحاً، إعترفت بصديق لنفسها هي لم تكن تكثرث سواء أبقوا على قيد الحياة أم لا. لكنها تكثرث وتهتم كثيراً الآن، أدركت ذلك وعيونها تتجه إلى صوب غرفة عمتها وشعور هائل بالقلق والتوتر يعتصر امعائها.

«فقط حين بدأت سابرين تسأل عنك أدركت أنها لم تتخلي يوماً عن أمل رؤيتك ثانية - يا لها من حمقاء مسكينة» رماها بواحدة من نظراته الباردة القاسية المريرة وتابع:

«يقولون أنه لا يوجد أي شيء أعظم وأكبر من حب

الوالدة».

أخفت نانالي عيونها برموشها الكثيفة وهي تفكر بالصبي الاسود الشعر الذي تركته برفقة صديقتها بعيداً عن هنا وتمتعت:

«وما هو رأيك بعظمة ومدى حب والدي؟»

الحيرة الكاملة ظهرت على وجه روبرت من جراء سؤالها هذا ومن العراة العميقة التي لونت صوتها وهي تنطق بهذا السؤال. قطب جبينه للمحظات ثم قال:

«والدك كان رجلاً متباعداً وهادئاً أجلاً، لكن حتى أنت نانالي لا تستطعي الإدعاء أنه لم يكن يحبك وأنه لم يرداك بحنان حتى وفاته وأنت بسن الثالثة عشرة»

- ٤ -

إيسمت لسؤ فهمه الكامل لمعنى كلماتها ونهضت بإرتعاش وقالت:

«أنا مستعدة الآن لرؤية عمتي»

تردد روبرت وهو ينظر إليها بدهشة. لكن لاحظ قناع التباعد الذي وضعت على وجهها وهز رأسه بغموض وأمسك بذراعها بقوة ولم تحاول هي التخلص من قبضته لأنها كانت بحاجة لهذا الدعم في هذه اللحظة بالذات.

«إنها شديدة الضعف» حذرها بصوت خافت وهو يدخل وابها غرفة عمتها:

«وأخشى أن الجملطة قد أصابت نصف وجهها بشبه شلل. هي تنفوه بالكثير من الكلمات والتعابير وإذا استطعت سيكون من الأفضل لو تتظاهري بفهم كل ما نقوله دون أن تلجأى لطرح الأسئلة المستفسرة، لأن هذا سيشبب بإقلاقها وإزعاجها».

طأطأت برأسها متفهمة والغصة تكاد تدفع بالدموع إلى عينيها لرؤيتها مجدداً لجسد عمتها الصغير بين الوسائد والشراشف البيضاء. عمتها كانت لا تزال نائمة وشعرها البني الذي كانت تذكره نانالي جيداً قد تحول الآن إلى حالة بيضاء تحيط بالوجه النحيل الصغير. والدوائر الزرقاء كانت تحيط بالعيون الرمادية التي كانت فيما مضى تنبض بالحياة والاشعاع.

ابتعدت عن ذراع روبرت وإقتربت من السرير والدموع التي تشكلت داخل عيونها تمنعها من الرؤية بوضوح.

«عمتي!!» همست بصوت مبحوح وهي تمسك اليد لمعروفة بدفء.

تحركت الرموش وانشقت عن العيون الرمادية الغائرة التي التمعت بعدم تصديق حين ميزت بعد لحظات هوية المتأدى.

«نانا...» همست عمتها بعدم تصديق وإمتدت اليد الأخرى لتتحسس بإرتعاش وجه نانالي:

«آه نانالي... هل هذا أنت حقاً؟».

الدموع إندفعت على الوجه النحيل وتحركت العيون الغائرة نحو جهة روبرت وهمست سابرين:

«لقد وجدتها. لقد وجدت نانالي».

«أجل سابرين» أجابها برقة وإقترت بمسداً الوجه النحيل بحنان:

«لقد وجدتها».

«نانا...» وفشت سابرين عن نانالي والجوع داخل عيونها لرؤية نانالي اعتصر قلب الأخيرة:

«أوه روبرت، أنظر لكم هي رائعة الجمال - ساحرة العيون...» وإمتدت يدها مجدداً إلى وجه نانالي فأمسكت نانالي بيد عمتها وشدت عليها بلهفة كأنها تريد أن تعوض عن الحرمان الذي عانته بعدم رؤيتها لها طوال سنوات ثمانية.

«لا زلت تمتلكين هذا الشعر العسلي الرائع... وهذه البشرة الساحرة...» وتقلت العيون عليها فيما نانالي لا تزال تستوعب مدى التدهور الذي تعرضت له صحة عمتها التي تابعت بصوتها الهامس المتعب:

«انت لا تبسمين... كنت دائمة الابتسام - دوماً وطوال الوقت - مهما كان ما...» ذبلت الكلمات وماتت وعادت الدموع الغزيرة لتغسل وجهها مجدداً.

«لا تبكي» توصلت نانالي بحرارة والدموع تهدد

بالإندفاع مجدداً من عيونها هي وأخذت تداعب وجه عمتها بحب.

«لم أعتقد أنك ستأتين» قالت عمتها من بين دموعها:

«لم أعتقد أنني سأراك مجدداً أبداً».

«حسناً، أنا هنا الآن» طمأنتها ناتالي:

«والآن كل ما عليك أن تفعله هو الإهتمام بصحتك والعودة إلى حالتك الطبيعية».

«أجل» قالت عمتها بتهند وجسدها يترأخى وهي تعيد رأسها إلى الوسائد وتغلق عيونها لحظات وانتظم تنفسها وهمس صوتها قائلاً:

«نانا... لا ترحلي، لا تذهبي بعيداً هلا فعلت؟».

«عندي الكثير... الكثير لأقوله لك... هناك مطالب... بدون اعتراضات... الحياة ثمينة جداً...

كنت أخشى...»

«هش» هدأتها ناتالي بهمس وهي تشعر بالقلق لعدم تسلسل ما تنفوه به عمتها وتابعت:

«توقفي عن القلق بهذا الشأن عمتي. لقد إنتهى كل شيء الآن».

فداع روبرت التي لامست كتف ناتالي أكدت لها ما كانت تراه - لقد إستغرقت عمتها بالنوم مجدداً وإنتهت الزيارة الاولى هذه.

«دعها تستريح الآن ناتالي» نصحتها روبرت برقة:

«هي لا تستطيع التحدث سوى لخمس دقائق فقط في كل زيارة. سنأتي لرؤيتها مجدداً غداً».

«روبرت...؟» همس صوت عمتها وجعلهما يحدقان مجدداً بالسري.

«أجل، أنا هنا سابين» أجابها برقة مقترباً منها.

إتسامة صغيرة لامست وجه العجوز وقالت:

«إعتني بنانا من أجلي حتى أغادر هذا المكان... عنتي بها كما كنت معتاداً دوماً...»

شيء قاسي اعتصر قلب ناتالي ونهضت من مكانها بعصبية وهي تبعد يده عن كتفها وقد عادت العجزة القديمة لتتحرك داخلها وقالت:

«أستطيع الإعتناء بنفسي جيداً، عمتي! لقد أصبحت ناضجة الآن أنذكرين؟»

«أجل» قال روبرت وهو يرمي ناتالي بنظرة تحذير:

«ستبقى ناتالي في قصري سابين، فلا داعي لك للشعور بالقلق عليها أبداً».

«احضرها لي مجدداً غداً» همس الصوت الخفيف.

«أجل سأفعل» قال بإبتسام.

ووجدت ناتالي نفسها تمتعض من نظيرة الحب والشكر التي ظهرت داخل عيون عمتها. طوال فترة حياتها هنا لا تذكر ناتالي ان عمتها قد رمتها بمثل تلك

النظرة. لكنها تذكرت ان عمته كانت دوماً ضعيفة إتجاه لطف روبرت وجاذبيته. وكذلك كانت هي بالنسبة لك، قال صوت صغير داخل عقلها متذكراً كل الحب والحنان الذي أحاطها عمتها به والتي كانت كأم ثانية حقيقية لها.

«شكراً لك» تمتم روبرت وهو يسير قربها.

«على ماذا؟» سأله بنظرة امتعاض:

«انها عمتي أنا. وأعتقد أنه من الواجب علي أنا أن أشكرك لتحمل عناء إيصالني إلى هنا».

«حسناً، من الجيد أنك قد لاحظت ذلك» رد بيروود.

شدت نانالي خطواتها سابقة إياه بالخروج من المصعد ورد قاسي يتلاعب على شفتها. حقيقة انها كانت ترعى بحب وإهتمام إبنه طوال الثماني سنوات الماضية كان شيئاً ترغب هي بإخباره عنه.

«نانالي...» قال ويده تمسك بذراعها فانتفضت بشدة وابتعدت عنه.

«لا تلمسني» قالت بقوة. وتراجع هو خطوة إلى الوراء من عمق الكرسي والنفور الذي رآه داخل عيونها اللامعة فيما هي تفكر بجيمي وحرمانه من حب الوالد وكل ما يتبع ذلك حين يكون روبرت ستايلتون بالذات هو ذلك الوالد وتابعت:

«فقط - لا - لا تلمسني» رددت مجدداً وهي ترتعش

من شدة المرارة التي اجتاحتها والتي لم تتمكن من إخفائها.

نزلا السلالم مغادرين المستشفى بصمت. لسعة البرودة كانت كبيرة في الخارج وقد ساعد نانالي هذا على تهدأت أعصابها والتخلص من بعض النار التي كانت تشعر بها داخلها. توقفت وأخذت نفساً عميقاً فيما روبرت يراقبها بدقة قبل أن يستدير ويقول:

«سأحضر السيارة. إنتظري هنا».

إنتظرت، كالكلب المطيع إنتظرت والهواء القارس يلسع بشرتها وأذنيها دون أن تشعر حتى بذلك. لحظات وظهرت سيارته وإنحنى ليفتح لها الباب فدخلت وجلست بصمت وبصمت ثبت هو حزام الامان حولها قبل ان ينطلق بالسيارة مجدداً.

«أحتاج للإتصال بالهاتف» قالت فجأة متذكراً وعدها لجيمي ومدركة أنه سيبدأ بالشعور بالقلق عليها.

«تستطيعين إستعمال الهاتف الموجود في القصر» قال روبرت:

«إنه يبعد ربع ساعة فقط من هنا».

«لا اريد البقاء في القصر» ذكرته بعناد:

«إذا رفضت أن تدعني أنزل بالفندق فستعمل حينها غرفتي بمنزلنا القديم».

«أخشى أنك لا تستطيعين فعل هذا أيضاً» قال وثقته

بكلماته تحرك الإنزعاج داخلها:
«منزلكم أصبح مهجوراً منذ فترة تتجاوز السنة
أشهر. وبوجود عمك بالمستشفى فقد إستغلينا الفرصة
واعادة تجديد المكان. إنه محتشد بالأشياء والصناديق
الآن».

«أذن سأنزل بفندق الرايتز» أصرت.
«ستزلين بالقصر وتوقفي عن المجادلة» قال بحدة
وغضب مما جعلها ترتعش. رماها بنظرة كره باردة
وتابع:

- ٥ -

«عمك تتوقع هذا وسأبدو بمظهر بالغ السوء اذا لم
أحقق لها رغبته هذه ولهذا فتوقفي عن الجدل وحاولي
على الأقل تقبل العرض بإمتنان».
«تقصد بعدم إهتمام متبادل اليس كذلك؟» قالت
باحتقار:

«إبنة مديرة المنزل الوضيعة تعرض امتنانها وشكرها
«بن ستابلتون العظيم».

«هذا لم يكن حتى مضحكاً ناتالي» رد عليها بجفاف:
«وهذا يعتبر إهانة للطريقة التي تربيته بها معنا
ناتالي. لاني لا اذكر ولا للحظة واحدة أنه قد سبق لك

وشعرت بأنك أقل رتبة مني أو من عائلتي من قبل أي شخص داخل القصر.

«وكيف حال والديك؟ ووالدتك بالذات؟» سأله وتفاعلت حين أبعد نظره عن الطريق امامه وحدق بها. «ألم تعرفي؟» سألها بدهشة حقيقية ثم اضاف بجفاف:

«بالطبع لن تعرفي وكيف لك ذلك وأنت قد قطعت كل صلة لك بأشلي واهلها منذ سنوات؟» اعاد نظره إلى الطريق امامه وقال:

«توفيت والدتي منذ خمسة سنوات ووالدي أصبح شبه مقعد ونصف مشلول وهو لا يغادر جناحه الخاص بالقصر منذ وفاة والدتي».

«انا - انا آسفة» قالت بتصلب وادركت أن روبرت شعر بتصلبها هذا بسبب القسوة التي ظهرت على خطوط وجهه وتابعت:

«أذن فقد أصبحت انت إمبراطور آل ستابلتون لا؟» لفظت الكلمات بطريقة توضح لها شعورها نحوه ونحو كل ما يمثلها.

كلماتها تركت الصمت المكهرب يسيطر بينهما حتى لحظة وصولهما إلى ساحة القصر. وكانت ناتالي مرتاحة لهذا الصمت، فهي لا ترغب بفتح أي خط من خطوط الإتصال مع روبرت ستابلتون مهما كانت مرارة هذا

الخط وقساوته. كان هو شبحاً من ماضيها، شبحاً ترفض هي بكل قواها ان يسكن حاضرها. ولهذا فقد ركزت إنتباهها على ما تراه في الخارج عبر نافذة السيارة طوال بقية الرحلة.

بعد ثماني سنوات، ثماني سنوات قضتهم بعيداً عن قرية ولادتها وطفولتها ترعرعها ومراهقتها. بعيداً عن كل شيء بهذا المكان. لكن يبدو أن شيئاً لم يتغير بهذا المكان، شيئاً لم يتغير سوى هي نفسها.

إرتعشت والسيارة تشق طريقها عبر الطرقات والأشجار وتذكرت آخر صيف قضته هنا بين هذه الربوع. والذي قضته بتقلبها بين ذراعي روبرت المحب والعاشق.

هي لا تزال تذكر الألم والغيرة التي كانت تشعر بها وهي تراقبه من نافذة غرفة نومها وهو يغادر بوابة القصر بكامل زينته وملابسه بطريقه لقضاء زيارة رسمية أو أخرى.

«سأذهب مكان والدي» كان يقول دون ان يلاحظ كم كانت كلماته هذه تحفر ألماً عميقاً داخلها لإدراكها أنها غير مقبولة لتظهر برفقته.

بهذه المناسبات كان يصطحب معه كارولين الجميلة. كارولين كانت أكثر من مقبولة ومناسبة للظهور برفقته. فهي كانت كارولين بوشيه سليلة العائلة الثرية

والارستقراطية الثانية في آشلي. والتي يتوقع الجميع زواجها من روبرت ستابلتون في يوم من الأيام.

هل جاء ذلك اليوم فعلاً وتحقق خلال السنوات الثماتية الماضية؟ تساءلت ناتالي. هي لم تسأله هذا السؤال مبعدة شبح الفتاة الأخرى عن خيالها وهي تركز على مرض عمتها ومعاناتها. شعرت فجأة بالجليد يعتربها ونقلت بصرها إلى يد روبرت الموجودة على المقود بإصابعه الطويلة الصلبة والتي تعرف هي ملمسهما جيداً.

ارتعشت ورأت أنه لا يرتدي خاتم زواج بيده اليسرى. لكن هذا لا يعني الكثير. فلطالما إحتقر روبرت الحلبي والمجوهرات.

حتى الساعة التي يرتديها والتي هي بالغة القيمة إلا أن حزام الساعة كان مصنوعاً من الجلد الفاخر وليس من الذهب.

كل شجاعته الموجهة اتجهت نحو كارولين التي أصبحت الآن دون شك السيدة ستابلتون صاحبة القصر. إنتهت من أفكارها على صوت روبرت الذي فتح لها باب السيارة يقول:

«تفضلني ناتالي إلى قصر النجمة».

نزلت ناتالي وتبعته بصمت وكم هائل من المشاعر يتناهبها لدخولها مجدداً إلى هذا المكان.

باب الخشب الضخم الذي فتحه روبرت كان على حاله وكما تتذكره تماماً وحين دخلت وجدت أن كل شيء كان تماماً بمكانه. حتى الرائحة المميزة للخشب الابنوسي الذي تتكون منه كل أبواب القصر كانت لا تزال هناك. وقفت ناتالي قليلاً ممتصة الصمت وتكتفيها متراخين تحت معطفها الثقيل وقد تلاشى قليلاً القناع المتناسك الذي كانت تتدرع به ليظهر خطوط التوتر والإرهاق العاطفي الذي كانت تخفيه.

ثم وببطء شدت جسدها ودفعت رقبته وأخذت نفساً مطولاً كأنها كانت على وشك الغرق. برقت عيونها ولمعت مجدداً بالحياة للهفة تكلمها مع الشخص الذي تحيا من أجله.

الشخص الذي وهبته الحياة ووهبها هو بوجوده الحياة والحب.

«روبرت» قالت له:

«أريد أن أجري الإتصال الهاتفي»

«بالطبع» قال وهو يضع حقيبتها على الأرض ويرن جرس الخدم ثم سار إلى غرفة مكتبه وقال:

«الهاتف هنا» وفتح لها الباب.

تبعته متمتعة شكرها وهي تمر من جانبته إلى الداخل. مجدداً الغرفة كانت على حالها بالمكتب

الخشبي الضخم الذي يتوسطها وبالكروسي الجلدي الكبير الذي كان خلف المكتب. الجدران كانت عبارة عن رفوف خشبية بديكور رائع وتحتوي كل أنواع الكتب والمجلدات العلمية. والمدفأة الضخمة على الجدار الثالث كانت مضادة والنار بداخلها تهب النور والحرارة وهي تقترب منها بصمت وتسمع صوت الباب يفلق خلفها بهدوء وصوت عطلوات روبرت تبتعد خارج الباب.

أدارت بصرها حول الغرفة وتنهدت بعمق قبل أن تتجه إلى جهاز الهاتف وتخلع المعطف السميك وتضعه على الكروسي بجانبها ثم تدير الرقم الذي تعرفه جيداً والذي سيصلها بأهم شخص في حياتها.

«مرحباً ماما» قال جيمي فوراً دون أن يعطبها حتى فرصة لقول «ألو» وابتسمت ناتالي للمرة الأولى بهذا النهار المرهق وتابع جيمي:

«لقد عرفت أنك أنت المتكلمة! لماذا استغرقت كل هذا الوقت للاتصال بي ماما؟»

«مرحباً حبيبي» قالت بحنانها المعتاد والإسامة الدافئة على وجهها تمحو كل آثار التوتر والقلق:

«الطقس هنا بالغ البرود، ولقد وصلت إلى جهاز الهاتف الآن بالضبط».

«كيف حالك؟ إشتقت إلي؟»

«ليس بعد» كذب جيمي بحب.

فهذه كانت لعبتهما الدائمة، ان يجيب جيمي بطريقة معاكسة لما يشعر به حقاً.

«جيد» قالت بضحك:

«لأنني لم أشتاق لك بدوري بعد» وقهقهت مجدداً حين سمعت صوت ضحكات جيمي الحبيبة.

«آه - هل تصدقين هذا؟ سيصطحبني العم نيكولاس إلى حلبة سباق الشاحنات غداً! هو يقول أنه ماهر بنوع السباق هذا - وهذا ما علي أن أختبره بنفسي» قال جيمي بتلهف.

خلفها فتح روبرت باب غرفة المكتب وانكأ عليه. لكنها كانت مأخوذة تماماً بالمكالمة فلم تنتبه لدخول أي شخص إلى المكتب. وظهرها كان للباب قلم تراه أيضاً.

تابعت المكالمة قائلة:

«حسناً لكن إنته جيداً لنفسك يا حبيبي فلا أريد لعودة لأجذك ملقى على سرير ما بذراع مكسور أو ساق مجبر».

«أجل، أجل واليوم سنذهب إلى مدينة الملاهي» تابع جيمي بحماس:

«ثم سنتناول البيتزا في مطعم لاساغي وهذا وفقاً لإقتراحي فأنت تعرفين تماماً مدى حب أماليا للبيتزا انها

لا تطبيق حرف الباء لانه كلمة بيتزا تبدأ به».

فهتفت ناتالي بصوتها الشجي المبحوح وتخلت مدى تحمل أماليا لرائحة البيتزا ورويتها فقط لإرضاء جيمي الذي تحبه صديقتها وزوجها ويعتبرانه كابنتها جون تماماً.

«يا لما تفعله المرأة للرجل الذي تحب» قالت ناتالي بضحك.

«هل بإمكانني التأكد من أن الجميع يحبني؟» قال جيمي وقد عاد للعبته الذكية والحنان يلون صوته. يا له من فتى حساس، فكرت بألم وهي تفكر بكل طفولته وبرأته.

«حسناً، نستطيع أن نتأكد انني لا احبك فقط بل أعبدك» تسمت بحنان ورقة مدركة أن هذا بالضبط ما يرغب جيمي بسماعه:

«أشعر وكأنني اسير هنا بدون ذراعي الأيمن المشتاق أبداً لك».

«متى ستعودين ماما؟» سألها ما تتوقعه.

الرد كان صعباً وتغضن وجهها المتسم مجدداً بالغيوم وهي تتذكر عمتها الموجودة في ذلك السرير بتلك المستشفى.

«لا أعرف بعد يا حبيبي» ردت بإعتذار. فقد إتفقت مع أماليا على التظاهر بأن على ناتالي السفر إلى لندن

لإحضار تشكيلة ملابس الشتاء الجديدة للموسم القادم لمحلها الخاص بالملابس النسائية والولادية والذي يقع في احد أهم شوارع بروودواي التجارية. أماليا كانت صديقة ناتالي وشريكتها وأكثر من شقيقة لها ساعدتها بانجاح المحل وتساعدتها دوماً بالإهتمام الكامل بجيمي كلما إضطرت ناتالي للسفر من أجل المحل.

«لكن تأكد انني سأعلمك فور معرفتي لموعد عودتي» تابعت مطمئنة جيمي.

«جيد لانني اريد انتظارك في المحطة. يقول العم نيكولاس ان بإمكاننا ذلك مع أن أماليا قد تكون مشغولة بتحضير المحل للبضاعة الجديدة وتغيير الديكور الداخلي له كمادتها ببداية كل موسم».

«اعرف، فهذه هي الحالة كلما سافرت أنا» قالت بتعاطف مدركة مدى عمق صداقتها وحبها لأماليا: «لكن انتبه أنت لتفسيك جيداً حبيبي، وأعدك بالعودة سريعاً وحالما أستطيع».

«اتمني لو كنت معك» تتم:

«أنا أقلق كثيراً عليك كلما سافرت فأخاف مما قد يحدث لك او من اي سوء قد تتعرضين له».

«لن يحدث لي شيء جيمي» طمأنته بقوة وبحماية وهي تشعر بالخوف وعدم الأمان الذي ينمو بداخله كلما إبتعدت عنه وتابعت:

«أنت كل حياتي وأنت تعرف ذلك. وأنا لن أسمح
لأي شيء بالكون أن يبعدني عنك».

- ٦ -

رؤيتها المفاجئة لوالده تراءت أمام عيونها بعيونه
الرمادية المهددة بجسده الصلب فارتعشت بقوة.
«إلى اللقاء الآن يا حياتي إنتبه لنفسك جيداً» قالت
وحبها في صوتها.
«إلى اللقاء ماما انتبهى انت لنفسك ايضاً وعودي لي
بسرعة».

«إنشاء الله» قالت واعادت السماعه إلى مكانها
وتهدلت كتفها مجدداً وطأطأت رأسها حتى لامس
ذقنها صدرها وأخذت نفساً عميقاً لتمنع نفسها من البكاء
فدائماً كان من أصعب الأمور عليها قطع المكالمه معه

وخاصة هذه المرة بالذات فمع إنها لم تفكر بالأمر بعد إلا انها كانت تعلم بأعماقها ان زيارتها لأثلي هذه مع كل ما رأته وكل ما ستره ستحمل لها ولايتها التغيرات الكبيرة والمشاكل التي ستجبر لمشاكل اخرى اكبر وأعمق!

«زوجك؟» سألتها الصوت البارد مستفسراً والذي وصل اليها من الخلف.

استدارت بسرعة لتجد روبرت متكئاً بظهره على حافة الباب وذراعيه متشابكان على صدره وتعاييره غامضة وهو يدرسها.

«كلا» قالت ورفعت رأسها بتحدي كانت معتادة على إظهاره له فيما مضى وحدقت بعيونه بعدم تقبل لطرحة عليها اسئلة لا يحق له طرحها.

بدا وكأنه يعتبر الفكرة ويحللها والسخرية الصغيرة داخل عيونه جعلتها تنكمش داخلياً وعيونه تنتقل عليها محاولة إختراق اسوار الدفاع والحماية التي بنتها بعناية حولها. ثم تنهد ودفع نفسه بعيداً عن الباب.

«إذا كنت تؤكدين لذلك... ذلك الشخص على الهاتف انك ستعودين اليه بعد أيام قليلة فأعتقد ان هذا كان تصرفاً طائشاً من قبلك».

تصلبت ناتالي:

«يجب علي العودة» أصرت:

«عندي إرتباطاتي الخاصة. مجيبي إلى هنا وفقاً للطلب المستعجل ولفترة قصيرة قد ضاعف مسؤوليات من سيسد مكاني في العمل. يجب علي العودة». كررت بتصميم.

«وعمتك؟» قال ورفع حاجبه بازدياد:

«ها قد رفعتها الآن إلى القمة وسترمين بها إلى أسفل الحضيض دون أن تكتري النتائج؟ الا تعتقدين انها تستحق القليل الأكثر منك. لقد كانت كامك طوال سبعة عشر عاماً بحق السماء! وتستكثرين عليها بضعة أيام مترددة تقضيها برفقتها وهي بحالتها هذه؟»

«لست مترددة بذلك» قالت بتصلب ودفاع:

«الأمر فقط...» فتشت عن الكلمات المناسبة وتابعت:

«عندي حياتي الخاصة الآن روبرت... عندي مسؤوليات جمة علي تحملها والقيام بها. لقد آتيت إلى هنا فور قراءتي للاعلان في الجريدة - بالرغم من كل مسؤولياتي - وسأقدر لك إعطائي نفس الاعتبار ان علي العودة إلى منزلي للقيام بتلك المسؤوليات بأسرع وقت ممكن».

«هذه... هذه المسؤوليات الا تتضمن عمتك؟»

سألتها والازدياد يزداد بصوته:

«أخبريني ناتالي، لأنني أشعر بالفضول حقاً لمعرفة

ذلك...» مسحتها عيونه من رأسها حتى أخمض قدميها
قبل أن تعود إلى عيونها ويتابع:

«... هل كائناً من كان يعتني بك ويؤمن لك نوع
الرخاء الذي كنت تتوقعين مني تقديمه لك؟ أم هل
جيوه متنفخة أكثر من جيوه؟ أنت بالتأكيد ترتدين
الآن ثوباً مهوراً بمقصد أهم المصممين... ولهذا
فعلي التخمين انك لم تعودي رخيصة ابداً».

شيء عنيف إشتعل داخلها وبرقت عيونها بشدة مما
جعل عيونه تتوسع بتحدّي للنظرة التي بدت داخل
أعماق شرارت عيونها الخضراء وراقب قبضتها وهما
تتكوران بجانبها إستعداداً للكمه او صفعه لو كان أقرب
قليلاً منها.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول بكل البرود الذي
استطاعته:

«ما أفعله بحياتي ومع من أقضيها أمر لا شأن لك به
روبرت ستابلتون... ليس منذ اليوم الذي تركتني به
وحددي هنا ولم تفكر به ولا لمرة واحدة بالسذاجة الغبية
التي إستغليتها كل الصيف لإرضاء نزوانك وورغباتك
الجسدية!»

«آه ليس فقط للإرضاء نانالي» قال بتكاسل:
«كنت، وأنا واثق انك قد أدركت ذلك الآن، أكثر
من مرضية فقط».

«ليساعدني الله روبرت» همست من بين أسنانها
المصطكة:

«لكن تلميح آخر على سلوكي وسوف...»
«سوف تفعلين ماذا؟» تحدّاه وهي تفتش عن الكلمة
المناسبة. ومد ذراعيه ليمسك بيدها المتكوّرة وشدها
ليبخر المسافة التي كانت تفصل بينهما:
«ستضربيني؟» سألتها بإغاطة عبر شفاهه المبتسمة
بقسوة:

«تأكدي من انني سأرد لك الصاع صاعين نانالي»
حذرهما:

«متصمخين؟ من سيأتي لنجدتك غير الخدم؟
وصدقيني من سيأتي منهم سيتمتع بمشهد ضربي لك».
«أكرهك» هتفت من أعماق قلبها وموجة ازدواجه
تختفها:

«احتر ما انت عليه وما تمثله. وإذا كانت كارولين
لا تزال تملك وجهة نظرها التافهة تلك بالحياة فأنا
مشاكدة تماماً اذن أنكما تستحقان بعضكما البعض!
فالزواج منك سيغذي نظريتها بإستمرار».
تصلب وبدأت نانالي ترتعش داخلياً شعورها أنها قد
تمادت فعلاً.

ثم سمعته يقول بصوت مخنوق:
«متزوج من كارولين؟ من أين بحق السماء أنتك

فكرة انني وكارولين متزوجان؟»

حدثت نانالي به:

«أنقصد - أنكما لم تتزوجا؟»

عدم التصديق كان واضحاً بصوتها وضحك روبرت ضحكة قاسية قاطعة جعلتها تتأوه داخلية.

«لا أحتاج إلى الزواج من كارولين لأحصل على ما أريده منها» قال بازدراء واحتقار:

«تماماً كما لم أحتاج للزواج منك لنفس الأسباب».

الازدراء الذي لون كلماتها وربط بينها وبين كارولين كان كالفتيل الذي أشعل بركان غضبها فشدت يدها من قبضته وقالت بهدوء:

«أنت كنت وستظل دائماً شخصاً دنيئاً وحقيقاً روبرت ستابلتون»

إبتعدت عنه متجهة إلى باب الخروج وهي تتناول معطفها.

«إلى أين؟» سألها بحدة.

«للحصول على سيارة أجرة» ردت بحدة أكبر:

«أنا لن أبقى في هذا المكان للحظة أخرى بعد».

«لن تذهبي إلى أي مكان» قال بصوت كالزئير وقطع عليها الطريق بخطوتين اثنتين ممسكاً بها بذراعيه الصلبتين وممانعاً إياها من التحرك وإدارها لمواجهته. بجسده الطويل الصلب الذي يفوقها بالطول كان يرسل

كل شرارات الجاذبية التي أخذت تطرق أعصابها ومشاعرها، وامتزج كل شيء، مشاعر الغضب المتبادلة بينهما، مشاعر العداء الازدراء بالإضافة إلى تبادلها للشتائم والإهانات مع إداركها العميق لشيء آخر مختلف تماماً عن كل هذا وأنتج ذلك قشعريرة عميقة ارتعشت لها بكل رفض ونفور.

«أبعد يداك عني» أمرته بقوة:

«لا أتحمل لمس يدك لي».

«لا بأس، اليس هذا بالغ السوء؟» قال وشدها إليه أكثر وشعرت بنار الغضب التي كانت تتأجج داخله: «لأنه حان وقت العقاب الآن نانالي، وسأقوم أنا بدوري الكامل بهذا الشأن».

هبط فمه على شفاهها بقسوة ووحشية مجتاحاً نفورها وبرودها وحين تعمقت قبلته شعرت بمشاعرها تتحرك بإدراك لحظي للأغواء القديم الذي كان مرة يوحدتهما كشخص واحد بروح واحدة وجسد واحد.

وحين انتهت القبلية هذه كان وجهها أبيضاً كوجوه الموتى وكانت ترتعش واطرافها منفرزة بطرفي المكتب الذي كانت تتمسك به طوال فترة هجومه عليها.

«نانالي...»

مهما كان ما رآه روبرت داخل عيونها وهي تنحني على المكتب وترتعش حتى أخمص قدميها وعيونها

متوسعة وثابتة فقد اذهله ذلك وصعقه دون شك لان نبرة
صوته وهو ينطق اسمها كانت غير ثابتة وغريبة تماماً
على مسمعيها.

إبتلعت ريقها الجاف وهي تشد نفسها من أعناق
العمامة السوداء التي اغرقتها بها قبلته المعاقبة تلك.

- ٧ -

لن يدرك روبرت ذلك. لكن غرائزها ومشاعرها كلها
قد تجمدت وماتت من جراء استغلاله البشع والسيء لها
قبل ثماني سنوات، وكانت تلك المرة الاولى والاخيرة
التي قبلت بها بحياتها حتى الآن.

«بحق السماء» تمتع وعيونها الخضراء ترمش للحظة:
«لا تنظري إلي بهذه الطريقة ناتالي» قال وابتعد عنها
وجسده متصلب من الغضب:

«ماذا اعتقدت أنني كنت سأفعل لك؟» عاد ليحدث

بها وتابع:

«سأغضبك؟»

كلماته أعادت لها حواسها وإدراكها ورفعت أصابعها
المتشنجة عن المكتب إلى فمها المتورم:
«يجب أن أغادر هذا المكان - لا أستطيع البقاء هنا
مع...»

«كلا» هتف ومد يديه كأنه يريد أن يمسك بها ثانية
الا إنه عاد وأنزلهما بغضب لرؤيته لتصلبها وتحولها إلى
تمثال من الحجر وهي تحدق به بكل نقور العالم
واحتقاره للهوة التي حدثت منذ لحظات بينهما.
قال ثم نظر الى وجهها:

«... اذا كان هذا يساعد، فأنا أعتذر ل... لفقدان
السيطرة الذي حصل. هذا لن يحدث ثانية».
مع أنها لم تكن تنظر إلى وجهه الا أنها أحست بعمق
وقوة كلماته:

«سبب مجيئي إلى هنا» تابع بهدوء أكبر:
«كان لاختبرك ان العشاء جاهز. لقد حضرته السيدة
فالو وهي تضعه على المائدة».
«أريد الصعود إلى غرفتي» قالت بلا نبرة أو احساس.
فهز رأسه وخرج فتبعته.

سار بصمت نحو السلالم المؤدية الى الطابق العلوي
والذي تعرفه ناتالي جيداً. لطالما كانت تقفز على هذه
الدرجات وهي طفلة وكانت تشعر بالفخر والكبرياء
لوجودها بهذا القصر الرائع الجمال.

ومرت سنوات قبل أن تدرك أن الكبرياء هذا لم يكن
من حقها بل من حق آل ستابلتون أصحاب هذا القصر
وأصحاب نصف قرية أشلي تقريباً. وأنها هي مجرد ابنة
أخ مدبرة المنزل اليتيمة والتي يعمل والدها كحارس
ليلي على أراضي آل ستابلتون وممتلكاتهم.

هذا مضحك، وجدت نفسها تفكر وروبرت يفتح لها
باب غرفة الضيوف ويسير بخفة امامها. لكن بالرغم من
كل حيها الأعمى والكبير للإنين الا انها لم تفكر للحظة
في أن تكون سيدة هذا القصر بيوم من الأيام. ولا حتى
بأكثر أحلامها الخيالية المراهقة. لقد آمنت بعمى أن
روبرت لها لكن بدون أن تفكر للحظة بكل الثراء والغنى
المرتبط به.

«آمل أن يناسبك هذا» تتمم قاطعاً عليها أفكارها.
لقد انسحب الآن وإختفى خلف قناع الادب البارد
وسيطرته على مشاعره كاملة.

«هناك دورة مياه خاصة عبر ذلك الباب» تابع مشيراً
إلى الباب الصغير الذي تذكره:
«اذا نزلت بعد نصف ساعة فأنا واثق أن السيدة فالو
ستكون أكثر من مسرورة. فالعشاء جاهز منذ وقت قصير
و...» صمت قليلاً ثم تابع بشيرة غامضة:

«كارولين بوشيه ستكون موجودة على العشاء».
بقوله هذا إستدار وغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه

يهود.

رمت بنفسها على السرير وهي لا تزال ترتعش مما حدث لها في الأسفل منذ لحظات وتمنت لو أنها اكتفت بطلب ساندويش لها إلى هنا. لكن هذا سيظهر له ضعفها وهذا آخر ما تريد إظهاره له. في الأسفل وقد وصلت كارولين بوشيه الآن فقد سمعت ناتالي صوت جرس الباب الرئيسي يدق، فستلعب كارولين دور الملكة. وحقاً لا حق لناتالي بإنكار انتصار كارولين عليها.

أغمضت ناتالي عيونها وغرقت بصفحات كتاب حياتها التي مرت عليها قبل ثماني سنوات بالضبط. وحين كانت هي في السابعة عشرة من العمر فقط.

«كلا لن أفعل ذلك! لن أفعل ذلك! لا اعرف كيف بإمكانك مجرد التفكير بذلك» صاحت فتاة السابعة عشر ربيعاً بحدة والدموع تنحدر بغزارة على وجهها الفتي.
«ستفعلين هذا ناتالي!» ردت المرأة الأخرى بحدة:
«ستخلصين من الجنين هذا! ستفعلين والا فإني لا أريد أن أراك ثانية ابداً...»

«عمتي هذا مستحيل! إنه طفلي وطفل روبرت هو لن يسمح بذلك...» تعالت الصرخات الحادة وازداد نهر الدموع:

«لن يسمح بذلك ابداً...»

«روبرت لا يحبك أنتها الممتوحة! هو فقط قد أخذ ما قدمته أنت له على طبق من الفضة وبكل طيبة خاطراً هو لا يحبك ولا يكثرث لأمركا إنه كثيره من الرجال، إنه بشر وأنت رميت بنفسك بين احضانه وتحت أقدامه طوال الصيف...»

الآلم الهائل اجتاح قلب المراهقة الشابة ولم تصدق حينها كلمة واحدة مما كانت عمته تقول لها. كانت في السابعة عشر من العمر وغارقة بالحب حتى اذنبها وكانت مذعورة وخائفة. كلمات الطبيب بعد فحصه لها هي التي أجبرتها على التصديق بأنها تحمل جنين حبها داخل احشاءها. وحينها، حينها فقط صدقت كل كلمة كل كلمة قاسية قاتلة مشينة كانت تقولها عمته لها.

بذلك الصيف. بالذات عاد روبرت ستابلتون من جامعته في المدينة ليجد ناتالي المتفتحة بحرارة وانوثة على البلوغ والنضوج بعد سنوات الطفولة الطويلة. كانت في السابعة عشر من العمر وعاشقة للحياة وعشقها هذا كان يظهر ببريق عيونها الخضراء الواسعة حين أتى روبرت ليقتش عنها بذلك الصيف.

كان قد أنهى سنته الأخيرة بالجامعة بعد غياب له لمدة ثلاث سنوات كاملة في المدينة كانت عائلته تزوره خلالها وتقضي معه الصيف في مارابيا حيث تقضي

روبرت قد تخرج الآن وكان نافذ الصبر لاستلام المركز الذي كان بانتظاره دوماً إلى جانب والده بإدارة شركاتهم العائلة والممتدة بكل أنحاء لندن. آل ستابلتون العائلة الأولى والاكثر ثراءً في آشلي وضواحيها بأكملها وأصحاب الأراضي الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس كانوا أقصى صفوة المنطقة بأكملها. لكن، وبالرغم من الاختلاف الهائل بين مستواهما الاجتماعي إلا أن روبرت ستابلتون كان دوماً جزءاً بالغ الأهمية من حياة ناتالي شالسي.

روبرت هو من علمها ركوب الخيل وامتطائه بطريقة تهدأ من حركة الحصان وتجعله يتهادى بها عبر براري آشلي وسهولها وشعرها يتطاير في الهواء وسعادة العالم تشرق بعيونها لاحتساسها بالحرية. الحرية الكاملة من شروط وتضايقات عمتها المنتقدة الصلبة ومن تجاهل والدها لوجودها واهتمامه بشؤونه ونسائه بعد موت زوجته والدته ناتالي بعد ولادتها بوقت قصير. كان روبرت دائماً يخبرها أنها طفلة ولدت بالوقت الخاطئ. وفي المكان الخاطئ. فهي كان عليها أن تكون طفلة غجرية وليست ابنة حارس متقاعد واناني تربيها عمة قاسية وتقليدية ومتسلطة.

روبرت كان هو من يظهر لمساعدتها كلما كانت في

ورطة. روبرت هو الذي أنقذها من الموت حين ذهبت إلى حلبة الثيران الهائجة وأرادت لعب دور الميثادور. روبرت هو الذي احتضنها بحب وعطف حين مات والدها بنوبة قلبية مفاجئة وغير متوقعة.

وروبرت هو الذي كان يمنع عنها غضب وحنق عمتها حين كانت هي تندفع بالمغامرات الخطيرة فقط لتشعر أنها حية - فعلاً حية.

وروبرت نفسه هو الذي انتزعها قبل ذلك الصيف بسنتين وهي تركل وتشتتم من داخل سيارة طوني كامبل حيث كانت بإرتباك مرافقتها الأولى قررت أن تختبر للمرة الأولى ما تردده صديقاتها دوماً امامها حول القبلية - القبلية العميقة على الفم.

«الا يكفي أن الجميع هنا يعتقدون أنك متمردة طائشة وبلا سيطرة التريدينهم أن يعتقدونك رخيصة أيضاً ولاهية؟» صرخ بها وهو يسحبها بشدة ويجرها جراً نحو المنزل.

«كنا فقط نتبادل القيل بحق السماء وروبرت».

قالت بدفاع وهي تشعر بالرعب الهائل لأن روبرت بالذات هو الذي وجدها بهذا الوضع المربك:

«على الفتاة تعلم بعض الأشياء روبرت».

حذق بها بحنق والرجولة تنبع من كل شيء به وحوله.

القمر كان يدرأ تلك الليلة وكان يعكس اشعته الفضية على شعره الأسود الناعم وعيونه تنظران اليها بثوبها الأبيض القطني البسيط الذي كان يظهر تفاصيل جسدها الغض النامي.

«فقط انظري الى نفسك نانا» قال:

«مجرد التقبيل لا يحتاج لفتح ازوار ثوبك العلوية لا؟»

بارتباك مروع نظرت نانالي إلى ثوبها ووجدت أن ما يقوله كان صحيحاً.

«أنت حتى لا ترتدين صدرية» قال بحدة.

«الفتيات لا يرتدينها بهذه الأيام» تمتعت بدفاع وهي تصحح من وضع ثوبها بكل إرتباك وخجل.

«نوع معين من الفتيات فقط لا يفعل» قال بحدة ثم أثار ذهولها حين امسك بها بقوة والصقها به وقال بغضب:

«إذا اردت دروساً لعينة بالتقبيل نانالي، فكان عليك اللجوء إلي أنا - فبعد كل شيء أنا من علمك كل ما تعرفينه اليس كذلك؟»

شعرت بقوة بوجوده وهي ترفع اليه عيونها بعصبية لتلتقي ببريق عينيه الرمادي الغاضب.

همست باحتجاج صغير مخشوق الانفاس:

«لا تفعل روبرت».

الا أن فمه الذي اطبق عليها اسكنها عن المزيد من الاعتراض واشعرها للمرة الاولى بما يعنيه التقبيل حقاً. ولا أي شيء بمغامراتها العاطفية الصغيرة بسنوات عمرها الخمسة عشر حضرها لما أثارة داخلها عناق روبرت لها وتقيله اياها بتلك الطريقة التي اشعلت كل احساسها ومشاعرها بعمق وقوة اذهلها هي ذاتها بكل براءتها وطيشها.

ثم ابعدها عنه بعد لحظات بدت لها كالعمر واخذ يحدق بها بنظرات مريرة وقال:

«ابتعدي عن الصبيان نانا» امرها بشدة:

«اتسمعين؟ ابتعدي تماماً عن الصبيان أفهمين؟»

ثم رحل تاركاً إياها كالمشلولة المخدرة وحين استعادت وعيها واردات ان تناديه كان هو قد ابتعد داخل حديقة القصر ومنه إلى داخله.

فاستدارت هي واتجهت إلى منزلها الصغير الواقع في طرف الحديقة وصورة وجهه لا تزال امام عيونها.

عاد روبرت إلى جامعته صباح اليوم التالي - ولم تقع عين نانالي عليه الا بعد مرور سنتين ونصف. لكن حين عاد هو إلى أشلي بذلك الصيف وجد امامه نانالي جديدة.

وجد فتاة قد تخفلت مرحلة الطفولة واصبحت على اعتاب ان تصبح امرأة، خرجت من شرققة الطفولة

البريئة إلى الجمال الانثوي الساحر والطاغي والذي
صعقه بشدة.

وجدها في الغابة قرب بحيرة الأوز جالسة على
شرشف ملون وترسم المنظر الرائع أمامها. موهبتها
بالرسم كانت ظاهرة منذ الصغر وروبرت نفسه هو من
شجعها على تنميتها والاهتمام بها. كانت ترتدي تنورة
مزهرة قصيرة ويلوزة بيضاء بلا اكمام وذراعيها وساقها
كانا قد تلونا بلون الشمس الرائع.

لن تعرف كم ظل يراقبها من مكانه قرب شجرة
خلفها لكنها شعرت فجأة انها مراقبة فاستدارت لتجده
متكئاً يظهره على الشجرة القريبة ويديه في جيوب بنطاله
الأبيض وقميصه الأزرق الحريري يعمق لون عينيه
ويزيدهما لمعاناً.

ابتعد عن الشجرة مقترباً منها وقال:

«مرحباً».

«اهلاً» اجابت وهي تبسم له بخجل:

«لقد سمعت انك قد عدت إلى القصر».

صمت متوتر سيطر بينهما واخذ يرمق لوحاتها الجميلة
وقال:

«من الواضح أن موهبتك بالرسم قد نضجت
وكبرت».

«اجل» قالت بابتسام والفرح يضيء نظراتها الخضراء

المشعة. لكن شيئاً ما في نظراته جعلها تلتقط انفاسها
وتفتش عن شيء خفيف تتحدث عنه

«تهانينا» قالت له بركة:

«لقد تخرجت واعتقد ان العلامات متفوقة كالمادة».

طأطأ رأسه الجذاب وقال:

«يحق لي تصنيف نفسي كرجل الآن كما اظن» النيرة
الهازئة كانت تغلف كلماته وحديثه ناتالي بنظرة تعاطف
متفهمة. فقد تكون ناتالي قد واجهت الصعوبات بتربية
عمتها لها وفق شروط وانظمة شديدة تناقض طبيعتها
المتحررة المندفعة لكن روبرت وبالرغم من كل ثرائه
وامتيازاته فقد كان لروبرت مشاكله الخاصة بدوره
بمحاولاته للوصول الى الدرجات العالية المستحيلة التي
يريد والده منه الوصول اليها.

«صيف كامل في المنزل...» تهدد وهو يتمطى
ويتمدد على الشرفف قريباً ورأسه يتكئ على ذراعه:

«ثم سأرحل بعد ذلك إلى كندا حيث سأبقى لمدة
عشرة أشهر بالتمرن عند شركة وارنر قبل أن أعود
لاستلام شركات والدي».

نظرت ناتالي بعيداً عنه وقد غلف بعض الضباب
عيونها الجميلة:

«علينا أن نكبر كما اظن» تمتعت.

«اجل» وافقها روبرت وهو يدرس بروفيها:

«لكنني اعتقد أنك قد بدأت بذلك فعلاً» رفع اصبعه
واخذ يتحسس وجنتها وتابع:

«هل كنت جيدة أثناء فترة غيابي؟»

سؤاله جلب الابتسامة إلى عيونها:

«آه، أجل» اعترفت:

«على أفضل ما أمكنتني على كل حال. كنت أكثر من
مشغولة طوال هاتين السنتين للإنتهاء من الدراسة
بالمعهد القريب وقد تدبرت لي عمتي منذ أربعة أشهر -
أنا أساعد السيدة بوشيه ثلاثة أيام في الأسبوع».

«آل بوشيه؟» قال بدهشة وهو يجلس فجأة:

«لا يجب عليك أن تعلمي هناك، نانالي. فبعكس
عمتك أنت لم تخلقي لخدمة الآخرين».

لمحة الاحترار التي غلفت كلماته بتحدثه عن عمتها
اثار حفيظتها وأشعل برق عينيها وقالت بكبرياء:

«أنا لست أفضل أو أسوأ من عمتي سابرين روبرت!
لا أشعر بالعار والخجل بترتيبي للأسرة وغسلي للبلاد
لكسب عيشي».

«حسناً، اذا كان عليك فعل ذلك لكسب العيش
فالأفضل لك أن تعلمي في القصر عندنا! وليس عند آل
بوشيه!»

«آه، اليس هذا لطفاً كبيراً منك؟» قالت بغضب وهي
تنهض لتجتمع أغراضها لترحل وشلال شعرها الذهبي

ينسدل حول وجهها المحتقن:

«بكلمات أخرى لا مشكلة عندك بمسحي لبلاط

قصركم لكن ليس بلاط أي أحد آخر».

فهي كانت تساعد عمتها بين الحين والآخر. كان

عليها هذا - بوصفها قريبة مديرة المنزل.

«أنا لم أقصد ذلك» قال بحدة ممسكاً برسغها ليمتصها

من النهوض:

«قصدت... اللعنة، نانالي».

شدها وسقطاً معاً على الأرض وحذق بها وهو يتابع:

«لا شك أن كارولين بوشيه تتفاخر بوجودك عندها

للخدمة وتشر ذلك على الجميع».

«استطيع تدبر أمر كارولين» قالت مبعدة نظرها عنه

لأن كبريائها كان يتألم لادراكها أن كارولين بوشيه تنفوق

عليها بمراتب اجتماعية كثيرة هي نفسها لا تعترف بها.

وكانت كارولين تشعر بالغيرة القائلة من العلاقة

الخاصة التي تربط بين روبرت وبين نانالي ووجود

نانالي بخدمتها لثلاث أيام في الأسبوع كان كالجحيم

الكامل لنانالي، فكارولين لم تكن تترك اية فرصة

صغيرة تمر دون أن تذكر نانالي بوضاعة مركزها

الاجتماعي والفروقات الكبيرة بين مستواهما.

خفت قبضته على رسغها الا انها لم تحاول الابتعاد

وظلت تحذق به عبر رموشها بينما غرق هو بأفكاره

الخاصة.

«لا زلت لا ترتدين الصدرية» علق فجأة مما جعل وجهها يحمر خجلاً وهي تنظر إليه.
«الجو - الجو حار جداً» قالت بدفاع واللون يزداد على وجهها وهي ترى نظراته المركزة على صدرها البض.
«جميل» تمتع بعمق:

«جميل...» ورفع عيونه لتتشابك مع عيونها:
«لم أستطيع طوال الستين العاضيتين من نزع جمال وجهك وصدرك من خيالي ناتالي» قال بصوت مبسوح:
«ليس منذ أن قبلتك تلك الليلة تحت ضوء القمر».
«لا تفعل روبرت...» قالت وارادت الابتعاد عنه الا أن شيئاً ما أبقاها مكانها. رفع يده وأخذ يلامس صدرها من فوق البلوزة القطنية الرقيقة وحين شعر بارتعاشاتها المستجيبة وسمع شهيقها الصغيرة ورأى فمها الشهي ينشق بإغراء رفع إليها عيونه اللامعة وهمس:
«صدر جميل، شفاء جميلة. لم أستطع نسيان تلك القبلية ايضاً». تمتع بصوت هامس:
«وقد انتظرت سنتين لعينيتين كاملتين لمعاودة تقبيلك مجدداً.

قربها منه وبدون مقاومة التصقت هي به وغرقت بدفه قبلته وعناقته وهناك تحت ظلال الأشجار قرب

مياه البحيرة المتلألأة وعلى صوت العصافير المغردة حول روبرت ناتالي العذراء إلى امرأة حرة طليقة وسعيدة.
«أنا مغرم بك ناتالي» همس بحرارة حين أدرك حقيقة ما فعلاه وجعلها هذا تقائله بضعف:
«أعتقد أنني كنت دوماً مغرمًا بك منذ لحظة ولادتك».

وغرقت هي بحرارة وصدق اعترافه. ولم تسأل مرة عن مدى صدقه وأمانته بما اعترف به، فهي لم تعتقد ولا لمرة واحدة فقط أن بإمكان روبرت باستثناء كل الناس غيره أن يكذب عليها هي. وطوال الصيف كانا لا يفترقان عن بعضهما البعض كلما منحت لهما الظروف وكانا يسترقان لحظات السعادة والمتعة هذه بالتقاءهما بسرية في الغابة او في أي مكان آخر للاستمتاع بحبهما دون أن يشاركهما أي احد آخر بذلك.
بنهاية ذلك الصيف كادت ناتالي أن تنهار لشدة حزنها من اضطرابه للسفر إلى كندا لمدة عشرة اشهر كاملة.

«هذا للافضل يا حبيبتي» قال لها وهو يضمها اليه بقوة وكأنه يتألم لمجرد ذكره لسفره:
«يجب أن أثبت نفسي لأبني كرجل يعتمد عليه وبشخصية قوية قبل أن أبداً بإطلاعه على طلباتي. وأنت

لا تزالين صغيرة السن... لكن حين أعود، اعذك اننا سنتزوج على الفور سنتزوج يا حبيبتي حتى ولو اضطرني ذلك لمعاداة العالم بأسره». قال بشدة وعمق وتابع:

«لا يمكن التفريق بيننا ناتالي - فأنت وأنا أصبحنا جسداً واحد وروحاً واحدة».

ذهب لعشرة أشهر ولم تراه لثمانية وتسعون شهراً. وبعد رحيله بشهرين أدركت ناتالي انها تحمل طفله بأحشائها. لجأت إلى عائلته واطلعتهم على ما حدث طالبة منهم عنوانه.

كلمات والدته الرنانة ستظل محفورة بأعماق قلبها إلى الأبد.

«لا أحد يستطيع إيتزاز هذه العائلة واجبارها على الزواج» قالت الوالدة بحدة وزوجها يحدق بابتة الحارس باحتقار وقرف:

«أنت تقولين أنه طفل روبرت لكن روبرت أنكر ذلك. في الحقيقة روبرت يتساءل عن إمكانية معرفتك لهوية الجنين هذا بالضبط، بما أن حقيقة انك متوفرة لكل من يطلبك شيء أكثر من ظاهر وأكيد»

تابع والده تمزيقها بإعطائها شيك بمبلغ من المال رماه لها وهو يقول وعيونه تمكس ازدواجه واحتقاره:

«تخلصي من جنينك اللقيط هذا. الاجهاض ليس بالأمر الصعب بهذه الأيام. وقد أعطيتك المبلغ الأكثر

من كافي لقيامك بذلك! لا أريد أن يرتبط إسم ابني بأية فضيحة أنت وحدك مسؤولة عنها! ابني سيتزوج من كارولين بوشيه الفتاة المحترمة الشريفة سليلة الحسب والنسب. لقد خططت لهذا منذ سنوات وإما أن تتخلصي من ذلك الطفل وإما أرمي بك وبعمتك خارج آشلي كلها - وسأؤكد بنفسى الا تحصلوا على عمل آخر في أي مكان آخر بالجوار نظراً للمعلومات التي سأعطيكها للجميع عنك! أفهمت ذلك ايها المتسلقة الرخيصة؟ لا أريد أن أراك هنا مجدداً. أغربي، أغربي عن وجهي وابتعدي مع فتيات من أمثالك».

عافرت ناتالي القصر والدموع والاحتقار والألم والغضب واليأس يختلطون داخلها ويمنعها من الرؤية الواضحة. وهي تصرخ بهستيريا.

استقبلتها عمتها بنفس الشيء وقالت:

«عليك أن تفعل ما يطلبانه آل ستابلتون منك ناتالي، لقد مضى على عملي بهذا القصر عشرون عاماً ناتالي عشرون عاماً! أنا أكثر من مسنة للتفتيش عن عمل آخر يمكن آخر! وأنا لا أريد ذلك أصلاً! إذهبي - إرحلي - تخلصي من الجنين اللعين وبحق السماء بحق السماء لا تعودى إلى هنا ثانية! لقد غسلتني بالعار بما فيه الكفاية - بأكثر من الكفاية! لا تعودى إلى هنا أبداً...»

وهذا ما حدث وما كان ليستمع بالحدوث لولا ان

قرأت ذلك الاعلان قبل ساعات ام قبل سنوات؟

هزت رأسها بعنف مبعدة ذكرى التعاسة هذه من عقلها وفتحت عيونها مجدداً وهي تتساءل هل القدر هو الذي جعلها توافق على العودة إلى هنا؟ هل مصيرها هو الذي اعادها مجدداً إلى أشلي؟ صوت طرقات على باب الغرفة سرقها من أفكارها وذكراياتها الحزينة وسمعت صوتاً نساءياً يقول:

«آنسة شالسي السيد ستابلتون والأنسة بوشيه بانتظارك».

«أجل سأنزل بعد عشر دقائق» ردت ناتالي وهي تمسح وجهها بيديها وتزيل آثار الدموع عنها ثم دخلت غرفة الحمام حيث ادارت المياه الدافئة واغتسلت بسرعة مبعدة عنها كل الماضي ومستعيدة سيطرتها وتعقلها وتركيزها على المستقبل الذي ازدادت خشيتها عليه...

سرحت شعرها جيداً وتركته يشد على أكتافها ثم ارتدت الثوب الذهبي الرائع المصنوع من خيوط الحرير والمطرز بخيوط الذهب. الثوب كان ضيقاً على الصدر والخصر وطويل وله شق طويل من طرفه يظهر ساقها الجميلة الصب.

أضافت بعض الماكياج لوجهها الجذاب وابتسمت لنفسها بالمرآة فمهما كانت كارولين متأنقة ومتشوقة هذا المساء فهي لن تظهر بمظهر أجمل مما تبدو عليه ناتالي

الآن. فلطالما كانت العيون تنجبه إلى وجهها البرونزي وعيونها الخضراء الواسعة وليس إلى شعر كارولين الأصفر وعيونها الزرقاء الصغيرة ووجهها ذو الملامح الطفولية.

اتجهت نحو الباب ورفعت ذقنها بكبرياء ونزلت السلالم بخطواتها الأنيقة الواثقة.

روبرت وكارولين كانا بانتظارها في قاعة الجلوس. روبرت ببدة رسمية نبيلة وقميصاً أخضر اللون وانتهت ناتالي للمرة الأولى أنه صار يهتم بأناقته بطريقة كانت تزيد من جاذبيته وسحره الآن وقد اكتمل نضجه واكتملت رجوليته. فهو يبلغ الواحد والثلاثين من العمر الآن فكرت بألم. هزت رأسها ورفعت نظرها عنه إلى الفتاة المتأنقة التي كانت تجلس قربه وتحديق بها بدهشة.

كانت تزال نحيلة ورشيقة وشعرها الأصفر الذهبي كان مرفوعاً بأناقة أعلى رأسها. ثوبها كالعادة كان فاخراً وثميناً يناسب بلونه الفيروزي ملامح وألوان كارولين.

نظرة روبرت المخترقة كانت تراقبها وهي تقترب منهم برشاقة، أخذاً بعين الاعتبار شعرها العسلي الكثيف الناعم المشدل بأنوثة على أكتافها وحول وجهها الساحر الجذاب التقاطيع ومتنبهاً لجسدها المتناسق يتقاطعه وتضاريسه الأنثوية الواضحة تحت الثوب الضيق.

العيون الرمادية ارتفعت إلى عيونها وأخذ قلبها ينتفض بقوة للنظرة التي برقت داخل عيونها للحظة قبل أن يستعيد مجدداً قناع البرودة والصلابة.

ابتعدت نظرها عنه وقالت:

«مرحبا كارولين».

«أهلاً ناتالي» ردت الفتاة الأخرى بصوتها الصغير:

«لقد تغيرت كثيراً. كيف حال عمك الآن؟ لقد كنا

جميعنا بالغى القلق، المسكينة، مع أن روبرت كان رائعاً وبالغ اللطف معها، اليس كذلك حبيبي؟»

لم يجيبها روبرت ونهض ليحضر الشراب لناتالي.

فتابعت كارولين بتعمد:

«ولحسن الحظ فقد وجدنا السيدة فالو فوراً وهكذا

إفان مرض عمك لم يسبب الكثير من... عدم الملائمة في القصر هنا و...»

«كارولين من الأفضل التوجه إلى غرفة المائدة لأن

كل شيء أصبح جاهزاً» قال روبرت مقاطعاً أيامها بجفاف.

رمت كارولين بنظرة سريعة وقالت:

«آه أخيراً حان الموعد... لا أعرف روبرت. لربما

كان من الأفضل لو أنك حذرته من أن موعد العشاء سيأخر حتى هذا الوقت. أكاد أموت من الجوع».

«أعرف وأعتذر عن ذلك» قال بلياقة باردة وهو يقود

ناتالي إلى غرفة المائدة وكارولين تسير بجانبها:

«كان علي الاتصال بك وإلغاء موعد العشاء هذا لكنني

بصراحة نسيت تماماً أنك ستحضرين إلى القصر للعشاء

كارولين وتذكرت ذلك فقط حين فتحت لك الباب»

«شكراً لك على صراحتك!» ردت الفتاة وادركت

ناتالي دون أن تنظر إليها أن اللون الأحمر قد غزا

وجنتيها وظلت صامته لحين جلوسهم حول المائدة.

وحول المائدة أخذت كارولين كما توقعت ناتالي

تشغل روبرت بأحاديثها المشرقة حول أشياء لا معنى لها

وحول أشخاص وأسماء لا تعرف ناتالي عنها شيئاً.

ولهذا فقد تشاغلته الأخيرة بتناول الطعام وبالبقاء صامته

شاكراً حفظها أن كارولين لا تتحدث عنها هي.

«أتريدين المزيد من العصير ناتالي؟» تفاجأت حين

وجه لها روبرت هذا السؤال ورفعت عيونها لتواجه

النظرة العميقة داخل عينيه.

«لا... شكراً» رفضت بأدب.

لكن هذا السؤال جذب انتباه كارولين إليها وانتظرت

ناتالي سيل الأسئلة الاستفزازية التي ستوجه لها.

«حسناً» بدأت كارولين بهدوء:

«لقد... لقد كان من الجيد رؤيتك ثانية نانا. هل

ستطول إقامتك هنا؟»

«لا أعتقد ذلك» ردت ناتالي بغموض متعمد مصممة

على عدم منح كارولين الاكتفاء بمعرفة أي شيء عن خططها وخطواتها المقبلة:

«لكننا وبدون شك سنشاهد بعضنا مجدداً قبل رحيلي». وإبستم لها بنظاها.

«هذا محتمل جداً» ردت كارولين بإبتسامة مشابهة:

«بما أنني وروبرت نقضي معظم أوقاتنا سوياً» قالت ورمت روبرت بإبتسامة جذابة متابعة:

«قد نخرج سوياً بسهولة ما... استطيع دائماً إيجاد شريك لك نانا».

اجل لكن من؟ الجنانتي أو السائق أو لربما رئيس الخدم؟ فكرت نانالي مدركة تماماً أن هذا هو ما يجول برأس كارولين وما توحى به نيرتها.

«لسم أقطع كل هذه المسافة لحضور السهرات والحفلات كارولين» أعلمتها نانالي ببرود:

«عمتي مريضة وسأقضي معظم وقتي أثناء إقامتي هنا معها».

«ثم ستعودين إلى حيائك المعتادة دون شك» مجدداً تلك التبرة المتمعدة بصوت كارولين التي تابعت:

«اتنما لسم تكوننا... مقربتين جداً من بعضكما البعض، اليس كذلك؟»

«مقربتين كفاية الآن لأفكر بإمكانية العودة للعيش هنا إذا رغبت عمتي بالبقاء في آشلي» سمعت نانالي نفسها

تقول هذا رداً على استفزاز كارولين لها.

وشعرت بالرضى لأن الدهشة ظهرت على الوجنتين الآخرين رغم أنها لم تكن تعني ما قالت حقاً. فمن رابع المستحيلات لها العودة للعيش هنا هي وجيمي، جيمي بالذات. فتابعت قائلة:

«لكن قد تتمكن من إقناعها بالعودة للعيش معي».

«أين؟» سألتها روبرت بحدّة.

نظرت إليه مدركة أنه لا يزال مجهل مكان إقامتها ولا نية لديها بالطبع بإطلاعها على ذلك.

«في واشنطن» أجابت فوراً مدركة أن البحث عنها هناك سيكون كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

«لقد عاشت عمك كل حياتها هنا في آشلي» قال مبعداً فكرتها بنبرة قاطعة:

«فقط الشخص المتوحش البلا جذور سيفكر بانتزاعها من هذا المكان وهي بهذا السن».

«أذن ماذا تقترح أن أفعل؟» تحدته ببرود:

«لست بلهاء روبرت، اعرف جيداً أن عمتي لن تتمكن من متابعة عملها كمديرة منزل بعد خروجها من المستشفى. فهذا أكثر من واضح وهي أصبحت في سن التقاعد الآن وكما أوضحت أنت ذلك مسبقاً» أضافت بصوت حريري:

«أنها مسؤوليتي وليست مسؤولية أي شخص آخر».

«أذن كما اقترحت منذ لحظات سيكون عليك المجيء للعيش هنا» قال بلهجة انتصار جعلت ناتالي تقطب جبينها بحيرة. لماذا يرغب هو نفسه بذلك؟
«ارتباطاتي الحالية قد تجعل هذا الامر... صعباً» قالت.

«هناك رجل ما؟» سألت كارولين بصوت معسول.
حدقت ناتالي بروبرت للحظة قبل أن تنظر إلى كارولين وتقول: «

«أليس هو موجوداً دوماً؟ لكنني ادير أعمالتي الخاصة الآن ولا أستطيع فعلاً إغلاق العمل او نقله الى هنا».

«انت - تديرين عملك الخاص؟» سألت كارولين بعدم تصديق كامل وابتمت ناتالي لأنها نجحت اخيراً بالتأثير على كارولين.
«أجل» ردت بكبرياء:

«لكنه ليس من النوع الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر بكل سهولة. إنه محل لبيع الألبسة الجاهزة وقد افتتحت به مؤخراً فرعاً للتصميم والخياطة والعرض - زبائني يعتمدون علي شخصياً. ولهذا فعلي التواجد حيث يكونون، اذا فهمت قصدي».

«آه» علقت كارولين وقد بدت عليها الخيبة:
«انقصدين انك تملكين محلاً لبيع الألبسة الجاهزة؟»
«الاهم هو قسم التصميم فانا أنتج الآن ماركة معروفة

من أثواب النساء؟»

«حقاً؟» سألت كارولين بعدم تصديق.

«أجل - ماركة برنس هي من إنتاجي الخاص».

«برنس للألبسة النسائية من إنتاجك؟» قالت كارولين بعد لحظات ونظرت بحسد الى ثوب ناتالي وقالت:

«وهل هذا برنس؟»

«كلا إنه مصمم لي أنا شخصياً فقط» قالت ورفعت نظرها إلى روبرت الذي بدا عليه التفكير العميق وثابت:

«استأذن الآن... علي الخلود للنوم، لقد كان يومي طويلاً ومرهقاً».

«بالطبع» قال ونهض عن الطاولة بأدب.

«تصبحون على خير» قالت ببرود.

«تصبحين علي خير» ردا ببرود مماثل وهما يحدقان بها بتفكير.

غادرت ناتالي الغرفة واخذت نفساً عميقاً وهي تعير الصلاة ثم إتجهت نحو السلالم حيث سمعت صوت روبرت ينادي اسمها بنعومة وهو يغلق باب غرفة المائدة خلفه.

استدارت لتنظر اليه وتعابيرها مستفسرة ومرهقة.

«لا تزال معي» قال بصوت رقيق.

قطبت محاولة أن تفهم معنى كلماته.

«برنس» قال بإشراق وتوسعت عيونها لإدراكها معنى كلامه.

«لماذا اخترت إسمه بالذات من بين كل الأسماء الأخرى ناتالي؟» سألتها وهو يقترب ليوقف قريباً:

«هل يعني هذا أنك كنت تفتقدينا وأنت مشغولة بيناه عملك؟»

إستدارت مبتعدة عنه وقالت بهدوء:

«إذا قصدت بسؤالك هذا إذا كنت أفقد برنس فإن الجواب هو أجل. لقد كان هو وحده الصديق الحقيقي لي في هذا المكان. بالطبع أنا أتذكره.»

تابعت خطواتها دون أن تنظر إليه لكنها شعرت بعيونه المتقلصة تلهب ظهرها وندمت، ندمت لأنها سمحت لاستغزات كارولين بالنيل منها وجعلها تبوح بشؤون عملها وحياتها وها هو الآن يرغب بمعرفة المزيد.

إرتعت بغضب من نفسها لتلك الزلة وأغلقت عليها باب غرفتها. هي لم تأتي إلى هنا لتباهى ولتظهر لهم جميعاً نجاحها بحياتها بالرغم من تعارضهم جميعاً لتحيطيها!!

ليلة ناتالي بتلك الليلة كان سلسلة من الكوابيس وأحلام الذكريات والمشاهد الماضية التي كانت تجعلها تستيقظ من النوم وهي تشعر بالألم بقلبيها المطعون. وهكذا مع أول ظهور لخسوف الشمس إستيقظت

وصعدت إلى تراس القصر للتمتع بجمال المنظر وسحره من هناك.

لم تنزل إلى الطابق السفلي الا بعد أن تأكدت من ذهاب روبرت إلى عمله وذلك بعد أن شاهدت سيارته تبعد خارج بوابة القصر.

أبلغتها مديرة المنزل بذهابه وأبلغتها رسالته القائلة بأن السائق الخاص سيوصلها إلى المستشفى. تناولت ناتالي فطورها ثم إرتدت بنظراً بنياً وقميصاً جريداً مشجراً وسرحت شعرها جيداً ثم ذهبت إلى المستشفى. قضت النهار بأكملها إلى جانب سرير عمته واستراحت حين شعرت بتحسن حالتها عما كانته البارحة وبيطه ويأذرك كبير من الطرفين بدأت ناتالي وعمتها بإرساء قواعد علاقة جديدة بينهما. لم تذكر ناتالي لعمتها موضوع جيمي ولم تسأل سايرين عن عملية الإجهاض التي أرادت وعائلة ستاهلثون منها أن تجريها. قبل سنوات ثمانية.

كانت تحدث عمتها عن عملها حين ظهر روبرت داخل الغرفة. هي لم تسمعه يصل فخطواته كانت كالعادة بلا صوت. وعمتها هي التي رآته أولاً وابتسمت له بإشراق وهي تتمتع:

«روبرت! كم تسرني رؤيتك.»

«تبدلين بحالة أفضل اليوم سايرين» قال وهو يقترب

من السرير ليداعب الخد العجوز. ويقلبه. وشعرت نانالي أن وجوده يضيف على جو الغرفة القوة والسيطرة. وسمعت يثابح يمرح:

«أنساءل ما الذي سبب هذا التحول؟».

ظهرت الدموع داخل عيون سابرين وقالت بركة:

«آه، روبرت... شكراً لك على إيجادك لها...»

وتحركات اليد الرقيقة لتمسك بيد نانالي ولتشد عليها بحتان وتابعت:

«لا تعرف كم تعني لي رؤيتي لنانا مجدداً».

«أعتقد أنني أعرف سابرين» قال بهدوء وعيونه تتشابكان بغموض مع نظرة نانالي.

«كيان كل هذا بسببي أنا - خطي أنا كما تعرف»

تابعت عمتها بيبكا:

«أنا من أرسلها بعيداً - وهي بعد طفلة، طفلة يصعب السيطرة عليها. لكن لم يكن يحق لي أن أفعل ذلك!» وجهت عيونها الباكية إلى نانالي متابعه بحزن:

«لم يكن يحق لي ذلك نانا، وقد قضيت كل هذه السنوات أندم على ذلك».

«لا ترهقي نفسك عمتي» قالت نانالي بحب عميق وقد تأثرت من مدى الألم والندم الذي تشعر به عمتها:

«لم يعد هذا كله يهم الآن. الماضي هو الماضي، ومن الأفضل نسيانه الآن الا تعتقدين ذلك؟» قالت

نانالي مغلفة الموضوع مخافة أن تنفوه عمتها بشيء ما أمام روبرت. فأخبر ما تريده نانالي هو أن يعرف روبرت بأمر ابنه.

«آه، أجل» قالت عمتها بتنهيد وهي توشك على النوم:

«أفضل نسيان كل الماضي لو أستطيع».

استغرقت سابرين بالنوم وظل روبرت ونانالي يحدقان بها لبعض الوقت قبل أن يغادرا الغرفة.

أمسك روبرت بيدها للحظة فور مغادرتهمما للغرفة وقال:

«هل هي من أرسلك بعيداً؟»

ترددت بالإجابة ثم قالت:

«أجل» دون أن تكشف هوية من أجبرها على هذا الرحيل.

«لماذا؟» سألتها وعيونه مدفونة داخل عيونها:

«هل عرفت بشأننا نانا؟ هل كان ذلك هو السبب؟»

ارتعشت بشدة لمشاداته لها بالإسم الذي كان كالموسيقى على آذانها كما نطقته شفاهه. عضت على شفتها السفلى بقوة متسائلة عما دفعه ليبدو مذهولاً لفكرة سبب طردها هذه في حين أن عليه الإدراك أنه هو نفسه من دفعها لذلك.

«كما قلت لعمتي منذ لحظات...» قالت وقد

إستعادت قناع البرود والصلابة:

«الماضي هو الماضي ومن الأفضل نسيانه».

ظل يحدق بها للحظات مدركاً أن كلماتها تخفي الكثير من الأسرار والأشياء التي يعرف هو شيئاً عنها. لكن بالنسبة لها هي، لم يكن هناك العديد من هذه الأسرار. إذا قرر روبرت نسيان كل الذكريات ورميها خلف ظهره فهذا هو شأنه لكن إن كان بقسوة القلب هذه ليتمكن من نسيان الماضي فعلاً فلا فائدة إذن من محاولة التحدث عن ذلك الماضي إستعادت صلابتها وسارت امامه.

راقبها مخترقاً كل خطوة تخطوها مدركاً أنها قد اختبأت خلف قناعها الصلب. في الماضي كانت كل مشاعر ناتالي وأفكارها تظهر على وجهها وداخل عيونها لكن الآن صار من الصعب جداً عليه إختراق نظرتها لمعرفة ما يدور داخل عقلها.

بإستثناء حين قبلها تلك القيلة. فقد إندفعت مشاعرها عبر الحواجز وسببت له الصدمة والذهول لعمق كرهها ونفورها منه. وتركه هذا غاضباً ومهاناً لأنه سمح لمشاعره هو بالظهور.

عاد إلى القصر والصمت رقيقهما الثالث.

وإرتاحت ناتالي لهذا لأنها كانت بحاجة للتفكير بالعديد من الأشياء. لقد تحدثت اليوم مع طبيب عمته

وعرفت منه أن صحتها لن تعود إلى حالتها الطبيعية ابداً. وأنها ستظل بحاجة للرعاية والعناية حتى بعد خروجها من المستشفى. وهي بالطبع لن تتمكن من معاودة العمل وسيكون عليها الاستلقاء والابتعاد عن كل ما يثيرها ويحرك أعصابها. فإذا حدث لها أية نوبة أخرى في المستقبل فإنها ستكون القاضية عليها لا محالة.

«أخشى انني لن أكون متواجداً على العشاء هذه الليلة».

قطع فجأة صوته حبل أفكارها جاعلاً إياها تنظر إليه كأنها قد نسيت أنه يجلس على المقعد بجانبها خلف المقود.

«عندي بعض الإرتباطات بالعمل وسأناخر في المكتب إلى ما بعد العاشرة».

«لا بأس» قالت ببرود:

«أنا لا أبقى معك بوصفي ضيفة ولهذا فلا تشعر بأنك المضيف وأن عليك تسليتي».

«لربما علي تسليتك فعلاً» تتمم وهو يرميها بنظرة سريعة.

تجاهلت تعليقه ونظرت بعيداً عبر النافذة. لكن ضربات قلبها تسارعت لتعليقه المعسول هذا وفهمت ما يقصده بكلماته. وأدركت أنه بدأ يؤثر عليها بنفس

الطريقة التي كانت تشعر بها في السابق، في نفس المكان المؤلم داخل أنسجة قلبها الممزقة.

تنهدت بعمق وتمنت لو أنها لم تكن هنا معه، وتمنت لو أنها لم تقرأ مقالة الجريدة تلك.

«ما دمت وعمتك تستطيعان إرساء دغائم السلام مجدداً بينكما ناتالي» قال بهدوء:

«الا تعتقدين أن بإمكاننا محاولة فعل ذلك بدورنا؟».

- ٨ -

كلا، قالت بنفسها فوراً. لن نتمكن ابداً من فعل ذلك. نظرت إليه بتمعن مدركة أن روبرت ستابلتون الذي تراه أمامها الآن قد أصبح رجلاً ناضجاً بكل معنى الكلمة قد أصبح قادراً وحكيماً ومسيطرأ.

روبرت ستابلتون الذي كانت تعرفه سابقاً كان متهورأ ومستعداً لتشجيعها للقيام بمغامرة مثيرة، كان يعشق طبيعتها المتمردة المغامرة، وحبها المتأجج للحياة.

وكان حين يعانقها ويبادلها الحب كان يغرقها في بحار النشوة والمتعة بكل مشاعره وعواطفها.

تحركت أحاسيسها متوسلة بعض التأكد أنه لا يزال هنا لكنها أسكتت هذا الصوت داخلها فقد حولتها السنوات إلى المرأة التي هي عليها الآن. وحولته هو

إلى الرجل الهاديء المسيطر والقادر. وأصبح هو أكثر خطراً الآن، لأنه كما يبدو كان قادراً على إفهامها هذا ولو فقط عبر هذه الوسيلة الخطرة بجعلها تقارنه مع روبرت ستابلتون القديم.

«لا أعتقد ذلك روبرت» أجابته بصدق:

«فيعكسي وعمتي، نحن لم نعد نملك أي شيء مشترك بيننا».

«وهل تعتقدين ذلك حقاً؟» قال وأصابه تصلب على المقود للحظات:

«أنا لا أعتقد هذا... لا أعتقد هذا مطلقاً».

التفت عيونهما للحظة، لجزء من اللحظة فقط نزلت نظرتيه إلى جسدها قبل أن تعود إلى عيونها. وهذا كان كافياً لها لتعرف ما كان يقصده بالضبط.

لقد رأت تلك النظرة بعينه في السابق - لمرات ومرات. هو لا يزال يرغب بها! يرغب بها بلهفة وحرارة كما كان قبل ثماني سنوات! رغبة جامحة عميقة وقوية دون التفكير بالعواقب والنتائج عما يمكن أن تفعل هذه الرغبة لهما!

بإرتباك أبعدت نظرها عنه وتصلبت شفاهها بخوف واشمئزاز.

«إنس هذا روبرت!» قالت بصوت كالصوت:

«أنا لم أعد تلك الفتاة الحمقاء الغبية والساذجة التي

كنتها منذ ثماني سنوات - لقد كبرت بسرعة وبشكل كامل والفضل يعود لدروسك القاسية التي علمتني أياها».

نطقت كلماتها الأخيرة بكل المرارة والألم بما جعله ينظر إليها بذهول.

لحسن الحظ كانا قد وصلا إلى القصر ففتحت ناتالي باب السيارة وغادرتها بسرعة مصممة على الالتجاء إلى غرفتها للتخفيف من عمق الغضب والحقد الذي كان يشتعل داخلها.

الا أنه لحق بها وهي تصعد السلالم وسارع بالقبض على رسغها ومنعها من متابعة السير.

«لم تنتهي بعد ناتالي» قال بحدة:

«لقد ضقت ذرعاً بالملاحظات المتعمدة التي ترميها بوجهي بين الحين والآخر - أنت من تركني ورحل قبل ثماني سنوات ناتالي وقد حان لك الوقت لتدركي ذلك».

حدقت به بعدم تصديق لعمق دفته للحقيقة وقالت له بغضب عارم:

«فكر بما تشاء عليك اللعنة! أنا لست دميئك الخشبية التي ترميها أو تلعب بها ساعة تشاء وتريد».

«كلا» رد بحدة مماثلة:

«أنت امرأة قاسية بلا مشاعر قررت ولسبب الله وهي

وحدها تعرفه قررت أنه مهما كان ما حدث هنا قبل ثمانية سنوات فالحق يقع على الجميع الا عليها هي.

«هذا صحيح» وافقته وهي تحاول الافلات من قبضته دون جدوى:

«قاسية، بلا مشاعر وبعيدة المثال... لك او لاي رجل آخر يفكر باستغلالي مجدداً»

«وجيمي؟» أصر بحدة:

«أين يترك هذا حبيبك جيمي؟»

التمعت عيونها بشدة وقالت:

«هذا يترك جيمي بمكانه وحيث هو دائماً - إنه الاستثناء للمساعدة الصلبة، إنه يمتلكني قلباً وروحاً وجسداً ولا أنت، ولا... كل إغراءاتك القديمة... سوف - سوف تحطم ذلك».

تخلصت من قبضته وتركها تبعد عنه وهي ترتعش بشدة وجدت صعوبة معه بالمحافظة على توازنها على السلالم.

«لكنه، مثلي تماماً لم يكن بحاجة ليتزوج منك ليجعلك عبدة المطيعة...» قال بقسوة عميقة هزت أعماقها:

«ومثلي... مجدداً كما أظن، هو وجد أن بإمكانه الحصول على ما يريد منك دون اضطراؤه للتورط بأشياء تقليدية مفيدة كالزواج».

«هذا صحيح» وافقته دون أن تعطي له أي شيء أو مقدمة له كل شيء. إذا كان عنده التنبؤ الكافي وحده النظر:

«إنه يشبهك بالعديد من الأشياء - باستثناء شيء بالغ الأهمية ومصيري». استدارت ببطء لتتأمل إليه وعبونها تحمل كل الإزدراء كتبتها تماماً:

«كما ترى جيمي يحبني. أنا الشخص الوحيد في العالم كله الذي يهتم له. ولا هو ولا أنا بحاجة لدليل مادي من أي نوع لنعرف أن هذا صحيح».

شيء ما تحرك بأعماقه وحدقا ببعضهما للحظة طويلة قبل أن تستدير وتتابع خطواتها.

«وهل يعرف... جيمي الرائع خاصتك هذا عن إجهاضك؟» تجمدت ناتالي مكانها وكأن روبرت قد طعنها بسكين حاد اخترق أعماق أعماق قلبها.

«أم أنك فضلت إخفاء هذا التفصيل الصغير عنه؟ ليس العديد من الرجال يتقبل فكرة قتل الاجنة ناتالي. فهذا الأمر لا يتناسب مع جهة نظرهم الوردية التي يفضلونها عند نسايتهم، اليس كذلك؟»

«أنت من بين كل الآخرين عليك إدراك ذلك روبرت» أجبرت نفسها على التحرك مجدداً مجبرة نفسها على التلطف والقاء نظرة اخرى عليه راغبة بزرع آظافرها بجلد وجهه:

«فمن المفترض بك أنك قد أصبحت رجلاً بعد كل شيء».

تركته وشعور الرضى يكتنفها لأنها أصابته بالصميم وأسكتته وظلت الكلمة الأخيرة لها هي. وبعد أن أغلقت باب غرفتها على نفسها إرتمت على السرير والغضب ينطلق كالشرارات من عيونها النارية وهي تصيح بكل ألم:

«اللعين القاسي - الحقيقر الفظ الميت المشاعر».

إتصلت بجيمي صباح اليوم التالي وأخذت بعض القوة من ثروته البريئة.

«اهلاً ماما» قال بصوته الاحب إلى قلبها:

«يقولون أن الثلج يتساقط عندك وأن الثلج أصبح بعلو المنزل».

ضحكت نانالي قائلة:

«لا جيمي هناك مبالغة بهذا الوصف. أجل لقد

تساقط الثلج أثناء الليل وأجل هو كثيف على الأرض. لكن الشوارع سالكة والسير متحرك»

تحدثت بعد هذا مع أماليا واطمأنت منها عن سير العمل.

«كيف وجدت العودة؟» سألتها أماليا بعد قليل.

«صعبة» اعترفت نانالي:

«الأمر غريب، لكن يبدو أنني غير قادرة على معرفة

شعوري حول أي شيء حولي بعد. لقد انصدمت بشدة حين رأيت ما آلت إليه عمتي التي كانت دوماً رمز القوة والصلابة لي... سأواجه بعض المشاكل قريباً أماليا... عمتي ستكون بحاجة للرعاية والاهتمام الكامل بعد خروجها من المستشفى ولا أدري كيف سأفعل ذلك مع وجود كل المشاكل والمصاعب المستترة والتي ستظهر معها».

«وروبرت ستابلتون؟» سألتها صديقته بعناية:

«هل قابلته؟»

«آء، أجل» قالت نانالي:

«أنا أقيم في قصره وأنحدث معك من مكتبه الآن ممثلة دور الزائر المتردد مع المضيف المتردد».

«يا الهي» قالت أماليا بتفهم فهي كانت تعرف كل قصة صديقته وعذاباتها:

«وكيف حدث ذلك؟»

«إنها قصة طويلة» قالت نانالي بتنهيد:

«عليك الانتظار لحين أعود. أنا أفكر بالعودة اليوم بالذات فلم يعد بإمكانني التحمل لأكثر من هذا».

«الوضع مؤلم وقاتل أماليا. سأعود إلى هنا بنهاية الأسبوع لحين تستعيد عمتي صحتها وتصبح قادرة على القدوم لتعيش معي».

«تبدو هذه فكرة جيدة ناتالي» قالت صديقتها
بتعاطف:

«لا تقلقي بشأن جيمي فهو واثق بحولان حياتنا الى
جنة».

ضحكت ناتالي وقالت:

«أنت أعز صديقة وأخت أهدتني إياها الأيام أماليا».

«حبه لا تقولي هذا ناتالي» ردت صديقتها فوراً:

«تعرفين مدى حبنا لك ولجيمي».

«أجل، اعرف».

«إلى اللقاء الآن».

وضعت ناتالي السماعة وتهدت بعشق قبل أن تغادر
المكتب ومن ثم تذهب والسائق إلى المستشفى.

لقد تعمدت هذا الصباح أيضاً مغادرة الغرفة بعد
مغادرة روبرت للمنزل فهي لم تكن راغبة برؤيته ولا
باطلاعه على نيتها بعودتها اليوم إلى واشنطن.

عمتها كانت متعبة ومتوترة وكأنها متزعجة من أمر ما
تكتمه بداخلها. حاولت ناتالي تهدأها والتطبيب من
خاطرها لكن محاولاتها لم تنجح ورأت أن الممرضات
أخذت يعاين عمتها كل نصف ساعة وابتسامتهن
المطمئنة لا تخبر ناتالي بشيء.

أخذت الغيوم تتلبد في السماء منذرة بعاصفة قريبة
وبدا الثلج يتساقط منذراً ناتالي بضرورة الاسراع بالعودة

إلى واشنطن وفق مخططاتها قبل أن تعلق هنا لفترة لا
يعلمها الا الله.

إنحت فوق عمتها وقالت:

«عمتي... أنا مضطرة للرحيل اليوم».

«لا» صاحت العمة بقوة وهي تمسك بيد ناتالي
شدة:

«لا تتركيني نانا - ليس مجدداً... أرجوك لا
تتركي».

«أرجوك عمتي» توسلت بعشق كارهة نفسها
لاضطرابها لفعل هذا:

«أعدك أنني سأعود لرؤيتك بنهاية الأسبوع
القادم... وعدت بصدق:

«أرجوك حاولي أن تفهمي ان عندي إرتباطات مهمة.
ولا أستطيع البقاء هنا لأكثر من هذا».

«لا أريدك أن ترحلي نانا...» أخذت الدموع تتحدر
على الوجه الحزين وجلست ناتالي قربها وقد ملأ اليأس
والحزن نفسها وأخذت عمتها في حضنها.

«أحبك عمتي» قالت بصدق ينبع من أعماق نفسها
وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة طويلة:

«لا أريد أن أتركك هنا. سيزورك روبرت وأنت
تعرفين أنه سيفعل. وسأعود بنهاية الأسبوع...»

«كلا، لن تعود» همست المرأة المسنة بحزن

عميق:

«سترحلين مجدداً وتنسي كل شيء عني!»

شدتها إلى صدرها وقالت:

«لا تيكبي عمتي - أرجوك لا تيكبي - لا أستطيع تحمل دموعك».

«أعرف أنك بلا شك تكسرينني» قال الصوت

الضعيف من بين الدموع:

«آه، لكن عليك مسامحتي نانا! عليك ذلك! لا أستطيع الاستمرار بالعيش مع شعوري الهائل بالذنب الذي اقترفته بحقك! أنا - أنا فقط لا أستطيع».

«أنا سامحتك» قالت ابنة شقيقها بقوة:

«بالطبع قد سامحتك».

«كل هذه السنوات» عادت سايرين للانتحاب مجدداً وأصابعها تشد ناتالي إليها بقوة كأنها تخشى عليها من الابتعاد:

«كل هذه السنوات كانت تأكلني نانا، تأكلني وتأكلني حتى لم يعد باستطاعتي التحمل لأكثر من هذا ناتالي».

«شش» هذاتها ناتالي ودموعها تنحدر على خديها من شدة عمق شعور الذنب الذي كان يخنق عمتها.

«شش» لم يعد كل هذا بهم الآن. لا شيء بهم سوى تحسنتك وعودتك إلى صحتك».

«آه. لكن هذا بهم» قالت بانتحاب وهي ترتعش:

«لقد خذلناك جميعاً بأسوأ طريقة وأكثرها قسوة! أنا، آل ستابلتون، روبرت... يا للجريمة المروعة التي ارتكبتها بحقك نانا، يا للجريمة التي لا تغفر! طفل، فليسامحنا الله، طفل إستعملناه لتحطيم طفلة أخرى عاجزة وضعيفة آه يا الهي» شهقت بدموعها وجسدها الصغير يرتعش بقوة:

«آه، طفل روبرت - حفيدي - جعلناك تقتليه بدافع الكبرياء اللعين! ولا أي عذر على هذا الكون يبرر هذه الجريمة! ولا أي شيء... أنا المسؤولة عن هذا... أنا...»

شيء هائل كان يمزق اوصال عمتها. شعرت ناتالي بهذا بذعر وهول وهتفت:

«عمتي - بحق السماء لا تموتي - بحق السماء - إسمعي أنا لم أفعل ذلك - لم أخلص من الجنين - عندك حفيد يا حبيبتي - حفيد رائع صحيح الجسم وساحر في الثامنة من العمر».

ثم كل شيء تفجر حولها صوت الآلة الموصولة بطرف عمتها إرتفع وإندفع سبل الممرضات إلى السرير وادارت هي عيونها بذهول ورعب في الغرفة وتجمدت كل اواصلها وانثلت حين رأت الشكل الطويل الداكن الذي كان يقف اسفل سرير عمتها. كان يبدو مذهولاً،

مصعوقاً ولون وجهه كلون وجوه الموتى وعيونه كالتماثيل.

رفعها احدهم من قرب سرير عمتها واجلسها على الكرسي فيما أخذ الممرضون والطبيب يهتمون بعمتها. لكن شيئاً من كل هذا لم يقطع تشابك نظراتها وروبرت.

لقد سمع ما قالته والآن هو يعرف كل شيء. لقد دخل الغرفة بصمت وسكون كعادته وسمع كل كلمة نطقت بها هي.

حملها احدهم متمماً شيئاً ما بأذنها واجلسها بطرف الغرفة بعناية وبعد الاعتذار بقيت وحدها والصدمة تهز أعماقها.

متى انضم روبرت إليها، هي لم تعرف فقد وجدته فجأة جالساً بقربها ويده تمسك بيديها. لم يتكلما ولم تحاول الاعتماد عنه وعقلها وقلبيها بحالة شلل كامل إلى أن وصل الطبيب بعد دهر ورثت على كتفها بهدوء.

«لا بأس، كل شيء على ما يرام آنسة شالسي. عمك بخير. لقد مرت بنوبة قلبية جراء تعرضها لصدمة عصبية كبيرة كما يبدو. الخطر قد زال الآن وهي ترتاح بعد المخدر الذي اعطيناها إياه وستظل كذلك ليومين آخرين فلا داعي للقلق».

رفعت نانالي نظرها إليه ولم ترى شيئاً ثم حركت

عيونها إلى جهة سرير عمتها حيث عاد صوت الجهاز إلى طبيعته وأعدت نظرها إلى وجه الطبيب المطمئن ثم نظرت إلى يديها المتكورتين داخل يدا روبرت وفجأة أدركت وكسطوع البرق أن لا شيء يهم، لا تكران عمتها لها حين كانت بأمس الحاجة إليها، ولا رفض روبرت لها وهي في احلك أوقاتها ولا كلمات والدته القاسية القائلة لها، لا شيء من كل هذا يهم ما يهم حقاً أنها اخطأت. بعدم تصميمها على مبادتها بعدم إصرارها على الوقوف بوجه الجميع واطهار حقها وحق طفلها. لو فعلت ذلك لما حدثت سنوات العذاب والكره الثمانية هذه. لو فعلت لما عاشت عمتها والذنب يخنقها. جيمي كان حياً يرزق وبأحسن صحة وسعادة. الطفل المرفوض من كل من حوله يسبب خوفهم من قوته لا يزال حياً، لو انها بقيت لو انها حاربت لما تكونت سنوات المرارة والذنب والعار هذه ولكانت سنوات صافية صادقة وعادلة.

رفعت عيونها مفتشة عن عيونه ووجدته يحدق بها بغموض. ورفعت ذقنها بكبرياء صارعت كثيراً للحصول عليه متحدية إياه.

«هل هو طفلي نانالي؟» سألتها بعنق.

لم تجيبه، لم تستطع أن تفعل. الحقيقة كانت عالقة بشدة في حلقها ونهضت وسارت بترنح إلى قرب سرير

عمتها ووقفت وأخذت تحلق بالجسد الضعيف المسترسل بالنوم.

كل هذا كان بسببها هي! عنت نانالي نفسها بشدة. ما كان عليها الهروب قبل سنوات! ما كان يجب أن تسمح لآل ستابلتون اللعناء بتسميم علاقتها الدموية بعمتها! وما كان عليها أبداً التفكير بالابتعاد عن سرير عمتها هذا وهي تدرك بأعماقها أن العمّة الحبيبة المسكينة لم تكن مستعدة لفراق آخر!

الدموع التي إنهمرت من عيونها منعته من الرؤية وأثقل الشعور بالذنب كاهلها. ما كان عليها التفكير بترك عمتها وهي بهذه الحالة! فهي كانت أمّاً لها منذ سنتها الأولى!

روبرت هو الذي كان يدفعها للرحيل مجدداً، اعترفت بمرارة! روبرت وقوة انجذابها نحوه رغم كل المرارة والأزدراء المتأصل بداخلها نحوه والذي نما وترعرع طوال السنوات الماضية.

«إسمعي...» قال وهو يقف خلفها دون أن يلمسها ونبرة صوته توضح مدى الصراع الذي يبذله للسيطرة على أعصابه:

«... لا نستطيع القيام بأي شيء آخر لها اليوم...» العاصفة في الخارج تزداد. فلنعد إلى المنزل قبل أن تزداد حدتها...»

المنزل!... منزلها وهو بعيد آلاف الكيلو مترات عن هنا إقتربت يحذر من سرير عمتها وطبعت قبلة على وجنتها وهمست من بين دموعها:

«أحبك، عمتي». ثم استقامت وتسلمت بقنقاع الجليد مجدداً وهي تغادر وروبرت الغرفة.

العاصفة كانت تزداد فعلاً مما اضطر روبرت لتركيز كل انتباهه على الطريق أمامه وهما بطريق عودتهما إلى القصر.

حالها وصلا سارعت نانالي بالتوجه إلى السلام على أمل التهرب مما سيحدث فور دخول روبرت المنزل. لكن محاولتها هذه لم تنجح وسمعت خطوته الثقيلة خلفها مباشرة.

كلمتين فقط نطقتهما وهما:
«إلى المكتب»

فطأطأت هي رأسها وسارت امامه إلى هناك وخلعت معطفها قبل أن تجلس على احد الكراسي الجلدية الضخمة والمقابلة للمدفأة التي كانت النار تشتعل داخلها مرسلة الدفء بالغرفة ولكن ليس بداخل نانالي الذي كان كالجليد البارد.

تبعتها روبرت ومزاج غامض واسود ورمى بمعطفه على الكرسي ثم جلس على الكرسي المواجه لها.
«هل هو طفلي؟» كرر السؤال الذي تركته هي بلا

جواب في المستشفى.

ضحكت بقسوة ابعد ما تكون عن المرح وقالت:
«بالنسبة لمعظم الآخرين لا» قالت متذكرة الاتهامات
المروعة التي رماها بها والداه ومتذكرة التحديات حول
معرفتها لهوية والد الطفل كما قالت والدته، وتذكرت
الغضب والعدائية والغموض والذهول التام حول ما كان
سيحدث لها، وألم الرفض يملأ روحها الصغيرة بالذعر
والخوف حول مستقبلها وما عليها أن تفعله وهي بعد
في السابعة عشر ربيعاً وساذجة ووحيدة تماماً.
«ليس هذا ما سألتك إياه» قال بحدة والغضب يحول
عيونه إلى قطعتين من الجليد:
«أنا سألتك إن كان لي ولك ابن أنا لا أعرف شيئاً
عنه».

مجدداً ضحكت بقسوة:

«كلا لا تملك إبناً لا تعرف شيئاً عنه» قالت ورفعت
رأسها إليه بتحدى:
«مع أنه من الممكن ان عندك إبناً كنت تعرف مرة
عنه - والذي - وللمعلوماتك طلب مني التخلص منه وهو
بعد جنين فقط للمحافظة على اسم وسمعة العائلة».
«ما الذي تحدثين عنه؟» سألها بذهول:
«أنا لم ولن أسمح لأية امرأة تقهر بقتل جنينها وهو
بعد داخلها - مهما كانت الظروف والملايسات».

«حقاً؟» نهضت واحتقارها له وحقدتها عليه كالبركان
داخلها لقدرته على الكذب - حتى على نفسه وتظاهره
بكل هذا الدهول والانصعاق:
«إذن الشيك الضخم الذي اعطوني إياه منك
لإجهاض طفلك به لم يكن له علاقة بك، اليس
كذلك؟» نهض روبرت كالصاعقة على قدميه وامسكها
بعنف وادارها لمواجهته وهو يزار:
«انتظري للحظة... أنا لم اكتب لك أي شيك!
مجبر ام لا! ولهذا توقفي عن الادعاء بأنني مجرم بلا
احساس يدفع لقتل الاطفال الابرياء!».
«أنت هكذا بالضبط ووبرت».
«إسمعي نانالي...» قال واصابعه تنغرز بكتفها
بحدة وغضب هائلين:
«لن أسمح لك بمحادثتي بهذه الطريقة! اللعنة
عليك! لقد عيدت الأرض التي كنت تسيرين عليها».
«تعرفين انني اعيد الأرض التي تسيرين عليها نانا».
لقد صدقت هذه الكلمات الحارة فيما مضى لكنها لن
تفعل ذلك مجدداً.
«ارفض مناقشة هذا» اخبرته وهي تنتزع نفسها منه
وتأخذ نفساً عميقاً لتهدئة بركان غضبها.
اخذ بدوره نفساً عميقاً لنفس السبب ثم قال بصوت
هادئ بطيء:

«هل الصبي الذي تخفينه في مكان ما في أرض الله
الواسعة هذه - هو ابني ام لا؟»

لا! ارادت أن تصرخ بأعلى صوته لا، لا الآن ولا
غداً!

ظلت تحديق بالنار وعيونها تقدح شرراً ويدخلها
مرارة السنوات السابقة كلها عادت لتظهر الى السطح
حاملة معها كل آلامها وتحملها والعذاب الذي مرت به
حتى تمكنت من تأسيس عمل ومصدر رزق ثابت لها
ولايتها. وفكرت بالانكار، بالانكار عليه حقه بابنه عقاباً
له على إطلاقه هذا السؤال وحتى مجرد تفكيره بذلك!

ولكن لماذا تفعل هذا؟ لماذا تكذب بشأن نسب
جيمي؟ جيمي هو ابنه وهي كانت فخورة بأن تكون
والدته... مهما كان شعور والده ودوره بهذا.

رفعت نظرها اليه والكره واضح داخل عيونها اللامعة
وقالت عبر اسنانها المضطكة:

«أجل، إنه إبنك - مع كل عدم الاكتراث الذي يشعر
هو به لهذا والحمد لله».

ردة فعله ادهشتها، فهو لم ينعته بصفة كاذبة ولم
يطلبها بدليل حسي يثبت اقوالها ولم يسألها عن كيفية
معرفتها لهوية الاب الحقيقية، بل اخذت تراقب لون
الحياة ينسحب من وجهه بطريقة مروعة لم يسبق لها
وشاهدت مثيلاً لها من قبل.

«استطيع أن أخنك لهذا نائالي...» همس بحشرجة
عميقة:

«استطيع أن اضع اصابعي حول عنقك الجميل هذا
واسحب الحياة اللعينة منك! كيف تجرات واخفيت
عني ابني الذي هو من لحمي ودمي وابقيته بعيداً عني
كل هذه السنوات؟».

شعرت بالإرتعاش من شدة العنف الذي كان يعتصره
فتراجعت إلى الوراء بترنح وسارعت بداء لتطبيقان على
عنقها برقة قاسية.

«تشعرين بالخوف؟» قال وعيونه كالجحيم:

«يجب ان تكوني كذلك يا معذبتى الصغيرة. يا
الهي! يجب أن تكوني كذلك».

الدفاع العدائي برق داخل عيونها وهي تنظر إليه
بتحدي والمرارة العميقة التي تشعر بها نحوه تظهر على
السطح بينهما، مبقية إياها متصلبين وعدائية الثمانية
سنوات تبرق بينهما بشدة.

«إنه إبنى روبرت» قالت وتملكها الواضح جعله
يرتعش:

«ابني انا! أسمع؟! الجزء الوحيد الذي قمت انت به
بهذا الشأن كان مجرد الحصول على المتعة الحيوانية
الشهوانية!»

كفه الذي ضغط بشدة وعنف على وجنتها جعلها

تشهق من الألم وقال:

«لا تحطلي أبداً من قدر وجوده بهذه الطريقة! أبداً»
وعيونته تصبان كل إحتراره لها داخل عيونها.
إبتعد عنها وأدار ظهره لها فيما هو يحاول بصعوبة أن
يتحكم بأعضائه ومشاعره وقد جرّتها كلماته إلى هدوء
يقترّب من العقلانية.
«أنا - آسفة» همست بألم كان محقاً بهذه النقطة
الوحيدة فقط. لا يجب عليها أن تحط من قدر جيمي
بهذه الطريقة.

وأجهها مجدداً وعضلات وجهه متصلة ثم ابتعد نظره
عنها مجدداً ووضع يديه بجيوبه وأخذ يخطو داخل
الغرفة كمادته حين يكون بركان المشاعر مضطرب داخله.
«إتصلي به» قال فجأة وهو يستدير ليوأجلها وقد عاد
التحدي الخطر يلعب داخل عيونته مجدداً.
توسعت عيون ناتالي وهتفت بغرابة:
«ماذا؟»

«إتصلي به» قال وهو يجرها من ذراعها ويجلسها
بقسوة على الكنية المجاورة للهاتف:
«إتصلي بابننا - عندك رقم تواجده بالطبع!» رمى
جهاز الهاتف بحضنها وتابع كالنمر:
«إفعل ذلك الآن! أريد أن أسمع صوته».
ارتعشت ناتالي حتى أخمض قدميها مدركة أنه كان

يمسك غضبه بشعرة صغيرة وأنه قد يعثر بها حتى اذا
رفقت، حركت بأصابع مرتجفة الرقم التي تحفظه غيباً
والذي سيصلها بمنزل أماليا.

الدموع كانت محتقة داخل حنجرتها. ولحظات
وسمعت صوت أماليا على الخط الآخر.
«مرحباً، أماليا» حيثها بصوت مخنوق أجبرتها على
التنطق وعيونها تنظر إلى روبرت للحظة قبل أن تبتعد
عنه:

«كيف - كيف حال جيمي؟»

«يسحب ويطوي الحياة من عروق مارك».
قالت أماليا بمرح دون أن تنتبه لنبرة صديقتها
واضطربها.

«لقد ذهبوا لاصطياد السمك اليوم. ومارك المسكين
تعثر وسقط في المياه وتستطيعين تصور ما فعله الولدان
بعد ذلك».

«هلا أعطيتني جيمي أماليا لو سمحت؟» قالت ناتالي
دون أن تتمكن حتى من الابتسام.
إنتهت صديقتها للتوتر الذي كان يلون صوتها
وسألته باهتمام:

«ناتالي هل هناك خطب ما؟»

«لا، لا» طمأنتها ناتالي وعيونها تتوسع ل تمنع نفسها
من البكاء:

«كل شيء على ما يرام! فقط أرغب بالتحدث مع جيمي».

«سأناديه لك...» قالت أماليا وسمعت ناتالي صوت صديققتها وهي تنادي جيمي واطبق شعور الكارثة على جوانح ناتالي.

«إذن جيمي هو الحبيب الوفي اليس كذلك؟»
قال روبرت بحقن وغضب:

«أيتها اللعينة! كنت تتحدثين مع ابني من هاتفي ومن منزلي وأمام سمعي دون أن تخبريني بذلك! أيتها اللعينة الحقيرة!»

«مرحباً ماما» سحبها الصوت المشرق والتوتر الهائل داخلها أخذ يتحول إلى أمواج من الألم أخذت تجتاح رأسها:

«هل أخبرتك أماليا عما حدث للعم مارك؟»
سأل جيمي وهو يفقه بسعادة دون أن تعثره أدنى فكرة عما كانت أمه تمر به وتابع:

«سأخبرك لقد كان ذلك أكثر المواقف المضحكة التي شاهدتها وطلوني بحياتنا كلها... لقد انزلت قدمه بحذائه الرياضي الجديد على الأرض الزلقة وقد حذرته من ارتداء هذا الحذاء بالذات لكنه لم يستمع لي وأووفاً فوقع في البحر وانتشر الرذاذ علي وعلى طلوني وعلى الأسماك والميناء وما...»

لم تعد تسمع المزيد لأن روبرت إنتزع السماعة من بين يديها وأخذ يستمع للمرة الأولى لصوت ابنه، ومجدداً رأت ناتالي اللون المتحول على وجهه والمشاعر تتصارع داخله.

ثم رأت وقلبا ينتفض ويكاد ينفجر وروبرت يعيد نظراته المتهمة إليها، رأت الدموع الحارة تلمع داخل عينيه وفمه المتصلب خير دليل على المشاعر المتفجرة التي قد إجتاحت.

أعاد لها السماعة وراقبته وهو يتعمد بخطواته كالمخمور ويرمي بنفسه على أقرب كرسي ويضع رأسه بين يديه.

«على كل حال» عاد إليها صوت جيمي المشرق:
«لحسن الحظ كان هناك ملابس اضافية له في الحقيبة. فارتداها وعدنا إلى المنزل دون أن نجرؤ على مجرد الابتسام في طريق العودة خوفاً من أن يرمينا العم مارك خارج السيارة».

«أمي أخبريني الآن متى ستعودين إلى المنزل؟»
قفزت ناتالي من مكانها لسؤاله هذا ولم يسعها عقلها المخدر برد مناسب فنقلت عيونها إلى روبرت وصارعت لاستعادة هدوئها. تحرك روبرت من مكانه وتوقف قلب ناتالي للحظة عن النبض لاعتقادها أنه سيأخذ السماعة منها مجدداً مطعماً جيمي على هويته

ومخبراً إياه كم كاذبة ولعينة هي والدته! لكنها سمعت صوت كؤوس زجاجية وادركت أن روبرت يحضر لنفسه بعض الشراب.

استعادت سيطرتها وهزت رأسها بشدة مبعدة غمامة الخدر عن تفكيرها وقالت بصوت مخنوق:

«جيمي اسمع... أخشى أن الثلج يزداد هنا ولا - لا - لا أستطيع حقاً أن أعرف موعد عودتي. لكنني سأنتقل بك لا طلعك على ذلك. أنا مشتاقة جداً لك يا جيمي».

قالت والدموع تهدد بغزو وجهها:

«آسفة للتأخر».

«لا بأس» قال دون أن ينتجح تماماً بإخفاء خيبته:

«اعتقد ان على أماليا والعلم مارك تحملي لبعض الوقت الإضافي».

«هذا ما أعتقد أنه أيضاً إلى اللقاء يا جيمي انتبه لنفسك جيداً».

«وأنت أيضاً تصبحين على خير ماما».

«تصبح على خير حياتي».

لحظات طويلة مرت قبل أن تضع الساعة مكانها وتلفت لتجد روبرت قد عاد إلى كرسيه ويده كأس شراب.

أخذت نفساً عميقاً وهي تعض على شفتها السفلى ثم نفذت أمره الصامت ومشيت نحو الكرسي المقابل وهي

تدرك ان هذه هي مجرد البداية.

«ما هو! اسمه الكامل؟» سال دون أن يرفع نظره عن الكأس بين يديه.

«جيمي... جيمسون روبرت شالسي» قالت بهدوء «حسناً، اعتقد أن هذا شيئاً على الأقل. ما هو تاريخ ميلاده؟»

«١٤ نيسان ١٩٨٦» قالت.

طأطأ برأسه مستوعباً هذه المعلومات. رفع كأسه وجرع محتوياته كلها دفعة واحدة. وسيطر الصمت بينهما وادركت ناتالي انه يمر بأعنف الصدمات التي

مرت به بحياته.

«كيف يبدو؟»

«غسلت الدموع وجهها وهمست:

«يا إله السماوات» همس بحرارة:

«ما الذي فعلته بك بحق السماء منذ ثمانية سنوات وجعلك تبعدين ابني عني كل هذه المدة؟»

رفعت عيونها الباكية إليه والألم يلتصق داخلها:

«لكنني كتبت لك رسالة روبرت! انت تنظر إلي وكأنني ارتكبت جريمة لا تغفر بحقك... لكنني كتبت لك رسالة اخبرك بها انني انتظر طفلك! انت لم تنس هذا بالطبع - لقد توسلت اليك لتعود لتساعدني! لكنك

لم تزج نفسك حتى بإرسال الرد».

«رسالة؟» هتف بدهول:

«أنا لم أستلم أية رسالة منك».

«آه - توقف عن إدعاء البراءة روبرت ستابلتون».

قالت بحدة:

«بالطبع انت قد استلمتها»

«هل انت واثقة من انك قد ارسلتها؟»

«أجل بالتأكيد أنا واثقة!» ردت بتأكيد.

فهي تذكر جيداً ذلك اليوم لقد كتبت له الرسالة بدموعها وتوسلته العودة ومساعدتها لأنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله! ذهبت إلى مكتب البريد بيوم ثلجي عاصف وادعت الرسالة بصندوق البريد أجل إنها واثقة من ذلك كتبتها بوجودها هنا

«أجل لقد أرسلتها» قالت بثقة:

«وأنت قد استلمتها».

«أنا لم أستلم أية رسالة منك ناتالي!» قال بحدة:

«لقد انتقلت من مقاطعة أونتاريو حيث بقيت لمدة شهر واحد وذهبت إلى فاننا ومنها إلى أماكن أخرى متفرقة حيث كانت فروع الشركة التي تمرنت بها. فكيف تكونين أكيدة انني قد استلمت الرسالة؟»

«أنا اعرف ذلك وحسب» قالت دون ان تفصح له عما قالته لها والدته ووالده من أن روبرت يشك بأن يكون

الطفل طفله من علاقته بفتاة من مستواها.

«حسناً...» قال بنفاذ صبر:

«أذن لفترض ان هناك رسالة وانك قد ارسلتها كما تؤكدين الم يخطر ببالك للحظة أن هناك احتمال الا تصلني رسالتك هذه؟»

«كلا» قالت بثقة غير مصدقة أن هذا كان يحدث فعلاً.

«فكري بهذا ناتالي» حثها بأناة:

«هل سبق لي وطوال سنتين معرفتنا أن خذلتك؟»

«أنت فارسي المغوار وأنا حبيبتي إلى الأبد» تردد صدى صوتها المراهق بأفكارها ومعها صوته القاتل بصديق:

«أنت سبب وجودي وكل حياتي نانا».

كل هذا كان خطأ - كل شيء كان خاطئاً منذ البداية. حبهما وتناجيه الهدامة..

لكن ما كان عليها الرجل. هذا ما تعرفه وتدركه هي الآن. كان عليها الصمود وإجبار روبرت على تحمل مسؤولياته بدلاً من ترك زمام الأمور لوالديه المتعسفين. «أسفة» قالت بهدوء الآن وقلبيها يتصلب ضدّه مجدداً:

«أنا لا أصدقك وكل هذا لا يهم الآن، لأن وقت تصحيح الخطأ قد فات - فات منذ زمن بعيد» تابعت

بإرهاق:

«لقد كونا طفلاً بيننا روبرت. لكنك ليس والده فعلاً، وفيما يتعلق بجيمي فهو يعيش حياته بهناء وسعادة بدونك سيحيا بدون أن يتعرف عليك حتى».

«آه، هذا ما تعتدونه انت ؟؟» قال بخفة وهو يقترب منها بخفة كالفهد المستعد للانقضاض على فريسته وامسك بقوة بذراعها والشرر يتطاير من عينيه:

«أذن دعيني اخبرك ايها اللعينة الانانية الصغيرة ان ابني سيعرف من هو والده. انت تدنين لي بشمانية سنوات من حياة ثمانية سنوات لعينة! وسأستعيدهم عليك اللعنة! وسأستعيد كل لحظة من لحظات كل سنة! وسيكون إبني هنا تحت سقفي بظرف اسبوع واحد من الآن! وتستطيعين انت أن تذهبي إلى الجحيم فأنا لا اكرث لذلك مقدار ذرة».

إذا لم يكن بتهديده الشديد هذا من إثارة كل رعبها فقد فعلت قبلته التي تلت ذلك. فقد سحقها وهو يلصقها به ويهوى على فمها بوحشية هائلة سرقت انفاسها وجردتها من كل قوتها.

«لا تفعل...» همست بحرقة حيث رفع شفاهه عنها للمحظات:

«ارجوك لا تفعل...»

«ولم ؟؟» سألها بإغظة:

«كنت تشرقين بقلباتي وتتجاوبين معها بطريقة اشك بوجود مثيلاً لها عند نصف نساء الارض» لامس شفاهها بغمه بخفة ورقة سببت لها الارتجاف:

«من المستحيل ان كل ذلك التجاوب قد مات! انا لا اصدق ذلك».

وكان فمه على شفاهها مجدداً بطريقة مختلفة تماماً هذه المرة. بعف ورقة بقوة واكتشاف وحركت قبلته الحارة هذه غصباً عنها سيل المشاعر الخائية داخلها والتي اعتقدت ان جذوة نارها قد خبت منذ سنوات وسنوات.

«ارجوك، روبرت» توسلت وشفاهه تقترب من اذنها:

«لا تفعل هذا بي مجدداً».

«اتعتقدين انني اريد ان اشعر اتجاهك بهذا؟» قال وهو يرفع رأسها اليه ويحدق بجذوة الرغبة التي اخذت تلمع بأعماق عيونها:

لقد ارتكبت أسوأ وأبشع جريمة تقتربها المرأة بحق الرجل بإخفائك أمر وجود إبني عني! لكن، وليساعدني الله ناتالي - أنا - أنا لا ازال أرغب بك - أرغب بك منذ اللحظة التي شاهدتك بها تنزلين من القطار بتلك المحطة» غضب لهاذه كان يشعل خدوها:

«وهذا...» قال ومرر شفاهه بخفة على فمها متابعاً:

«... هذا سيكون وسيلتك الوحيدة للنجاة ناتالي».

أبقي جذوة رغبتي نحوك مشتعلة وسأدعك تحتفظين
بإبتك. والا فإنني سأخذ منك! ولن تقع عينك عليه
أبدأ بعد ذلك.

همجية تهديده تسلكت إلى أعماقها وارتجفت فهو
قادر فعلاً على تنفيذ وعيده. فالمال والسلطة دون ذكر
القانون يسمحان له بذلك ويحققانه له. وجيمي! هل
سيتمكن من إغواء الطفل بتحقيق كل أمنياته وأكبرها
والتي يتمناها كل الاطفال الذين يمثل سنه؟ هي تعرف
نقاط ضعف ولدها واسوأ نقاط الضعف هذه كانت إدراك
جيمي أنه لا يمتلك والداً كغيره من الاطفال.

«سأكرهك دائماً لهذا» صاحبت وهي تصارع غيوم
العاطفة الجامحة التي اخذت تهدد بإغراقها وشفاهه
تلامس وجهها وفمها.

«أكرهيني اذن» قال بهدوء:

«لأنك ولو عشت وبلغت المئة فإنك لن تحتقريني
بهدف الدرجة التي احتقرك وازدريك بها ناتالي».

أطبق على «فمها مجدداً قبل أن يبتعد عنها ويقول
بنبرة أمرة:

«أحضري معطفك».

حدقت به بعيون مذهولة وقالت:

«ماذا؟»

«أحضري معطفك» قال وهو يرتدي معطفه.

«لكن - لكن - لماذا...؟»

«لأننا سنذهب لإحضار إيني إلى هنا».

ضربة كالصاعقة كانت كلماته بالنسبة لها:

«لكن روبرت» صاحبت:

«لا نستطيع الذهاب إلى واشنطن بهذا الطقس! بحق

السماء...»

ادارته بقوة ليواجهها وتابعت:

«إنظر للغد» توسلته بحرارة.

من الواضح أنه لا يزال تحت تأثير الصدمة وهو لا
يفكر بوضوح دون شك.

«قد يتوقف تساقط الثلوج غداً وستعود الطرقات إلى
حالتها السالكة. ارجوك! إنظر للغد».

نظر إليها واستمع لكلماتها المتوسلة ثم قال:

«أحضري معطفك ناتالي. سنذهب الآن».

يجنون غادرا المنزل بلبلة العاصفة تلك وكان المطر
ينهمر بغزارة على زجاج السيارة بطريقة تجعل الرؤية
بالغة الصعوبة. لكن روبرت كان يركز عيونه الصقرية
على الطريق امامه ويسير بتصميم كالجبال. لم يتكلم
أي منهما هو كان متجها إلى هدفه متحدياً كل العوامل
الجوية السيئة جداً وهي كانت أكثر من خائفة للتكلم
وعيونها مركزة على الطريق الزلقة امامهم وقلبها على
لسانها معظم الوقت وهي تراقب تستمع وتشعر بأقل

صوت تصدره عجلات السيارة على الأرض التي تحولت إلى أنهار من المياه المتدفقة.

حين وصلنا إلى أطراف الضاحية خفت حدة المطر قليلاً وحتى الرياح خففت من عويلها الناحب وتمكنت ناتالي أخيراً من الاسترخاء قليلاً والاستغراق بأفكارها المضطربة.

إصرار روبرت الكامل على إنكاره لرسالتها أمر يحيرها - لأن هذا لا يخدم هدفاً معيناً الآن، اللهم إذا كان يريد أن يحتفظ بماء الوجه.

لكن لسبب ما أدركت أن هذا ليس هو السبب. في الماضي روبرت الذي كانت تعرفه كان يتحمل مسؤولياته سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، متحملاً عقابه عن كل الأخطاء الصغيرة التي كان يقوم بها بقوة وشجاعة. وهكذا فإذا كان قد استلم رسالتها فكان سيسرع بالعودة إلى المنزل على جناح السرعة. برتد أم لا، روبرت الذي كانت تعرفه كان سيعود إليها بسرعة لو مهما وقف بطريقه من عقبات.

وتساءلت بألم هل ظلمته وكانت هي السبب بالاجحاف بعدم محاولتها الاتصال به ثانية طوال كل السنين الماضية؟ تذكرت كم كانت الفكرة تجول برأسها في أول فترة هروبها من آشلي وقد خطت مرة له فعلاً رسالة قصيرة لكن بدلاً من أن تضعها في صندوق البريد

فقد وضعتها في سلة المهملات. فرغم كل الصعوبات والمشاق التي تعرضت لها فور هروبها بتأمينها لعمل ولمكان يأويها هي وطفلها الذي كان رضيعاً إلا أن كبرياءها كان دوماً يمنعها من محاولة الاتصال بروبرت مجدداً. وقد ساعدها المبلغ الذي أعطاها إياه والده المتخلص من الطفل على تأمين مكان إقامتها والبدء بتجارة صغيرة كانت كافية لتقنها التسول والحاجة.

«لقد إتصل بي ابني هذا اليوم» قال لها والده في ذلك اليوم المشؤوم:

«بدأ مبتشئاً من رسالة ما قد أرسلتها له وتدعين أشياء خاطئة وكاذبة عنه، وابني بالطبع ينكر كل ما تقوله رتدعيه».

كيف من الممكن لها التصديق ان روبرت لم يتسلم رسالتها؟ لم يعرف أي شخص برسالتها هذه سوى هي نفسها ولكن...!

لقد شاهدت وهي تضع رسالتها بصندوق البريد جان طومسون السائق الخاص لوالد روبرت الذي أخذ يرمقها بنظرات غامضة وهي تطلب من موظف البريد إرسال الرسالة إلى كندا. هي لم تهتم لهذه النقطة بتلك اللحظة لكن لسبب غريب غريب تذكرت هي الآن تلك النظرة الغريبة التي رمأها بها جان هذا.

هزت رأسها بقوة قائلة انها ستصاب بالجنون إذا ما

ظلت تفكر بهذه النقطة. لا شك أن روبرت يكذب
ولسب ما بشأن عدم استلامه للرسالة المصيرية التي
كانت ستغير كل حياتها وتمحي هذه السنوات الثمانية
من حياتها وحياة جيمي لو ان والده روبرت تصرف
بطريقة أخرى واستجاب لرسالتها تلك!!

الآن، ببطء وعناية تلمعت في مكانها محاذرة الا
تجذب انتباه روبرت وادارت رأسها لتدرس بروفييل
وجهه. كان لا يزال شاحباً وملامحه متصلبة متوترة،
لكن الجاذبية كانت لا تزال هناك، تشع خلال طيات
التوتر والقلق. قبل ثمانية سنوات كان هذا الوجه معتاداً
على الاشراف بالبسمات والضحكات حتى بدون سبب
ولمجرد رؤيته لها.

«انا سعيد، أحب البقاء معك» كانت كلماته دوماً
كلما كان برفقتها. هي لم تشاهده يتسم منذ لحظة
وصولها إلى آشلي هو لم يتسم مطلقاً.
للحياة طريقتها الخاصة بتغيير الأشياء، فكرت حتى
هي لم يتسم كثيراً بعد مغادرتها لآشلي وبعد وصولها
مجدداً إليها الآن. بينما في الماضي كلما كانت برفقة
روبرت لم يكن الضحك والابتسام يفارقها ولا للحظة
واحدة فقط. كانا يضحكان، يثرثران، يتقائلان يمارسان
الحب... ألم الذكرى أخذ يسري في جسدها لتحسرها
على الحب والثقة التي كانت بينهما فيما مضى.

هل سيدبر روبرت القديم أو الجديد ظهره
لمسؤولياته؟

مجرد رؤيتها له مع عمتها يعطيها الجواب الواضح.
هو لن يتخلى ابداً عن مسؤولياته اتجاه أي شخص
يرتبط هو به بأية علاقة.

هل كانت هي غبية لتصدق كلمات والده؟ أكانت
غبية وعمياء وحماة كفاية لتصدق أنه من الممكن
والمعقول أن يهجرها روبرت ويتخلى عنها بتلك
الطريقة؟

ارتعشت وشدت اطراف المعطف حول جسدها. من
غير الممكن ان يعرف والده بأمر الرسالة الا من روبرت
نفسه. لا، أمرت عقلها بالتوقف عن التفكير عن
الاعذار لروبرت. فلا يوجد له أي مبرر. المبررات لا
توجد له أصلاً.

توقف روبرت لتعينة السيارة بالترين واحضر لها
فنجاناً من الشوكولاتة الساخنة ناو لها إياه دون ان يتكلم
أو حتى دون أن ينظر إليها. وتابع الانطلاق مجدداً
والجو الأسود الثقيل لا يزال يسيطر بينهما، وأخذت
تفكر ناتالي بمنزلها، بمنزلها وجيمي والذي لن يكون
ابداً منزل روبرت.

ارتعشت بوضوح والثقت روبرت للحظة نحوها.
«تشعرين بالبرد؟» سألها بنبرة بلا لون.

هزت رأسها بنقيّ دون أن تطيعها حنجرتها بالنطق
وثابتت النظر عبر زجاج نافذتها. وعاد الصمت ليسيطر
بينهما مجدداً وفرحت هي لهذا. فهي حقاً لا تملك أي
شيء آخر لتشارك بالحدث به مع روبرت. لا شيء
ابداً.

غفت لبعض الوقت على صوت رثابة العجلات دون
أن تنس حذرهما من وجود روبرت قربها انطلاقتها إلى
المجهول الكامل الذي تخشاه كالموت.

فتحت عيونها بعد بعض الوقت ووجدت انهم قد
وصلوا فعلاً إلى مدخل واشنطن.
«من أين الآن؟» سألتها دون أن يلتفت نحوها وقد بدا
مرهقاً وشاحباً.

ارشدته إلى العنوان بصوت بلا لون ثم عادت
للصمت بعد أن عرف هو الطريق.
المطر هنا قد تحول إلى رذاذ خفيف والطرقات كانت
مضادة وواسعة فزاد روبرت من سرعة سيارته واكملت
هي إرشاداتها ودخلا في الطريق الفرعي الذي يقع
منزلها بآخره.

حالما وصلا غادرت نانالي السيارة وهي تشعر
بالخدر والشلل بكل أطرافها. إنضم روبرت إليها بعد
لحظات ووجهه لا يزال يرتدي الصلابة والتصميم.
«جيمي ليس هنا» قالت وهي تفتح الباب:

«إنه الآن عند إحدى صديقاتي».

طامطاً برأسه وكأنه قد إستنتج ذلك مسبقاً. أضاءت
ضوء المدخل وإتجهت نحو غرفة المطبخ.
«أقدر حصولي على فتجان من القهوة قبل التوجه
للتوم ناتالي» قال بتصلب وقد ظننها متجهة إلى غرفة
النوم.

نظرت إليه وقالت:

«أنا متجهة إلى المطبخ».

سار خلفها ودخلا المطبخ الصغير خاصتها والذي
كان مرتباً وصغير الحجم كياقي غرف منزلها. كان
روبرت ينظر حوله بامتناعاض وادركت نانالي أنه يفكر كم
هو من غير الملائم لجيمي الإقامة بهكذا مكان. لكنها
وجيمي كانا سعيدين بهذا المكان وارتدت إختياره بذلك
لكن الارهاق والتعب منعاهما من فعل ذلك واكتفت
بالتشاغل بتحضير القهوة.

جلس هو على الكرسي الصغير وقال فجأة:

«كم يبعد من هنا؟»

لقد شعرت طوال الرحلة أن أفكاره كانت مركزة على
جيمي وسؤاله هذا يؤكد ذلك.

«ليس بعيداً» ردت:

«بعيداً عن هنا حوالي العشرة أميال».

طامطاً رأسه وقال بإرهاق:

«سأذهب لأحضره إلى هنا في الصباح».

«لا» صاحت نانالي وهي تحدق به بذعر:

«ليس - ليس عليك أن تفعل ذلك. أ... آماليا

ستحضر وإياه إلى هنا في الصباح. فالمحل يقع بنصف المنزل الثاني وهي تفتحه في التاسعة صباحاً وتحضر جيمي وأينها معها. ولهذا - فليس من الضروري ذهابك لإحضاره».

طأطأ روبرت برأسه وتنهدت بعمق أنه قد تقبل لتبصيحها.

من غير الممكن لها مجرد السماح لروبرت بإظهار نفسه هكذا في حياة جيمي. ليس بدون مقدمات وشروحات على الأقل.

«تفضل» قالت وهي تضع الفئجان أمامه على الطاولة:

«القهوة. بعدها سنحاول النوم».

«كم هي الساعة الآن؟» سألها وكأنه على وشك

الغياب عن الوعي من شدة الإرهاق.

«الواحدة بعد منتصف الليل» قالت وعقلها مشغول بما ستقوله أو تفعله غداً.

جلست على الكرسي المقابل له وهي ترتشف فئجائها وتحديق بالطاولة الخشبية».

«ما الذي حدث لنا بحق السماء نانا؟» تتمم فجأة

رافعاً عينوه المتورمة نحوها:

«أين بحق السماء ارتكبنا الخطأ؟»

ملأت الدموع عينونها وهست بصوت خافت:

«لا أعرف روبرت. أنا حقاً لا أعرف».

«يا الله» قال:

«إنني أدير الأشياء وأفكر بها برأسي مجدداً ومجدداً

دون أن اتوصل لشيء مطلقاً»

«أذن لا تفعل ذلك» إقترحت بوهن ثم شعرت بالشفقة

عليه لأن كل شيء كان فعلاً بفوضى عارمة.

مرت يدها لتلاصق يده وقالت:

«من غير المجدي التفكير بكل ما حدث. اترك الباقي

للغد، حتى يصفى ذهنك وتتمكن من التفكير بوضوح».

حدق بيدها بأصابعها الرقيقة وهي تلامس يده الكبيرة

وتهدلت كتفاه بألم فعضت نانالي على شفتها لتمنع

نفسها من البكاء. لا، مهما كان ما حدث منذ ثمانية

سنوات فهي تدرك تماماً أن روبرت قد مر بأصعب

عذاب بحياته لرفضه لطفله. ولربما، هو كعنتها قضى

السنوات الماضية هذه وشعوره بذنبه يقرض ضميره

ويقتض مضجعه.

«هيا» قالت بتنهّد وهي تبعد يدها عن يده:

«لنخلد للنوم. نستطيع أن تستعمل غرفة جيمي ما

دام هو خارجها»

«كلا» قال ورأسه يهتز بشدة وعيونه تحدقان بها بتصميم:

«سننام بغرفة واحدة بما تبقى من هذه الليلة». كلماتها صلبتها ومنعتها من الحركة وحدقت به بدهول وعدم تصديق:

«أنا لن أنام معك» صاحبت مجنون.

«مستغلين» أصر دون أن يتحرك:

«أو انك لن تنامي أبداً. لا سبيل آخر لك ناتالي، أنا لن أسمح لك أبداً بالتسلل ليلاً لتسرقني ابني مني مجدداً وتخفني للمرة الثانية».

«لكن - هذا - هذا تفكير مجنون روبرت!» قالت وهي تشفق بدهشة:

«إلى أين سأذهب؟ منزلي هو هنا... وعملي! أنت لا تفكر بوضوح... استعمل سرير جيمي وسأوقظك بالوقت...».

«قلت أننا سننام سوياً» قاطعها بتصميم:

«الله يعلم...» تابع بتنهيد:

«أنا بحاجة لبعض الدعم الانساني بهذه الليلة، وبما أنك سبب هذه التعاسة الهائلة التي تشتعل داخلي فأنت وحدك المسؤولة عن التخفيف من ذلك». مجدداً العيون الجليدية اخترقتها والانهاومات كلها واضحة بأعماقها وتابع بقوة:

«النوم فقط. هو كل ما أريده إذا ما كان عقلك المعكوس يفكر بشيء آخر. النوم هو كل ما أريد من الاطمئنان إلى أنك موجودة بجانبني حتى أواجهه في الصباح».

تهدت ناتالي وتراحت كتفها باستسلام وقالت بتناقل ووهن:

«النوم».

ثم وقبل أن تفكر للحظة أخرى بما كانت تفعله غادرت المطبخ متجهة إلى غرفة نومها. روبرت لم يكن يعرف ذلك لكن في الحقيقة هي كانت بحاجة يائسة أكثر منه للدعم الانساني الذي تحدث عنه. وهذه حاجة لم تشعر بها طوال السنوات الثمانية الماضية.

«غرفة الحمام من هناك» اشارت إلى باب صغير:

«سوف ابدل ملابسني فيما تغسل أنت وجهك ويديك».

استغرقت دقائق قليلة فقط لتخلع ملابسها ولترتدي قميص نومها الطويل. مرا بجانب بعضها البعض وهي بطريقها إلى الحمام بعد خروجه هو منه لكنهما لم ينظرا إلى بعضهما البعض.

غادرت الحمام بعد دقائق واندست بالسرير الى جانبه محاذرة أن تلمسه أو تقترب منه.

لكن ذراعه امتدت وقربتها منه ملصقة إياها بصدرة

الصلب.

«شكراً لك على هذا» تتمتع بنعاس وفمه قرب شعرها
الحريري:

«أعرف أن هذا كان طلباً مبالغاً به لكنني بحاجة لك
هذه الليلة، نانا، أنا بحاجة لك...»

وغرق بالنوم بهذه السرعة. ظلت نانالي بلا حراك
بين ذراعيه دون أن تصدق أنه قد استغرق بالنوم بهذه
السرعة وأخذت تشعر بضربات قلبه التي هدأت وبتنفسه
الذي انتظم وأدركت أنه فعلاً قد غرق بالنوم. ثم،
وبيطء أخذت تشعر بالاسترخاء وقد سرى الدفء
بجسدها من جراء التصاقها به واعمضت عيونها واغرقها
الارهاق والتعب بالنوم.

ثم استغرقت غفوتها هذه هي لا تدري، فقد أخذت
تعود إلى وعيها ببطء وشعور عارم بالدفء اللذيذ يغزو
جسدها.

فتمطت بتهند ونعاس.

راقب روبرت حركتها هذه من مكانه قريباً وهو
متكى على ذراعه ويدرس ملامحها الناعسة وجسدها
الرائع. إنحنى على خدنها الحريري وقبلها بخفة
وتعمتت هي شيء ما مطالبة بالمزيد.

- ٩ -

فأعطاهما ما تريد وأخذ يقبل انفها الرقيق ورموشها
المغلقة ووجنتيها.

«نانا...» همس بركة

«روبرت...» تنهدت واستدارت نحوه وذراعيها
تعانقان رقبته وتشده إليها.

ابتسم قليلاً وبرقة بنفس الرقة التي كانت تعود هي بها
إلى الوعي واقترب بفمه منها وأخذ يرتشف بحنان
غريب رحيق شفاهها الجائعة للحب وأخذت يداه
تتحركان على جسدها إياها من القماش الذي يفصل بين
جسديهما.

استيقظت ناثالي تماماً حين شعرت بيديه على ساقها وشهقت:

«روبرت!» دون أن تكون واثقة تماماً سواء اكانت صاحبة أم تحلم.

«شش» همس بخفة:

«لا بأس. انت تريدني نانا، جسدك يخبرني بهذا، والله يعلم...» همس بعمق:

«انني أريدك بدوري وبقوة...»

غطى فمه فمها مجدداً مانعاً إياها من الاعتراض فيما اخذت هي تصارع رغبتها العميقة بالاستسلام الكلي له وقد أخذت ملامسته له تثير نيران رغبتها تماماً كما يحدث في الماضي.

آه، لا... همست بعمق وقد أخذت أمواج المتعة تغرقها بلججها.

«لا أريد هذا» همست بإرتعاش.

«بالطبع تريدين» اكد لها:

«هذا ما ولدت لأجله، أن تكوني لي بهذه الطريقة!»

حقاً؟ هل ولدت لتعرف فقط اللذة الساحرة للمسة هذا الرجل؟ وهي هنا بين احضانه ادركت أن ما يقوله كان صحيحاً لأن ولا أي رجل آخر كان قادراً على الاقتراب منها وفعل هذا لها. ولا أي رجل غيره منذ البداية.

«ستقتلني بهذا اتعرف؟» صرخت بيأس مما كانت تسمح بحدوثه بكل ذرة في كيائها.

«لكن يا لها من طريقة للموت يا حبيبتي» تمت بهمس:

«ضائعة بين ذراعي الرجل الذي يعبدك بيأس ويقدريه».

«يا الهي ناثالي لكن عليك أن تلمسيني، كل هذا عذاب رائع رائع».

استيقظت في الصباح بإدراك عميق أن شيئاً جذرياً قد تغير بحياتها. تمطت بنعاس وشعور الدفء والمتعة لا يزال داخلها.

ثم تصلبت وقد لامست ذراعها جسد دافئ وعاري جعلها تتجمد للحظة. ثم ادارت رأسها ورأت روبرت ينام بسلام وهدوء قربها وعادت ذكرى ما حدث تغزو عقلها وتلون بالرعب خدودها.

«يا إله السماوات» قالت بصوت مختوق وهي تحاول به بما الذي فعلته؟؟

بدا مسترخياً وراضياً، تماماً كروبرت الذي عرفته منذ سنوات. انتفض قلبها وأخذت الدموع تتساقط بصمت من عينيها.

انها تحبه رددت بنفسها بألم. تحبه بعمق وقوة تماماً كما كانت دوماً وكما ستظل إلى الأبد. تحبه بكل ذرة

من وجدانها بكل لحظة من حياتها. معرفتها هذه تركتها
تشعر بالوحدة والفراغ لأنها ادركت تماماً الآن. أنه مهما
كان ما سببه روبرت لها من ألم وعذاب إلا أنها لم
تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال السنوات
الثمانية تلك.

لكن هل يعني هذا أن عليها السماح له بالتسبب لها
بأي ألم وعذاب وعليها مسامحته بعد ذلك؟ لربما
ستفعل ذلك ردت على نفسها بمرارة وألم.
فتح عيونها والبريق الساحر داخلهما.

«لماذا؟» هفتت به.

إبتسم وانكىء على ذراعه محدقاً بها وقال ببساطة:
«أريد إيني، بأي ثمن لكنني أفضل أسهل وأمتع
الاثمان. انت هو ذلك الثمن ناتالي. غير الأم سأحصل
على الإبن» قال ومد اصابعه ليداعب أطراف فمها
المرتعش.

«انت - انت خططت لهذا؟» قالت بذهول لشدة خبثه
إذا ما فعل.

«ما الذي تعتقدين انني كنت افعله طوال فترة الرحلة
من آشلي إلى هنا؟» قال وعيونها تسخران منها:

«أنا لست أبليها ناتالي، مع انني اعرف جيداً أنك
تعتقدينني كذلك. ألفتط طريقة للحصول على إيني هي
عبرك أنت. عليك أن تكوني بجاني أنا حتى تجعلني

تقبله لي أسهل واسرع - لكنينا معاً».

قطبت بعدم فهم وقالت:

«لا أفهم كيف إغوانك لي سيكسك ذلك الدعم»
«بالطبع تفهمين» قال بسخرية رقيقة ويده تلامس
جسدها وشعر فوراً باستجابتها له وضحك بركة قائلاً:
«أنتين؟ أنت لي ناتالي! علي فقط ملاستك
هكذا...»

وفعل ومجدداً نجابت معه بعجز:
«... حتى أجعلك راغبة بتنفيذ أي شيء مقابل
الحب والمتعة»

«ياه!» قالت باختناق:

«أنا اكرهك».

«لكنك مستعدة لي في أي وقت» أعلمها بقسوة وهو
يقبلها مجدداً بإثارة وغرقاً سوياً ببحر الحب.
«انت لي الآن ناتالي» قال لها بعد فترة:

«تذكري هذا حين يعود جيمي إلى المنزل. فقد يعني
هذا الفرق بين حصولك عليه او خسارتك له».

«لا تهددني روبرت» قالت بهدوء وهي تنزل من
السرير وقد ادركت بعد ما حدث هذه الليلة انها له وانها
كانت دوماً وستبقى له حتى لو لم يعد يرغب بها...
«انت لم تتغير كثيراً عبر السنين لا؟ لا تزال متوحشاً
على صورة إنسان».

إبتسم واقترب منها وتعمت قرب فمها:
«وانت أيضاً لم تتغيري، يا معذبتى الصغيرة» قبلها
بتلذذ وعمق وتابع:
«وستظلين هكذا إلى الأبد».
ضحك وابتعد عنها وقال:
«ها إذهبي وارتندي ملابسك فلا أريد أن يصل إبني
ويجد والدته هكذا».
«أنت ملعون روبرت أنت كذلك حقاً» تمتعت بجفاف
وهي تتجه نحو الحمام.
«لست كذلك لكن إبني ينظر العالم كذلك» قال
بحدة:

«وهذا خطأ سيتم إصلاحه على الفور».
«وماذا يعني هذا؟» سألته وقد شعرت بالخطر.
«سأذهب لأحضر الفطور» قال متجاهلاً سؤالها وخرج
من الغرفة تاركاً إياها تحديق الفراغ خلفه متسائلة عما
قصده بكلماته هذه.
استحمت وغادرت الغرفة بعد أن إرتدت ثوباً أبيضاً
جَمِيلاً وأخذ التوتر يزداد داخلها كلما إقتربت الساعة من
التاسعة.

سمعت صوت السيارة في الخارج ورأت أماليا
وجيمي وطوني يغادرونها.
ركض جيمي نحو سيارة روبرت الفارهة المتوقفة

قرب المدخل ثم سارع بدخول المنزل بعد أن شاهد
والدته تقف خلف النافذة.
«ماما!» صاح وانتفض قلبها لسماعها لصوته وهو
يقترب من باب الدخول.
«أرجوك روبرت...» إستدارت بحرقه نحو روبرت.
«أرجوك دعني اتحدث معك أنا أولاً - دعني أشرح».
«تشرحين؟ كيف؟» تحداهما بشدة:
«بإجلاسه وإخباره كم هو والده حقيراً وعديم
المسؤولية وبلا مشاعر؟» رفع عيونه القاسية إليها وقال:
«لا، سنفعل ذلك سوياً».
«لكن...» فتح باب الدخول وأخذت الخطوات
تقترب منهما فسارعت ناتالي إليه وأمسكت بذراعه
بشدة:

«أرجوك، أنت والده بحق السماء روبرت! أنا لن
أؤذيه أبداً بتصويرك بتلك الصورة البشعة! فهذا سيغني
كأنني أشوه صورته هو نفسه».
إقترب صوت الأقدام أكثر وازداد التوسل بأعماق
ناتالي لخوفها من تعرض فلذة كبدها للصدمة.
«أرجوك روبرت إرحمني أرجوك وانتظر».
«حسناً، سأفعل ذلك في قصر النجمة! وسأخذك
وإياه إلى هناك في الحال. أسمع في الحال؟»
«موافقة، موافقة» قالت بسرعة وقد إنفتح الباب

ودخل جيمي بوجهه المشرق بالسعادة.

«أماما» صاح بلهفة:

«متى عدت؟ هل رأيت تلك السيارة الرائعة المتوقفة قرب منزلنا؟ من تعتقدينه ي... تلاشى صوته بعد أن إنشبه أن أمه لم تكن بمفردها داخل الغرفة وخفت الإشارة عن وجهه بعد أن رأى الغريب الواقف وسط الغرفة.

«آه، آسف، لم ادرك أن هناك أحداً غيرك هنا».

ثم سيطر الصمت على جو الغرفة. لا شيء - لا شيء بالصورة التي تخيلتها ألف مرة حول مقابلة روبرت لجيمي خلال السنوات الثمانية الماضية والتي كانت تدرك أنها كانت ستحصل يوماً ما كانت مشابهة كما كانت تراه الآن وروبرت واقفاً يحدق بابه المطابق له بتلك الملامح والتقاطيع.

ثم دخلت أماليا خلف جيمي كاسرة التوتر الخائق ووجهها الجميل فضولي وهي تنظر إلى ناتالي الواقفة بلا حراك قرب النافذة. نظرت ناتالي إليها بتوسل وهزت رأسها بتحذير صامت والدموع المهددة داخل عيونها ووجهها الشاحب كوجوه الموتى أفهمت أماليا أن خطباً ما قد حل. وتحركت عيونها إلى روبرت وكحال كل من يعرف جيمي فإن الشبه الكبير بينه وبين الرجل الغريب الواقف داخل الغرفة كان أكثر من واضح وشحب وجه أماليا نفسها وهي تعود بنظرها إلى

ناتالي.

ثم بحساسية شكرتها ناتالي عليها فهمت أماليا أن عليها الخروج فاستأذنت وغادرت الغرفة تاركة إياهم بمفردهم.

«جيمي...» استجمعت ناتالي بقوة نفسها تاركة ذراع روبرت ومقتربة بخطوات بطيئة وهي تبتسم لطفلها: «تعال إلى هنا» حنته بصوت مبحوح وهي تمد يدها نحوه:

«هناك شخص هنا يود مقابلتك...»

تناول جيمي يدها وسمح لها بجذبه نحوها فيما عيونهم تحدقان بروبرت الثابت كالثمثال. صارعت للسيطرة على مشاعرها بهذه اللحظة العاصفة ونظرت إلى طفلها ثم إلى روبرت.

«روبرت...» تمتعت بصوت مخنوق وهي تصارع دموعها التي أخذت تهدد بالانسياب:

«هذا جيمي. جيمي... هذا صديق قديم لي. إسمه - إسمه هو روبرت ستابلتون وهو...» لم يعد بإمكانها قول المزيد وأخذت شفاها ترتجف وتوسلت لروبرت للنجدة للمساعدة.

«مرحباً» قال جيمي مخففاً الضغط الهائل الذي كان يخنق الآخرين ومد يده نحو والده وهو يشعر بالتوتر المسيطر على الجو دون أن يفهم السبب بذلك.

روبرت لم يتحرك. بدا غير قادراً على ذلك ونظرت
ناتالي باضطراب إليه. وجهه كان كالبلور تماماً
والتصلب الواضح على ملامحه يظهر مدى البركان
الهائل الذي يتفجر داخله من جراء صدمة رؤيته
لابنه...

«روبرت...» توصلت بصوت مرتعش واجتاحتها
موجة من التعاطف المرير وهو يرفع عينه لتتشابك
نظرتيه مع نظرتها. حثته بملامحها والارتعاش الصغيرة
لكتفها دلته أنها عاجزة تماماً ولا تعرف ماذا عليها أن
تفعل. فابتعد روبرت بنظرتيه عنها وعاد لينظر إلى وجه
جيمي المراقب.

- ١٠ -

تحرك الطفل بعدم إرتياح من جراء تحديق روبرت به
وتحركات اليد الصغيرة مما جذب انتباه روبرت إليها
للمرة الأولى وظل يحديق للحظات باليد الصغيرة
الممدودة نحوه ثم أعاد عينيه إلى وجه جيمي ثم إلى
يده وامتدت يده هو ببطء وارتعاش لتمسك باليد
الصغيرة.

ثم رفع عينيه مجدداً إلى ناتالي والانهام القاسي يلتصق
بأعماقه الرمادية. هذا هو إبني! كانت عينوه المريرة
تقول لها. إبني! وستدفعين أنت ثمن إخفائه بعيداً
عني!

ارتعشت واضطرت للابتعاد بنظرها عنه والألم
والدنب يخفقانها سمعت روبرت يأخذ نفساً عميقاً مهتزاً
ويستجمع شتات نفسه.

ثم جاءها صوته المرتعش:
«اهلاً يا بني».

كلمة بني هذه حزت بأعماق ناتالي كحد الخنجر
الحاد وتمنت لو بإمكانها فقط الهروب من هذه اللحظة.
«هل هي سيارتك التي في الخارج؟» سأل جيمي
بفضول متشجعاً من ابتسامة روبرت التي له:
«إنها ألفا روميو اليس كذلك؟ اعرف لأنني قد رأيت
صورة لها في إحدى المجلات. ما هي مدى سرعتها؟
هل تتجاوز حدود المئة؟ سيارة ماما تصل حتى الثمانين
فقط لكن...» الحديث البريء والرفيق هذا أعاد
روبرت إلى الواقع وجعله يأخذ نفساً عميقاً أعاده من
المكان المظلم الداكن الذي اخذته اليه الصدمة.
«بالطبع نستطيع الوصول إلى المئة وتجاوزها أيضاً»
اجاب:

«وإذا أحببت فسأخذك بها بجولة مطولة الآن».
«حقاً؟» سأل جيمي وعيونه تتوسع من الدهشة
واقترب بخطوة متشوقة نحو والده:
«هذا سيكون رائعاً! لم يسبق لي ابداً أن ركبت
بسيارة مثل هذه».

الدهشة والإثارة كانت تلون نبذة جيمي وتجمدت
ناتالي.

«هيا سنذهب الآن فوراً أنت والدتك وأنا بمرحلة
مطولة سنستغرق ساعتين ونصف».
ساعتين ونصف حقاً؟ يبدو هذا رائعاً اليس كذلك
ماما؟

اكتفت ناتالي بطأطأة رأسها بموافقة للعيون الممتلئة
بالإثارة والتي كانت تنظر اليها.
«لكن إلى أين سنذهب؟»

«سأخبرك بالطريق!» رد روبرت بابتسام:
«هيا لربما نود تغيير ملابسك استعداداً للمناسبة.
سأساعدك بذلك فيمَا تخبر والدتك صديقتها عن رحلتنا
هذه».

ابتسم جيمي بفرح وامسك بيد روبرت الممتدة نحوه
ونفذ ما كان روبرت يقوله:
«هيا يا بني سأساعدك بتغيير ملابسك وننتظر والدتك
في السيارة».

قاده جيمي والسعادة تضيء وجهه إلى غرفته وأخذ
يثرثر بسعادة عن كل الاشياء المتعلقة بالسيارات والتي
هو مغروم بها.

سارت ناتالي بخطى مخدرة نحو الباب المؤدي إلى
البيتيك الخاص بها وبأماليا.

هبت آماليا إليها فور دخولها وشكلها يوحي انها على وشك الانهيار الكامل.

«ناتالي، بحق السماء» هفتت آماليا وهي تسرع لتساعد صديقتها على الجلوس على اقرب كرسي: «ما الذي يحدث؟ وهذا الرجل إنه... إنه والد جيمي اليس كذلك؟»

اندفعت الدموع من عيون ناتالي وهمت:

«آه آماليا لا اصدق أن كل هذا يحدث لي. سيأخذنا روبرت إلى أشلي مجدداً ولا... لا أعرف ماذا علي أن أفعل آه... أنا لا أستطيع منافسة روبرت وما بإمكانه أن يقدمه لجيمي وهو يعرف ذلك تماماً».

«لا شك أن الأمر كان بالغ الصعوبة عليه هو أيضاً» ناتالي قالت صديقتها بمنطق:

«إن يكتشف بعد ثمانية سنوات ان له إبناً يمثل روعة جيمي».

«صعب ان يكتشف إن ابنه لا يزال على قيد الحياة تقصدين» قالت ناتالي بمرارة لصديقتها التي تعرف القصة بأكملها:

«لا أستطيع نسبان الحقيقة أنه قد تنازل عن مسؤولياته اتجاه جيمي حتى قبل أن يولد».

«لا، لا أعتقد أن بإمكانك ذلك» وافقتها آماليا: «لكن - هل أنت واثقة أن رسالتك تلك قد وصلته

ناتالي؟ الجواب على هذا السؤال قد يعني تبدل الكثير من الأمور».

«لقد أرسلتها» ردت ناتالي بتصميم:

«لقد وضعتها بالصندوق الخاص ولا شك أنها قد وصلت. فلا تحاولي المجادلة بهذه النقطة آماليا أرجوك».

«حسناً لن أفعل» قالت صديقتها بفهم:

«ما الذي ستفعلينه الآن؟»

«لقد توسلت له الا ينقل الخبر لجيمي كالصاعقة ووافقت غصباً عني على الذهاب إلى أشلي معه. أنا وجيمي. فعمتي لا تزال في المستشفى لكن الخطر قد زال عنها والحمد لله. وستكون بخير مساء هذا اليوم و... يريد روبرت إطلاق جيمي على كل الحقيقة هناك و... آه، ماذا يجب أن أفعل؟»

«فقط إفعلي ما يريدك منك ناتالي» ردت آماليا:

«للحياة طريقة غريبة يحل عقد ومتاهات أماننا. وأشعر بأعماقي أن كل شيء يسير معك على ما يرام ناتالي من الآن فصاعداً. لقد تعذبت كثيراً وتعرضت للظلم والطرد من اقرب الناس لك لكن السعادة ستعرف طريقها اليك قريباً. هذا ما تنبؤني به حاستي السادسة وأنت تعرفين صدق هذه الحاسة ناتالي؟»

ضحكت ناتالي بخفة ومسحت دموعها وقالت:



روایات غنادہ



ماتیلدا سالمون

حیّی الذی یموت



دار العلم للجمع

شعوب - لبنان

غادة

حبي الذي يموت

ماتيلدا سامون

رسالة مصيرية كتبها ناتالي شالسي البالغة من العمر سبعة عشر عاماً لم تصل إلى المرسل إليه وكان هذا السبب الذي دفعها للرحيل عن بلدة طفولتها وحياتها والغرق في تحضم حياة جديدة بعيدة ومشوحلة هي وفلذة كبدها الذي يريد الجميع منها التخلص منه وإجهاضه وهو بعد جنين.

لكن ابنها هذا كان ابن حب حياتها والذي لم تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال سنوات رحيلها والتي امتدت لثمانية أعوام كاملة. لكن روبرت متشابثون عاد ووجدها الآن ووجد ابنه الذي هو صورة مصغرة عنه، فهل ستركها تتابع حياتها التي نجحت بإنائها بعيداً عن أشلي وأهلها؟ هل ستصدق هي أن روبرت لم يستلم رسالتها تلك وأنه لم يكن يعرف شيئاً عن جنينه الذي كان ينمو بأحشائها؟

القطار المتهادي على سكة الحديدية كان يسير بتواتر
رثيب يتناغم مع أفكار ناتالي التي أخذت تشعر بالتعب
والإرهاق من جراء الرحلة الطويلة هذه. تنفست
الصعداء حين وصل القطار أخيراً إلى «أشلي» محطة
الأنخيرة وتناولت ناتالي حقيبتها الصغيرة من الرف
المخصص للحقائب. لم تكن واثقة تماماً لماذا أنت أو
حتى ما هو شعورها اتجاه عممتها التي ربتها منذ كانت
ناتالي في السنة الأولى من عمرها وبعد مصرع والدتها
بحادثة سير مروع.

الاتصال الذي قامت به إلى «قصر النجمة»، حيث

يقطن آل ستابلتون. حيث تعمل عمته كمديرة منزل، كان مختصراً ومباشراً. ولحسن الحظ من رد على اتصالها كان شخصاً غريباً تماماً عرف عن نفسه بإسم طوني باركر رئيس الخدم.

حالما أعلنت نانالي عن هويتها كان طوني باركر أكثر من متحمس لإعطائها المعلومات التي تريد. عمته كما عرفت كانت في المستشفى في قسم العناية الفائقة.

«إنها مصابة بنوبة قلبية» أبلغها طوني باركر بلهجة أشلي المميزة التي أثارة الحنين العميق داخل نانالي وتابع:

«هي تتادي بإسمك طوال الوقت، سابرين المسكينة و... حسناً، اعتقد أنه من الأفضل لو يشرح لك السيد روبرت كل شيء. إذا انتظرت على الخط لدقيقة واحدة فقط فسوف أناديه و...»

«كلا» قاطعته نانالي فوراً ومجرد فكرة تحدثها مع روبرت عبر أسلاك الهاتف كادت ان تصيبها بالغثيان:

«ليس من الضروري إزعاج - السيد ستابلتون» قالت بسرعة معطية طوني تفاصيل وصولها قبل أن تتيح له الفرصة للإصرار على تكلمها مع روبرت ستابلتون.

وهكذا فأسفل إلى المستشفى في الساعة الرابعة

ظهرأ أنهت نانالي حديثها بسرعة واعادت السماعه إلى مكانها وهي ترتعش بأكملها.

زيارتها لعمته التي هي بمثابة أم ثانية لها هو شيء - تعتبره مجرد واجب عليها! لكن ضرورة تحدثها مع الرجل الذي كان السبب المباشر لتركها لأشلي ولتمزقها ولعائلتها قبل ثمانية سنوات أثار الإنقباض داخل أعماها وجعلها تشعر بالآلم. أرادت تأجيل الرحلة إلى وقت آخر لكن إدراكها لرداءة الطقس والإمكانية احتجازها في أشلي في حال أخرت موعد الزيارة هذه لوقت آخر جعلها تقرر الذهاب على الفور.

«سأتصل بك فور وصولي إلى الفندق» وعدت إنها جميعي إين الثمانية أعوام والذي هو كل حياتها وهي تعانقه بحب وتقيله للمرة الأخيرة قبل إنطلاقها بالرحلة إلى أشلي.

ظل جميعي و صديقته أماليا يلوحان لها من المحطة حتى غاب القطار تداماً عن عيونهما.

لكن صورة جميعي ظلت مرسومة بعقلها بعد أن إبتعدت عن المحطة بمسافات. بجسده الطويل ووجهه المستدير وعيونه الرمادية الفاتحة وشعره الأسود الناعم والذي يشبه تماماً وجه وملامح روبرت ستابلتون والذي تذكره من سنوات مما أرسل قشعريرة ألم داخلها لما حدث فيما مضى بينهما. أعلن المتادي مغادرة القطار

فشدت ناتالي معطفها حول جسدها الرشيق وزورته بأصابع مرتعشة وأخذت نفساً عميقاً وألقت بنظرة سريعة على نفسها بمرآة الحمام. وجهها البرونزي المستدير كان ساحر التقاطيع يعيونها العسلية الواسعة ذات الرموش البنية الكثيفة، وأنفها الرقيق وشفاها الممتلئة. الغمازة على وجنتها كانت تزيد من جاذبيتها. شعرها البني الناعم والكثيف كان ينسدل حتى منتصف ظهرها وكانت ترفعه فوق رأسها بكعكة أنيقة.

نزلت من القطار بخفة كباقي المسافرين المتحمسين للوصول إلى وجهتهم وكان الرجال يركزون نظراتهم عليها وحين تقابلهم بالجمود والبرود الذي اعتادت عليه منذ سنوات كانوا يتابعوا تقدمهم. رغم رقتها ورشاقتها والأنوثة الطاغية التي تنبع منها إلا أن قوة شخصيتها كانت واضحة وظاهرة.

على كل حال، رؤية الرجل الواقف على المحطة لها أظهرت السكون والذهول على ملامحه الجذابة. لأن لا شيء يكل خيالاته طوال السنوات الثمانية الماضية حضرة لتحول ناتالي إلى كل هذا السحر والأنوثة والجاذبية، لطالما تساءل عن كيفية نضوج جمالها وسحرها. إلا أن أجمل تصوراتها لم تكن يمثل ما يراه الآن.

تصلب فكه وزم شففيه وهو يراقبها وهي تنزل من

القطار وتتشرب رويداً رويداً منه وخطواتها الرشيقة تتناغم مع ضربات قلبه التي أخذت تتسارع لأنها كانت تصيب وترأ حساساً بأعماق أعماق قلبه.

لم تكن تراه ورموشها الكثيفة تغطي عيونها العسلية وهي تنظر أمامها وكل شيء كان هناك، الجاذبية الحسية بمشيتها الرشيقة التي يعرفها جيداً. شكل وجهها الجذاب، شعرها الألامع المرفوع بأناقة والذي لم يسبق له وشاهد ناتالي القديمة بهذا الشكل، لكنه كان كالسابق بحاجة لحركة صغيرة واحدة لينسدل على أكتافها كالشلال.

أجمل، فكر بمرارة. الجمال والسحر قد أخذتا التحديد النهائي عندها بشكل يتجاوز أقصى تخيلاته ويلبس مشاعر قديمة اعتقد أنها جفت وماتت منذ سنوات.

هذه كانت ناتالي بعد سنوات ثمانية.

وصلت إلى بوابة الخروج وامتدت يدها لتشير إلى سائق التاكسي بالتوقف فسارع بالإقتراب منها قاطعاً عليها الطريق.

«مرحباً ناتالي» حياها بهدوء.

تجمدت ناتالي لسماعها لصوته ينطق بتلك الطريقة العميقة وبذلك الصوت المحفور رغماً عنها بأعماقها. شيء ما تحرك بداخلها وحرك رماد مشاعر خبت نارها

منذ سنوات ورفعت عيونها لتلتقي بعيونه.
للحظة لم يكن بإمكانها التحرك أو النطق وعيونها
تظهر ذهولها الكامل لرؤيتها له هنا. بدا بارداً ومتباعداً
لكن محروساً برقة وهو يقف هنا أمامها ويحدق بها
بعيونه الرمادية الواسعة وكل ما إستطاعت أن تفكر به هو
قولها يسرها يا الهي! إنه نسخة ثانية من جيمي! شبيه
تماماً بإبنه!

- ٢ -

سنوات المرارة الطويلة تحولت إلى غصة إحتقار في
حلقها. ثمانية سنوات، فكرت وبالكاد بدا هو متأثراً
بمرور السنوات. جسده كان لا يزال رياضياً صلباً،
شعره الأسود الناعم لا يزال بنفس الشكل واللون. كان
لا يزال يرفع رأسه بنفس الطريقة المتعالية. لا يزال
يملك تلك الخاصية الرجولية المسيطرة والتي تزيد من
إثارته وجاذبيته.

وحتى الآن، ورغم كل ما إختبرته بين ذراعيه الغير
مهتمتين فقد شعرت بموج العاطفة يشدها إليه. وجهه
كان لا يزال على حاله، بكل خطواته القوية الجذابة -

لكن الصلابة الجديدة كانت هناك ومعها النضج الكامل الذي كوَّنته سنوات ثمانية.

«مرحباً روبرت» تمكنت أخيراً من القول مضيقاً ببرود:

«لم أتوقع وجود أحد يانتظاري هنا».

التوى فمه بإستامة صغيرة قبل أن يعود إلى حاله الطبيعي ويقول:

«حين يعود السخي، ناتالي، فمن المعتاد فرش السجاد الأحمر له».

«وأنت تعتبر نفسك السجادة؟» ردت ببرود.

زادت حدة عيونه الرمادية ولحسن حظها لربما مر أحد معارف روبرت من قربهم وحياء للحظات قبل أن يتابع طريقه. لحظات كانت كافية لإعادة السيطرة على أعصابه.

قال ببرود:

«هيا أعطني هذه الحقيقة» وقبل أن تتمكن من الاحتجاج تناول روبرت الحقيقة من جانبها وقال:

«سيارتي في الموقف العام وهي على مسافة قصيرة من هنا».

سار أمامها دون أن يلتفت إلى وراء.

راقبت ناتالي وهو يبتعد بعيون ثابتة لا ترمش. كلا، قالت بنفسها هو لم يتغير مقدار شجرة طوال السنوات.

لا زال نفس الرجل المتكبر المتعالي. يتدخل، يستلم زمام الأمور كأنه أرستقراطي متملك جاء لإصطحاب طفلة مشردة.

كان قد وصل إلى موقف السيارات حين غادرت هي بوابة المحطة، وكان يشق طريقه عبر صفوف السيارات بثقة وأنها ستبقيه كالكلب الوديع مما أثار غيظها وحققها... لا، تلك النظرة الأخيرة التي رماها بها قبل أن يستدير ويتجه إلى موقف السيارات أخبرتها أن العداء الهائل الذي تشعر به نحوه لا يقل حجماً عن العداء الذي يشعر هو نحوها به.

إنطلقت خلفه وكعب حذاءها يطرق الأرض المرصوفة بصوت رتيب. وحين وصلت إليه وجدت أنه قد وضع حقيبتها في المقعد الخلفي وفتح لها الباب الأمامي بجانب السائق.

إقترت من السيارة بحركة تحدي وهي تخبره بصمت أنه لا يحق له معاملتها بهذه الطريقة، كأنها... كأنها قطعة اثاث غير مرغوب بها لكنها ضرورية! هي لم تطلب منه لقاءها على المحطة! هي لم تطلب منه أي شيء - أبداً.

توقفت قرب الباب وأخذت تنشق هواء الشتاء البارد الرطب بإستمتاع. اعتقدت أنها قد نسيت رائحة وطعمة هذا الهواء، لكنها لم تفعل فلفحة الهواء المتعشة كانت

ذاتها وكذلك كمية الروائح المشبعة برائحة الأرض.

«سجمدن حتى الموت إذا بقيت تنشقن الهواء البارد لأكثر من هذا» قاطع صوته استماعها فتمتعت:

«آسفة» ورمته بنظرة باردة متجاهلة بتعمد للثيرة المنتقدة بصوته. هذه كانت زيارتها الأولى لموطنها منذ ثماني سنوات. لقد رحلت بعيداً عن هذا المكان بسببه هو، وظلت بعيدة بسببه هو إذا اعتقد أنه سيفسد عليها لمحبة السعادة الأولى هذه فهو سيكون مخطئاً تماماً... دخلت السيارة وشدت المعطف حول ساقها وإبسمت برقة لنفسها حين أغلق هو الباب وإستدار ليأخذ مكانه خلف المقود.

«كيف هي أم... عمتي؟» سأله براهتمام.

إنطلق روبرت بالسيارة وقال:

«إعتقدت أنك لن تسألني أبداً».

«المسألة كانت مسألة إعطائي الفرصة للسؤال» أشارت وهي ترميه بنظرة باردة. حتى بروفيله (نصف وجهه) كان يوحى بالثراء، بالإمتياز وبالتحضر والوسامة.

«إنها لا تزال تعاند القضاء». أعلمها بإختصار.

«أخبرني ما الذي حدث؟» سألت وهي تحديق بالزجاج أمامها حتى تتحاشى النظر إليه. كان يسكن

أفكارها بقوة، مبعداً إياها عن الأفكار الواجب عليها التفكير بها.

«لم تكن حالتها بخير منذ أشهر طويلة» أخبرها وعيونه مركزة على الطريق أمامه:

«وكنا مهتمين بمحاولة التخفيف عنها وتحسين حالتها. لكنك تذكيرين على ما أظن كيف هي طبيعتها...» إبتسامة صغيرة وحادة ظهرت على وجهه: «ظلت تصر أنها كانت بأتم صحة وعافية، صحيحة تماماً لمتابعة عملها والقيام به على أحسن وجه كما هي معتادة».

«بالطبع» تمتعت بسخرية.

آل ستابلتون كانوا دوماً بالمرتبة الأولى بالنسبة لعمتها. حتى قبل ابنة شقيقها اليتيمة الوحيدة...

«لأنها كانت تشعر أنها بهذه الطريقة تكون ذات فائدة» علق روبرت بحدة وهو يرميها بنظرة قاسية متابعاً:

«كان عندها القليل الآخر لتحيا من أجله، أليس كذلك؟»

«كلا» رد:

«لكنك عנית ذلك مع ان الله وحده يعرف ما هو الحق الذي تملكينه ويسمح لك بالانتقاد فيما أنت قد نسيت تماماً أن لك عمّة، هي بمثابة أم ثانية لك، لعمدة

ثمانى سنوات كاملة.

هذا صحيح، فكرت وهي تتجاهل هذه النقطة. لقد نسبت ذلك للضرورة وللضرورة فقط. كانت هذه هي طريقته الوحيدة للبقاء والصمود خلال سنوات التعاسة الأولى التي مرت بها بعد مغادرتها «لأشلي».

«لقد عانت من جلطة قلبية صغيرة» تابع روبرت بعد فترة صمت متوتر:

«لم يكن هذا أمراً خطيراً لكنها كانت تصعد السلالم حين أصابتها الجلطة فسقطت بالتالي عن الدرجات وكسرت ساقها. وهي تطالب برؤيتك منذ ذلك الحين بإصرار وبأس - فهي تريد إطلاعك على أمر ما - هذا ما تردده دوماً. ولهذا لم يكن أمامي من طريقة الاتصال بك سوى نشر ذلك الإعلان في الجرائد المحلية.»

«أجل» ردت وهي تتذكر الإعلان الذي كان السبب بعودتها إلى هنا:

«رسالة مستعجلة للآنسة ناتالي شالسي من قرية أشلي والتي تركتها منذ ثمانية سنوات. عمثك بحالة صحية خطيرة نرجو الاتصال بهذا الرقم للضرورة القصوى.»

- «ومنذ... منذ متى وهي بهذه الحالة؟» سأله بقلق أخذ يتزايد داخلها.

«منذ شهرين ونصف تقريباً» قال:

«الجلطة القلبية منعت الأطباء من المعالجة السريعة

للساق المكسورة وهكذا فقد استغرقت معالجتها فترة أطول».

«هل تعرف عمتي بمجيئي؟» سأله بصوت مبسوح. عمته دون شك بحالة نفسية متردية من جراء عجزها الحالي! فلطالما كانت تكرر العجز وعدم الحركة وشعور عدم الإفادة كان يقتلها. لطالما كانت قوية، صحيحة الجسم وقادرة! عمته لم يسبق لها وإن أصيبت حتى بالزكام.

«كلا» أجابها روبرت:

«وجدت أنه من الأفضل عدم دفعها لبناء الآمال. فقد خشيت من تغييرك لرأيك بالحلقة الأخيرة وامتناعك عن المجيء وتكبد العناء.»

«لا داعي لاستعمال السخريه روبرت» قالت بجفاف: «أعرف تماماً مما تعتقد عني دون حاجتك للسخريه لتوضيح ذلك.»

«ومن الواضح من لهجتك أنك لا تكثرئين لذلك.»

«هذا صحيح» ردت بوضوح:

«انت على حق تماماً، انا لا اكثرث مطلقاً لذلك. لقد حجزت غرفة لي في فندق الرايتز» قالت مغيرة الموضوع:

«... لكنني أفضل التوجه مباشرة إلى المستشفى أولاً إذا لم يكن عندك مانعاً».

«لا ابدأ» تمتم:

«لكنك لن تنزلي بالفندق. ستعودين إلى القصر معي».

«مستحيل» قالت بشهقة ومجرد الفكرة ترعبها.
بوجود سامنتا هناك؟ بوجود والدته ووالده؟.

«كلا روبرت هذا مستحيل» أصرت بشدة:

«أفضل البقاء في الفندق. إنه أقرب إلى المستشفى
ولا نية لدي بأن أكون مصدر عدم ملائمة لك لأكثر من
هذا».

«لطالما كنت مصدر عدم ملائمة لي نائالي» علق بنبرة
غريبة:

«لقد قررت منذ سنوات أن تكون نائالي شالسي،
الأمر الغير ملائم الأساسي في حياتي».

- ٣ -

ابتسمت دون أن تتمكن من منع نفسها من ذلك
لطالما كان مرحه وتلاعبه بالكلام مصدر ضحكاتها.
«حسناً، لقد كان عندك فترة إستراحة لثمانى سنوات
كاملة!» علق بجهف.

«ومن قال هذا؟» رد بتحدى وتكهرب الجو داخل
السيارة. النبرة الحادة بكلماته والطريقة التي نظر بها
إليها أخبرتها أنه كان جدياً مئة بالمئة.

أهو ضميره؟ تساءلت، وابتسمت بمرارة لنفسها وهي
تبعد نظرها عنه. هي لا تزال تذكر الطريقة القاسية التي
طردتها بها والدته من القصر وهي تنقل لها رسالة

روبرت اللفة القاسية والتي أحلتها من وعوده ومزقت أعماق ناتالي.

«ها قد وصلنا» قال.

«جيد» قالت بيروود هائل جعله يدير وجهه إليها بدهوة:

«إذا لم يكن عندك مانعاً فسادخل بمفردي» تابعت ونزلت من السيارة دون ان تلتفت نحوه.

دخلت المستشفى وانبعثت إلى أنفها رائحة الدواء المطهر وأخذت تشاهد الممرضات بأثوابهم البيضاء وقبعاتهم الصغيرة وهم يروحون ويجيشون بممرات المستشفى البيضاء.

توجهت إلى طاولة الإستعلامات وإبتسمت للموظفة التي كانت خلف الطاولة.

«قسم العناية الفائقة لو سمحت» سألتها ناتالي بإبتسام.

«سيرافك أندرو إلى هناك آنسة...»

«شالسي - ناتالي شالسي» ردت ناتالي.

«أجل آنسة شالسي تفضلي الاذن بالدخول. هل انت قريبة لإحدى المرضى هناك؟»

«أجل... عمتي سابرين شالسي هناك».

«تفضلي آنسة» قالت الموظفة وناولتها الإذن بالدخول. سارت مع المدعو أندرو إلى المصعد ومنه

إلى ممرات طويلة كانت مشاعر ناتالي تتزايد بداخلها وهي تقترب أكثر فأكثر من مكان عمتها. مشاعر المرارة، الامتعاض المنبعثة من كبرياء أراد الالتصاق بالقواعد والأصول التي تركت آشلي لأجلها. بالإضافة لذلك فقد كان قلقها على عمتها يزداد. أشار لها أندرو إلى المكان وتركها وتابعت هي خطواتها مدركة أن روبرت كما يبدو قد عمل بكلماتها ولم يلحق بها.

تصلبت أسنانها وهي تخطو داخل قاعة العناية الفائقة حيث الصمت قاتل.

كان هناك طاولة إستعلام أخرى امامها وخلفها تجلس ممرضة. أجبرت نفسها على التقدم نحوها وهي تخطو بخفة وصمت.

ثم فجأة أخذت نبضات قلبها تتسارع والممرضة ترافقها إلى الغرفة وتجمدت ناتالي حين شاهدت خلف واجهة الزجاج الضخمة الجسد الصغير التحيل الذي كان مستلقياً بين الوسائد البيضاء وآلة جهاز المصل متصل بالنساعد المعروف. الوجه كان كثير التجاعيد والعيون مغمضة والفم متصلب وكان الحياة تسحب من الجسد المهالك دارت الدنيا بها ولم تعد ترى بوضوح أمامها.

«ناتالي» جاءها الصوت المألوف العميق قبل أن تغيب عن الوعي بلحظات واحست بذراعين قويين يحملانها وراحت بتشوش عيونه الرمادية تحديق بها بقلق ثم لم تعد

تسرع بشي».

عادت للوعي بعد وقت ووجدت نفسها ممددة على سرير ابيض اللون. روبرت كان يجلس بجانبها ويديه يمكن ان يراها.

«كانت هذه صدمة لها» كان يقول للممرضة الواقعة قريباً وتقرياً نبضها:

«لقد اكتشفت للتو ان عمتها التي ربيتها منذ الطفولة شديدة المرض فسارعت بالمجيء إلى هنا بأقصى سرعة. دخولها إلى الجو الدافئ هنا بعد البرودة القارسة في الخارج قد أصابها بالغثيان دون شك».

«أنا... أنا فقط لم أتوقع أن تكون حالتها بهذا السوء» همست ناتالي بإرهاق جاعلة عيون روبرت الواسعة تتركز عليها. بدا مرهقاً وشاحباً.

«أردت أن أحذرك، لكنك اندفعت بسرعة» قال بهدوء.

«عمتك نائمة الآن آنسة شالسي» قالت الممرضة بصوتها الرقيق:

«ولهذا فأمامك الوقت الكافي للاستراحة حتى يحين موعد استيقاظها. سأذهب واصنع لك القهوة - كيف تحبونها؟» عرضت الممرضة بإبتسام.

«ثقيلة وحلوة» رد روبرت ورمته بنظرة دهشة لأنه لا يزال يذكر كيف تحب قهوتها.

تحركت الممرضة بصمت مغادرة الغرفة وأغمضت عيونها بألم للذكرى ما شاهده منذ بعض الوقت وهمست:

«تبدو طاعنة بالسّن روبرت... طا... طاعنة وعجوز...».

«وماذا كنت تتوقعين بعد مرور ثماني سنوات؟» رد بحدة والغضب يلون نبرته ورمهاها بنظرة باردة قبل أن يتابع:

«إنها هنا بسببك أنت ناتالي، هي هنا لانك تركتها ورحلت دون أي كلمة وانت تعرفين أن لا أحد لها بهذا العالم غيرك وغيرنا! ولهذا فلا تتوقعني مني أن أشعر بالتعاطف معك لأن القدر قد أوقعك بشبابة أخيراً. نهض من مكانه وعيونه تزداد حدة وهو يحدث بها متابعاً:

«الوقت الوحيد الذي شعرت به انها فعلاً حية وتنبض بالحياة خلال السنوات الثمانية الماضية كان حين كانت تغرق نفسها بالعمل لدينا».

«لكن هذه كانت حالتها دوماً» ردة بحدة وهو تصلح من جلستها وتسرع بالدوار لذلك:

«مثلك وعائلتك كانت تأتي دوماً بالمرتبة الاولى لديها - ولا تحاول أن تنكر ذلك روبرت لأنك تعرف جيداً وأكثر من غيرك أن هذه هي الحقيقة».

الصمت المتوتر عاد ليطبق على الجو فلا الوقت ولا الزمان كانا مناسبين لهذه المجادلة. أبقت نانالي وجهها مركزاً على الأرض ونهض روبرت بتصلب من جانبيها وأخذ يخطو داخل الغرفة بصمت.

«تفضلني الشاي» جاءها صوت الممرضة الرقيق مجدداً والذي بدا كنسمة الهواء المنعشة وسط القيق: «هذا سيجعلك تشعرين بتحسن». وناولتها الكوب الحار:

«خذني وقتك باحتساء الشاي وستكون عمك قد إستيقظت بهذا الوقت».

«هي... ليست في غيبوبة أليس كذلك؟» سألت نانالي بخوف وإضطراب.

«كلا والحمد لله» ردت الممرضة وهي تظمنها بإبتسام:

«إنها فقط نائمة. ونأمل ان الأسوأ قد مر. ساقها يتحسن والحمد لله قد زالت عنها نهائياً كل ما تحتاجه الآن، حتى تتحسن حالتها تماماً، هو رؤيتها لك. كانت شديدة الخوف والرهبة - من ان تسوء حالتها قبل ان تراك...».

سمعوا صوت جرس إستدعاء فاستأذنت الممرضة وتركت الغرفة متجهة الى الغرفة التي إنبعث منها صوت الجرس.

نظرت نانالي الى روبرت المتجه الملامح وسألته: «روبرت لماذا لم تحاول الاتصال بي حين كانت عمتي بأسوأ أحوالها الصحية؟»

لم ينظر اليها بل مشى نحو النافذة وأخذ ينظر إلى الخارج ويديه في جيوب بنطاله البيج و سترته الصوفية المشجرة تظهر صلابه وعرض صدره وكثفيه.

قال بعد فترة صمت: «بصراحة لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً. كنت قد رحلت منذ ثمانية أعوام دون أن تبغني لنا بمجرد كلمة تخبرنا إذا كنت على قيد الحياة أو... لا. وتوصلت منذ فترة طويلة إلى الاستنتاج القائل انك لا تكثرين لأمر مطلق شخص في هذه القرية».

ما يقوله كان صحيحاً، إعترفت بصديق لنفسها هي لم تكن تكثرث سواء أبقوا على قيد الحياة أم لا.

لكنها تكثرث وتهتم كثيراً الآن، أدركت ذلك وعيونها تتجه إلى صوب غرفة عمتها وشعور هائل بالقلق والتوتر يعتصر امعاتها.

«فقط حين بدأت سابرين تسأل عنك أدركت أنها لم تتخلي يوماً عن أمل رؤيتك ثانية - يا لها من حمقاء مسكينة» رماها بواحدة من نظراته الباردة القاسية المريرة وتابع:

«يقولون أنه لا يوجد أي شيء أعظم وأكبر من حب

الوالدة».

أخفت نانالي عيونها برموشها الكثيفة وهي تفكر بالصبي الاسود الشعر الذي تركته برفقة صديقته بعيداً عن هنا وتمتعت:

«وما هو رأيك بعظمة ومدى حب والدي؟»

الحيرة الكاملة ظهرت على وجه روبرت من جراء سؤالها هذا ومن العراة العميقة التي لونت صوتها وهي تنطق بهذا السؤال. قطب جبينه للمحظات ثم قال:

«والدك كان رجلاً متباعداً وهادئاً أجلاً، لكن حتى أنت نانالي لا تستطيعي الإدعاء أنه لم يكن يحبك وأنه لم يرفعك بحنان حتى وفاته وأنت بسن الثالثة عشرة»

- ٤ -

إيسمت لسؤ فهمه الكامل لمعنى كلماتها ونهضت بإرتعاش وقالت:

«أنا مستعدة الآن لرؤية عمتي»

تردد روبرت وهو ينظر إليها بدهشة. لكن لاحظ قناع التباعد الذي وضعت على وجهها وهز رأسه بغموض وأمسك بذراعها بقوة ولم تحاول هي التخلص من قبضته لأنها كانت بحاجة لهذا الدعم في هذه اللحظة بالذات.

«إنها شديدة الضعف» حذرها بصوت خافت وهو يدخل وابها غرفة عمتها:

«وأخشى أن الجملطة قد أصابت نصف وجهها بشبه شلل. هي تنفوه بالكثير من الكلمات والتعابير وإذا استطعت سيكون من الأفضل لو تتظاهري بفهم كل ما نقوله دون أن تلجأى لطرح الأسئلة المستفسرة، لأن هذا سيشبب بإقلاقها وإزعاجها».

طأطأت برأسها متفهمة والغصة تكاد تدفع بالدموع إلى عينيها لرؤيتها مجدداً لجسد عمتها الصغير بين الوسائد والشراشف البيضاء. عمتها كانت لا تزال نائمة وشعرها البني الذي كانت تذكره نانالي جيداً قد تحول الآن إلى حالة بيضاء تحيط بالوجه النحيل الصغير. والدوائر الزرقاء كانت تحيط بالعيون الرمادية التي كانت فيما مضى تنبض بالحياة والاشعاع.

ابتعدت عن ذراع روبرت وإقتربت من السرير والدموع التي تشكلت داخل عيونها تمنعها من الرؤية بوضوح.

«عمتي!!» همست بصوت مبحوح وهي تمسك اليد لمعروفة بدفء.

تحركت الرموش وانشقت عن العيون الرمادية الغائرة التي التمعت بعدم تصديق حين ميزت بعد لحظات هوية المتأدي.

«نانا...» همست عمتها بعدم تصديق وإمتدت اليد الاخرى لتتحسس بإرتعاش وجه نانالي:

«آه نانالي... هل هذا أنت حقاً؟».

الدموع إندفعت على الوجه النحيل وتحركت العيون الغائرة نحو جهة روبرت وهمست سابرين:

«لقد وجدتها. لقد وجدت نانالي».

«أجل سابرين» أجابها برقة وإقترت بمسداً الوجه النحيل بحنان:

«لقد وجدتها».

«نانا...» وفشت سابرين عن نانالي والجوع داخل

عيونها لرؤية نانالي اعتصر قلب الاخرية:

«أوه روبرت، أنظر لكم هي رائعة الجمال - ساحرة

العيون...» وإمتدت يدها مجدداً إلى وجه نانالي

فأمسكت نانالي بيد عمتها وشدت عليها بلهفة كأنها تريد

أن تعوض عن الحرمان الذي عانته بعدم رؤيتها لها

طوال سنوات ثمانية.

«لا زلت تمتلكين هذا الشعر العسلي الرائع...»

وهذه البشرة الساحرة...» وتقلت العيون عليها فيما

نانالي لا تزال تستوعب مدى التدهور الذي تعرضت له

صحة عمتها التي تابعت بصوتها الهامس المتعب:

«انت لا تبسمين... كنت دائمة الابتسام - دوماً

وطوال الوقت - مهما كان ما...» ذبلت الكلمات

ومآت وعادت الدموع الغزيرة لتغسل وجهها مجدداً.

«لا تبكي» توصلت نانالي بحرارة والدموع تهدد

بالإندفاع مجدداً من عيونها هي وأخذت تداعب وجه عمتها بحب.

«لم أعتقد أنك ستأتين» قالت عمتها من بين دموعها:

«لم أعتقد أنني سأراك مجدداً أبداً».

«حسناً، أنا هنا الآن» طمأنتها ناتالي:

«والآن كل ما عليك أن تفعله هو الإهتمام بصحتك والعودة إلى حالتك الطبيعية».

«أجل» قالت عمتها بتهند وجسدها يترأخى وهي تعيد رأسها إلى الوسائد وتغلق عيونها لحظات وانتظم تنفسها وهمس صوتها قائلاً:

«نانا... لا ترحلي، لا تذهبي بعيداً هلا فعلت؟».

«عندي الكثير... الكثير لأقوله لك... هناك مطالب... بدون اعتراضات... الحياة ثمينة جداً...

كنت أخشى...»

«هش» هدأتها ناتالي بهمس وهي تشعر بالقلق لعدم تسلسل ما تنفوه به عمتها وتابعت:

«توقفي عن القلق بهذا الشأن عمتي. لقد إنتهى كل شيء الآن».

فداع روبرت التي لامست كتف ناتالي أكدت لها ما كانت تراه - لقد إستغرقت عمتها بالنوم مجدداً وإنتهت الزيارة الاولى هذه.

«دعها تستريح الآن ناتالي» نصحتها روبرت برقة:

«هي لا تستطيع التحدث سوى لخمس دقائق فقط في كل زيارة. سنأتي لرؤيتها مجدداً غداً».

«روبرت...؟» همس صوت عمتها وجعلهما يحدقان مجدداً بالسري.

«أجل، أنا هنا سابين» أجابها برقة مقترباً منها.

إتسامة صغيرة لامست وجه العجوز وقالت:

«إعتني بنانا من أجلي حتى أغادر هذا المكان... عنتي بها كما كنت معتاداً دوماً...»

شيء قاسي اعتصر قلب ناتالي ونهضت من مكانها بعصبية وهي تبعد يده عن كتفها وقد عادت العجزة القديمة لتتحرك داخلها وقالت:

«أستطيع الإعتناء بنفسي جيداً، عمتي! لقد أصبحت ناضجة الآن أنذكرين؟»

«أجل» قال روبرت وهو يرمي ناتالي بنظرة تحذير:

«ستبقى ناتالي في قصري سابين، فلا داعي لك للشعور بالقلق عليها أبداً».

«احضرها لي مجدداً غداً» همس الصوت الخفيف.

«أجل سأفعل» قال بإبتسام.

ووجدت ناتالي نفسها تمتعض من نظيرة الحب والشكر التي ظهرت داخل عيون عمتها. طوال فترة حياتها هنا لا تذكر ناتالي ان عمتها قد رمتها بمثل تلك

النظرة. لكنها تذكرت ان عمته كانت دوماً ضعيفة إتجاه لطف روبرت وجاذبيته. وكذلك كانت هي بالنسبة لك، قال صوت صغير داخل عقلها متذكراً كل الحب والحنان الذي احاطتها عمتها به والتي كانت كام ثانية حقيقية لها.

«شكراً لك» تمتم روبرت وهو يسير قربها.

«على ماذا؟» سأله بنظرة امتعاض:

«انها عمتي أنا. وأعتقد أنه من الواجب علي انا أن أشكرك لتحمل عناء إيصالي إلى هنا».

«حسناً، من الجيد أنك قد لاحظت ذلك» رد بيروود.

شدت نانالي خطواتها سابقة إياه بالخروج من المصعد ورد قاسي يتلاعب على شفتها. حقيقة انها كانت ترعى بحب وإهتمام إبنه طوال الثماني سنوات الماضية كان شيئاً ترغب هي بإخباره عنه.

«نانالي...» قال ويده تمسك بذراعها فانتفضت بشدة وابتعدت عنه.

«لا تلمسني» قالت بقوة. وتراجع هو خطوة إلى الوراء من عمق الكرسي والنفور الذي رآه داخل عيونها اللامعة فيما هي تفكر بجيمي وحرمانه من حب الوالد وكل ما يتبع ذلك حين يكون روبرت ستايلتون بالذات هو ذلك الوالد وتابعت:

«فقط - لا - لا تلمسني» رددت مجدداً وهي ترتعش

من شدة المرارة التي اجتاحتها والتي لم تتمكن من إخفائها.

نزلا السلالم مغادرين المستشفى بصمت. لسعة البرودة كانت كبيرة في الخارج وقد ساعد نانالي هذا على تهدأت أعصابها والتخلص من بعض النار التي كانت تشعر بها داخلها. توقفت وأخذت نفساً عميقاً فيما روبرت يراقبها بدقة قبل أن يستدير ويقول:

«سأحضر السيارة. إنتظري هنا».

إنتظرت، كالكلب المطيع إنتظرت والهواء القارس يلسع بشرتها وأذنيها دون أن تشعر حتى بذلك. لحظات وظهرت سيارته وإنحنى ليفتح لها الباب فدخلت وجلست بصمت وبصمت ثبت هو حزام الامان حولها قبل ان ينطلق بالسيارة مجدداً.

«أحتاج للإتصال بالهاتف» قالت فجأة متذكراً وعدها لجيمي ومدركة أنه سيبدأ بالشعور بالقلق عليها.

«تستطيعين إستعمال الهاتف الموجود في القصر» قال روبرت:

«إنه يبعد ربع ساعة فقط من هنا».

«لا اريد البقاء في القصر» ذكرته بعناد:

«إذا رفضت أن تدعني أنزل بالفندق فستعمل حينها غرفتي بمنزلنا القديم».

«أخشى أنك لا تستطيعين فعل هذا أيضاً» قال وثقته

بكلماته تحرك الإنزعاج داخلها:
«منزلكم أصبح مهجوراً منذ فترة تتجاوز السنة
أشهر. وبوجود عمك بالمستشفى فقد إستغلينا الفرصة
واعادة تجديد المكان. إنه محتشد بالأشياء والصناديق
الآن».

«أذن سأنزل بفندق الرايتز» أصرت.
«ستزلين بالقصر وتوقفي عن المجادلة» قال بحدة
وغضب مما جعلها ترتعش. رماها بنظرة كره باردة
وتابع:

- ٥ -

«عمك تتوقع هذا وسأبدو بمظهر بالغ السوء اذا لم
أحقق لها رغبته هذه ولهذا فتوقفي عن الجدال وحاولي
على الأقل تقبل العرض بإمتنان».
«تقصد بعدم إهتمام متبادل اليس كذلك؟» قالت
باحتقار:

«إبنة مديرة المنزل الوضيعة تعرض امتنانها وشكرها
«بن ستابلتون العظيم».

«هذا لم يكن حتى مضحكاً ناتالي» رد عليها بجفاف:
«وهذا يعتبر إهانة للطريقة التي تربيته بها معنا
ناتالي. لاني لا اذكر ولا للحظة واحدة أنه قد سبق لك

وشعرت بأنك أقل رتبة مني أو من عائلتي من قبل أي شخص داخل القصر.

«وكيف حال والديك؟ ووالدتك بالذات؟» سأله وتفاعلت حين أبعد نظره عن الطريق امامه وحدق بها. «ألم تعرفي؟» سألها بدهشة حقيقية ثم اضاف بجفاف:

«بالطبع لن تعرفي وكيف لك ذلك وأنت قد قطعت كل صلة لك بأشلي واهلها منذ سنوات؟» اعاد نظره إلى الطريق امامه وقال:

«توفيت والدتي منذ خمسة سنوات ووالدي أصبح شبه مقعد ونصف مشلول وهو لا يغادر جناحه الخاص بالقصر منذ وفاة والدتي».

«انا - انا آسفة» قالت بتصلب وادركت أن روبرت شعر بتصلبها هذا بسبب القسوة التي ظهرت على خطوط وجهه وتابعت:

«أذن فقد أصبحت انت إمبراطور آل ستابلتون لا؟» لفظت الكلمات بطريقة توضح لها شعورها نحوه ونحو كل ما يمثلها.

كلماتها تركت الصمت المكهرب يسيطر بينهما حتى لحظة وصولهما إلى ساحة القصر. وكانت ناتالي مرتاحة لهذا الصمت، فهي لا ترغب بفتح أي خط من خطوط الإتصال مع روبرت ستابلتون مهما كانت مرارة هذا

الخط وقساوته. كان هو شبحاً من ماضيها، شبحاً ترفض هي بكل قواها ان يسكن حاضرها. ولهذا فقد ركزت إنتباهها على ما تراه في الخارج عبر نافذة السيارة طوال بقية الرحلة.

بعد ثماني سنوات، ثماني سنوات قضتهم بعيداً عن قرية ولادتها وطفولتها ترعرعها ومراهقتها. بعيداً عن كل شيء بهذا المكان. لكن يبدو أن شيئاً لم يتغير بهذا المكان، شيئاً لم يتغير سوى هي نفسها.

إرتعشت والسيارة تشق طريقها عبر الطرقات والأشجار وتذكرت آخر صيف قضته هنا بين هذه الربوع. والذي قضته بتقلبها بين ذراعي روبرت المحب والعاشق.

هي لا تزال تذكر الألم والغيرة التي كانت تشعر بها وهي تراقبه من نافذة غرفة نومها وهو يغادر بوابة القصر بكامل زينته وملابسه بطريقه لقضاء زيارة رسمية أو أخرى.

«سأذهب مكان والدي» كان يقول دون ان يلاحظ كم كانت كلماته هذه تحفر ألماً عميقاً داخلها لإدراكها أنها غير مقبولة لتظهر برفقته.

بهذه المناسبات كان يصطحب معه كارولين الجميلة. كارولين كانت أكثر من مقبولة ومناسبة للظهور برفقته. فهي كانت كارولين بوشيه سليلة العائلة الثرية

والارستقراطية الثانية في آشلي. والتي يتوقع الجميع زواجها من روبرت ستابلتون في يوم من الأيام.

هل جاء ذلك اليوم فعلاً وتحقق خلال السنوات الثماتية الماضية؟ تساءلت ناتالي. هي لم تسأله هذا السؤال مبعدة شبح الفتاة الأخرى عن خيالها وهي تركز على مرض عمتها ومعاناتها. شعرت فجأة بالجليد يعتربها ونقلت بصرها إلى يد روبرت الموجودة على المقود بإصابعه الطويلة الصلبة والتي تعرف هي ملمسهما جيداً.

ارتعشت ورأت أنه لا يرتدي خاتم زواج بيده اليسرى. لكن هذا لا يعني الكثير. فلطالما إحتقر روبرت الحلبي والمجوهرات.

حتى الساعة التي يرتديها والتي هي بالغة القيمة إلا أن حزام الساعة كان مصنوعاً من الجلد الفاخر وليس من الذهب.

كل شجاعتهما الموجهة اتجهت نحو كارولين التي أصبحت الآن دون شك السيدة ستابلتون صاحبة القصر. إنتبهت من أفكارها على صوت روبرت الذي فتح لها باب السيارة يقول:

«تفضلني ناتالي إلى قصر النجمة».

نزلت ناتالي وتبعته بصمت وكم هائل من المشاعر يتناهبها لدخولها مجدداً الى هذا المكان.

باب الخشب الضخم الذي فتحه روبرت كان على حاله وكما تتذكره تماماً وحين دخلت وجدت ان كل شيء كان تماماً بمكانه. حتى الرائحة المميزة للخشب الابنوسي الذي تتكون منه كل أبواب القصر كانت لا تزال هناك. وقفت ناتالي قليلا ممتصة الصمت وتكتفيها متراخين تحت معطفها الثقيل وقد تلاشى قليلا القناع المتناسك الذي كانت تتدرع به ليطهر خطوط التوتر والإرهاق العاطفي الذي كانت تخفيه.

ثم وببطء شدت جسدها ودفعت رقبته وأخذت نفساً مطولاً كأنها كانت على وشك الغرق. برقت عيونها ولمعت مجدداً بالحياة للهفة تكلمها مع الشخص الذي تحيا من أجله.

الشخص الذي وهبته الحياة ووهبها هو بوجوده الحياة والحب.

«روبرت» قالت له:

«أريد أن أجري الإتصال الهاتفي»

«بالطبع» قال وهو يضع حقيبتها على الأرض ويرن جرس الخدم ثم سار إلى غرفة مكتبه وقال:

«الهاتف هنا» وفتح لها الباب.

تبعته متمتعة شكرها وهي تمر من جانبيه إلى الداخل. مجدداً الغرفة كانت على حالها بالمكتب

الخشبي الضخم الذي يتوسطها وبالكروسي الجلدي الكبير الذي كان خلف المكتب. الجدران كانت عبارة عن رفوف خشبية بديكور رائع وتحتوي كل أنواع الكتب والمجلدات العلمية. والمدفأة الضخمة على الجدار الثالث كانت مضادة والنار بداخلها تهب النور والحرارة وهي تقترب منها بصمت وتسمع صوت الباب يفلق خلفها بهدوء وصوت عطلوات روبرت تبتعد خارج الباب.

أدارت بصرها حول الغرفة وتنهدت بعمق قبل أن تتجه إلى جهاز الهاتف وتخلع المعطف السميك وتضعه على الكروسي بجانبها ثم تدير الرقم الذي تعرفه جيداً والذي سيصلها بأهم شخص في حياتها.

«مرحباً ماما» قال جيمي فوراً دون أن يعطيلها حتى فرصة لقول «ألو» وابتسمت ناتالي للمرة الأولى بهذا النهار المرهق وتابع جيمي:

«لقد عرفت أنك أنت المتكلمة! لماذا استغرقت كل هذا الوقت للاتصال بي ماما؟»

«مرحباً حبيبي» قالت بحنانها المعتاد والإسامة الدافئة على وجهها تمحو كل آثار التوتر والقلق:

«الطقس هنا بالغ البرود، ولقد وصلت إلى جهاز الهاتف الآن بالضبط».

«كيف حالك؟ إشتقت إلي؟»

«ليس بعد» كذب جيمي بحب.

فهذه كانت لعبتهم الدائمة، ان يجيب جيمي بطريقة معاكسة لما يشعر به حقاً.

«جيد» قالت بضحك:

«لأنني لم أشتاق لك بدوري بعد» وقهقهت مجدداً حين سمعت صوت ضحكات جيمي الحبيبة.

«آه - هل تصدقين هذا؟ سيصطحبني العم نيكولاس إلى حلبة سباق الشاحنات غداً! هو يقول أنه ماهر بنوع السباق هذا - وهذا ما علي أن أختبره بنفسي» قال جيمي بتلهف.

خلفها فتح روبرت باب غرفة المكتب وانكأ عليه. لكنها كانت مأخوذة تماماً بالمكالمة فلم تنتبه لدخول أي شخص إلى المكتب. وظهرها كان للباب قلم تراه أيضاً.

تابعت المكالمة قائلة:

«حسناً لكن إنته جيداً لنفسك يا حبيبي فلا أريد لعودة لأجذك ملقى على سرير ما بذراع مكسور أو ساق مجبر».

«أجل، أجل واليوم سنذهب إلى مدينة الملاهي» تابع جيمي بحماس:

«ثم سنتناول البيتزا في مطعم لاساغي وهذا وفقاً لإقتراحي فأنت تعرفين تماماً مدى حب أماليا للبيتزا انها

لا تطبيق حرف الباء لانه كلمة بيتزا تبدأ به».

فهتفت ناتالي بصوتها الشجي المبحوح وتخلت مدى تحمل أماليا لرائحة البيتزا ورويتها فقط لإرضاء جيمي الذي تحبه صديقتها وزوجها ويعتبرانه كابنتها جون تماماً.

«يا لما تفعله المرأة للرجل الذي تحب» قالت ناتالي بضحك.

«هل بإمكانني التأكد من أن الجميع يحبني؟» قال جيمي وقد عاد للعبته الذكية والحنان يلون صوته. يا له من فتى حساس، فكرت بآلم وهي تفكر بكل طفولته وبرأته.

«حسناً، نستطيع أن نتأكد انني لا احبك فقط بل أعبدك» تسمت بحنان ورقة مدركة أن هذا بالضبط ما يرغب جيمي بسماعه:

«أشعر وكأنني اسير هنا بدون ذراعي الأيمن المشتاق أبداً لك».

«متى ستعودين ماما؟» سألها ما تتوقعه.

الرد كان صعباً وتغضن وجهها المتسم مجدداً بالغيوم وهي تتذكر عمتها الموجودة في ذلك السرير بتلك المستشفى.

«لا أعرف بعد يا حبيبي» ردت بإعتذار. فقد إتفقت مع أماليا على التظاهر بأن على ناتالي السفر إلى لندن

لإحضار تشكيلة ملابس الشتاء الجديدة للموسم القادم لمحلها الخاص بالملابس النسائية والولادية والذي يقع في احد أهم شوارع بروودواي التجارية. أماليا كانت صديقة ناتالي وشريكها وأكثر من شقيقة لها ساعدتها بانجاح المحل وتساعدتها دوماً بالإهتمام الكامل بجيمي كلما إضطرت ناتالي للسفر من أجل المحل.

«لكن تأكد انني سأعلمك فور معرفتي لموعد عودتي» تابعت مطمئنة جيمي.

«جيد لانني اريد انتظارك في المحطة. يقول العم نيكولاس ان بإمكاننا ذلك مع أن أماليا قد تكون مشغولة بتحضير المحل للبضاعة الجديدة وتغيير الديكور الداخلي له كمادتها ببداية كل موسم».

«اعرف، فهذه هي الحالة كلما سافرت أنا» قالت بتعاطف مدركة مدى عمق صداقتها وحبها لأماليا: «لكن انتبه أنت لتفسيك جيداً حبيبي، وأعدك بالعودة سريعاً وحالما أستطيع».

«اتمني لو كنت معك» تتم:

«أنا أقلق كثيراً عليك كلما سافرت فأخاف مما قد يحدث لك أو من أي سوء قد تتعرضين له».

«لن يحدث لي شيء جيمي» طمأنته بقوة وبحماية وهي تشعر بالخوف وعدم الأمان الذي ينمو بداخله كلما إبتعدت عنه وتابعت:

«أنت كل حياتي وأنت تعرف ذلك. وأنا لن أسمح
لأي شيء بالكون أن يبعدني عنك».

- ٦ -

رؤيتها المفاجئة لوالده تراءت أمام عيونها بعيونه
الرمادية المهددة بجسده الصلب فارتعشت بقوة.
«إلى اللقاء الآن يا حياتي إنتبه لنفسك جيداً» قالت
وحبها في صوتها.
«إلى اللقاء ماما انتبهى انت لنفسك ايضاً وعودي لي
بسرعة».

«إنشاء الله» قالت واعادت السماعه إلى مكانها
وتهدلت كتفها مجدداً وطأطأت رأسها حتى لامس
ذقنها صدرها وأخذت نفساً عميقاً لتمنع نفسها من البكاء
فدائماً كان من أصعب الأمور عليها قطع المكالمه معه

وخاصة هذه المرة بالذات فمع إنها لم تفكر بالأمر بعد إلا انها كانت تعلم بأعماقها ان زيارتها لأثلي هذه مع كل ما رأته وكل ما ستره ستحمل لها ولايتها التغيرات الكبيرة والمشاكل التي ستجبر لمشاكل اخرى اكبر وأعمق!

«زوجك؟» سألتها الصوت البارد مستفسراً والذي وصل اليها من الخلف.

استدارت بسرعة لتجد روبرت متكئاً بظهره على حافة الباب وذراعيه متشابكان على صدره وتعاييره غامضة وهو يدرسها.

«كلا» قالت ورفعت رأسها بتحدي كانت معتادة على إظهاره له فيما مضى وحدقت بعيونه بعدم تقبل ل طرحه عليها اسئلة لا يحق له طرحها.

بدا وكأنه يعتبر الفكرة ويحللها والسخرية الصغيرة داخل عيونه جعلتها تنكمش داخلياً وعيونه تنتقل عليها محاولة إختراق اسوار الدفاع والحماية التي بنتها بعناية حولها. ثم تنهد ودفع نفسه بعيداً عن الباب.

«إذا كنت تؤكدين لذلك... ذلك الشخص على الهاتف انك ستعودين اليه بعد أيام قليلة فأعتقد ان هذا كان تصرفاً طائشاً من قبلك».

تصلبت ناتالي:

«يجب علي العودة» أصرت:

«عندي إرتباطاتي الخاصة. مجيبي إلى هنا وفقاً للطلب المستعجل ولفترة قصيرة قد ضاعف مسؤوليات من سيسد مكاني في العمل. يجب علي العودة». كررت بتصميم.

«وعمتك؟» قال ورفع حاجبه بازدياد:

«ها قد رفعتها الآن إلى القمة وسترمين بها إلى أسفل الحضيض دون أن تكتري النتائج؟ الا تعتقدين انها تستحق القليل الأكثر منك. لقد كانت كامك طوال سبعة عشر عاماً بحق السماء! وتستكثرين عليها بضعة أيام مترددة تقضيها برفقتها وهي بحالتها هذه؟»

«لست مترددة بذلك» قالت بتصلب ودفاع:

«الأمر فقط...» فتشت عن الكلمات المناسبة وتابعت:

«عندي حياتي الخاصة الآن روبرت... عندي مسؤوليات جمة علي تحملها والقيام بها. لقد آتيت إلى هنا فور قراءتي للاعلان في الجريدة - بالرغم من كل مسؤولياتي - وسأقدر لك إعطائي نفس الاعتبار ان علي العودة إلى منزلي للقيام بتلك المسؤوليات بأسرع وقت ممكن».

«هذه... هذه المسؤوليات الا تتضمن عمتك؟»

سألتها والازدياد يزداد بصوته:

«أخبريني ناتالي، لأنني أشعر بالفضول حقاً لمعرفة

ذلك...» مسحتها عيونه من رأسها حتى أخمض قدميها
قبل أن تعود إلى عيونها ويتابع:

«... هل كائنات من كان يعتني بك ويؤمن لك نوع
الرخاء الذي كنت تتوقعين مني تقديمه لك؟ أم هل
جيوه متنفخة أكثر من جيوه؟ أنت بالتأكيد ترتدين
الآن ثوباً مهوراً بمقصد أهم المصممين... ولهذا
فعلي التخمين انك لم تعودي رخيصة ابداً».

شيء عنيف إشتعل داخلها وبرقت عيونها بشدة مما
جعل عيونه تتوسع بتحدّي للنظرة التي بدت داخل
أعماق شرارت عيونها الخضراء وراقب قبضتها وهما
تتكوران بجانبها استعداداً للكمه او صفعه لو كان أقرب
قليلاً منها.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول بكل البرود الذي
استطاعته:

«ما أفعله بحياتي ومع من أقضيها أمر لا شأن لك به
روبرت ستابلتون... ليس منذ اليوم الذي تركتني به
وحددي هنا ولم تفكر به ولا لمرة واحدة بالسذاجة الغبية
التي إستغليتها كل الصيف لإرضاء نزوانك وورغباتك
الجسدية!»

«آه ليس فقط للإرضاء نانالي» قال بتكاسل:
«كنت، وأنا واثق انك قد أدركت ذلك الآن، أكثر
من مرضية فقط».

«ليساعدني الله روبرت» همست من بين أسنانها
المصطكة:

«لكن تلميح آخر على سلوكي وسوف...»
«سوف تفعلين ماذا؟» تحدّاه وهي تفتش عن الكلمة
المناسبة. ومد ذراعيه ليمسك بيدها المتكوّرة وشدها
ليبخر المسافة التي كانت تفصل بينهما:
«ستضربيني؟» سألتها بإغاطة عبر شفاهه المتبسمة
بقسوة:

«تأكدي من انني سأرد لك الصاع صاعين نانالي»
حدّرها:

«متصمخين؟ من سيأتي لنجدتك غير الخدم؟
وصدقيني من سيأتي منهم سيتمتع بمشهد ضربي لك».
«أكرهك» هتفت من أعماق قلبها وموجة ازدواجه
تختفئ:

«احتر ما انت عليه وما تمثله. وإذا كانت كارولين
لا تزال تملك وجهة نظرها التافهة تلك بالحياة فأنا
مشاكدة تماماً اذن أنكما تستحقان بعضكما البعض!
فالزواج منك سيغذي نظريتها بإستمرار».
تصلب وبدأت نانالي ترتعش داخلياً شعورها أنها قد
تمادت فعلاً.

ثم سمعته يقول بصوت مخنوق:
«متزوج من كارولين؟ من أين بحق السماء أنتك

فكرة انني وكارولين متزوجان؟»

حدثت نانالي به:

«أقصد - أنكما لم تتزوجا؟»

عدم التصديق كان واضحاً بصوتها وضحك روبرت ضحكة قاسية قاطعة جعلتها تتأوه داخلية.

«لا أحتاج إلى الزواج من كارولين لأحصل على ما أريده منها» قال بازدراء واحتقار:

«تماماً كما لم أحتاج للزواج منك لنفس الأسباب».

الازدراء الذي لون كلماتها وربط بينها وبين كارولين كان كالفتيل الذي أشعل بركان غضبها فشدت يدها من قبضته وقالت بهدوء:

«أنت كنت وستظل دائماً شخصاً دنيئاً وحقيقاً روبرت ستابلتون»

إبتعدت عنه متجهة إلى باب الخروج وهي تتناول معطفها.

«إلى أين؟» سألها بحدة.

«للحصول على سيارة أجرة» ردت بحدة أكبر:

«أنا لن أبقى في هذا المكان للحظة أخرى بعد».

«لن تذهبي إلى أي مكان» قال بصوت كالزئير وقطع عليها الطريق بخطوتين اثنتين مسكاً بها بذراعيه الصلبتين وممانعاً إياها من التحرك وإدارها لمواجهته. بجسده الطويل الصلب الذي يفوقها بالطول كان يرسل

كل شرارات الجاذبية التي أخذت تطرق أعصابها ومشاعرها، وامتزج كل شيء، مشاعر الغضب المتبادلة بينهما، مشاعر العداء الازدراء بالإضافة إلى تبادلها للشتائم والإهانات مع إداركها العميق لشيء آخر مختلف تماماً عن كل هذا وأنتج ذلك قشعريرة عميقة ارتعشت لها بكل رفض ونفور.

«أبعد يداك عني» أمرته بقوة:

«لا أتحمل لمس يدك لي».

«لا بأس، اليس هذا بالغ السوء؟» قال وشدها إليه أكثر وشعرت بنار الغضب التي كانت تتأجج داخله: «لأنه حان وقت العقاب الآن نانالي، وسأقوم أنا بدوري الكامل بهذا الشأن».

هبط فمه على شفاهها بقسوة ووحشية مجتاحاً نفورها وبرودها وحين تعمقت قبلته شعرت بمشاعرها تتحرك بإدراك لحظي للأغواء القديم الذي كان مرة يوحدتهما كشخص واحد بروح واحدة وجسد واحد.

وحين انتهت القبلة هذه كان وجهها أبيضاً كوجوه الموتى وكانت ترتعش وازلافرها منفرزة بطرفي المكتب الذي كانت تتمسك به طوال فترة هجومه عليها.

«نانالي...»

مهما كان ما رآه روبرت داخل عيونها وهي تنحني على المكتب وترتعش حتى أخمص قدميها وعيونها

متوسعة وثابتة فقد اذهله ذلك وصعقه دون شك لان نبرة
صوته وهو ينطق اسمها كانت غير ثابتة وغريبة تماماً
على مسمعيها.

إبتلعت ريقها الجاف وهي تشد نفسها من أعناق
العمامة السوداء التي اغرقتها بها قبلته المعاقبة تلك.

- ٧ -

لن يدرك روبرت ذلك. لكن غرائزها ومشاعرها كلها
قد تجمدت وماتت من جراء استغلاله البشع والسيء لها
قبل ثماني سنوات، وكانت تلك المرة الاولى والاخيرة
التي قبلت بها بحياتها حتى الآن.

«بحق السماء» تمتم وعيونها الخضراء ترمش للحظة:
«لا تنظري إلي بهذه الطريقة ناتالي» قال وابتعد عنها
وجسده متصلب من الغضب:

«ماذا اعتقدت أنني كنت سأفعل لك؟» عاد ليحدث

بها وتابع:

«سأغضبك؟»

كلماته أعادت لها حواسها وإدراكها ورفعت أصابعها
المتشنجة عن المكتب إلى فمها المتورم:
«يجب أن أغادر هذا المكان - لا أستطيع البقاء هنا
مع...»

«كلا» هتف ومد يديه كأنه يريد أن يمسك بها ثانية
الا إنه عاد وأنزلهما بغضب لرؤيته لتصلبها وتحولها إلى
تمثال من الحجر وهي تحدق به بكل نقور العالم
واحتقاره للهوة التي حدثت منذ لحظات بينهما.
قال ثم نظر الى وجهها:

«... اذا كان هذا يساعد، فأنا أعتذر لـ... لفقدان
السيطرة الذي حصل. هذا لن يحدث ثانية».
مع أنها لم تكن تنظر إلى وجهه الا أنها أحست بعمق
وقوة كلماته:

«سبب مجيئي إلى هنا» تابع بهدوء أكبر:
«كان لاختبرك ان العشاء جاهز. لقد حضرته السيدة
فالو وهي تضعه على المائدة».
«أريد الصعود إلى غرفتي» قالت بلا نبرة أو احساس.
فهز رأسه وخرج فتبعته.

سار بصمت نحو السلالم المؤدية الى الطابق العلوي
والذي تعرفه ناتالي جيداً. لطالما كانت تقفز على هذه
الدرجات وهي طفلة وكانت تشعر بالفخر والكبرياء
لوجودها بهذا القصر الرائع الجمال.

ومرت سنوات قبل أن تدرك أن الكبرياء هذا لم يكن
من حقها بل من حق آل ستابلتون أصحاب هذا القصر
وأصحاب نصف قرية أشلي تقريباً. وأنها هي مجرد ابنة
أخ مدبرة المنزل اليتيمة والتي يعمل والدها كحارس
ليلي على أراضي آل ستابلتون وممتلكاتهم.

هذا مضحك، وجدت نفسها تفكر وروبرت يفتح لها
باب غرفة الضيوف ويسير بخفة امامها. لكن بالرغم من
كل حيها الأعمى والكبير للإن لا انها لم تفكر للحظة
في أن تكون سيدة هذا القصر بيوم من الأيام. ولا حتى
بأكثر أحلامها الخيالية المراهقة. لقد آمنت بعمى أن
روبرت لها لكن بدون أن تفكر للحظة بكل الثراء والغنى
المرتبط به.

«آمل أن يناسبك هذا» تتمم قاطعاً عليها أفكارها.
لقد انسحب الآن وإختفى خلف قناع الادب البارد
وسيطرته على مشاعره كاملة.

«هناك دورة مياه خاصة عبر ذلك الباب» تابع مشيراً
إلى الباب الصغير الذي تذكره:
«اذا نزلت بعد نصف ساعة فأنا واثق أن السيدة فالو
ستكون أكثر من مسرورة. فالعشاء جاهز منذ وقت قصير
و...» صمت قليلاً ثم تابع بشيرة غامضة:

«كارولين بوشيه ستكون موجودة على العشاء».
بقوله هذا إستدار وغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه

يهودى.

رمت بنفسها على السرير وهي لا تزال ترتعش مما حدث لها في الأسفل منذ لحظات وتمنت لو أنها اكتفت بطلب ساندويش لها إلى هنا. لكن هذا سيظهر له ضعفها وهذا آخر ما تريد إظهاره له. في الأسفل وقد وصلت كارولين بوشيه الآن فقد سمعت ناتالي صوت جرس الباب الرئيسي يدق، فستلعب كارولين دور الملكة. وحقاً لا حق لناتالي بإنكار انتصار كارولين عليها.

أغمضت ناتالي عيونها وغرقت بصفحات كتاب حياتها التي مرت عليها قبل ثماني سنوات بالضبط. وحين كانت هي في السابعة عشرة من العمر فقط.

«كلا لن أفعل ذلك! لن أفعل ذلك! لا اعرف كيف بإمكانك مجرد التفكير بذلك» صاحت فتاة السابعة عشر ربيعاً بحدة والدموع تنحدر بغزارة على وجهها الفتي.
«ستفعلين هذا ناتالي!» ردت المرأة الأخرى بحدة:
«ستخلصين من الجنين هذا! ستفعلين والا فإني لا أريد أن أراك ثانية ابداً...»

«عمتي هذا مستحيل! إنه طفلي وطفل روبرت هو لن يسمح بذلك...» تعالت الصرخات الحادة وازداد نهر الدموع:

«لن يسمح بذلك ابداً...»

«روبرت لا يحبك أنتها الممتوحة! هو فقط قد أخذ ما قدمته أنت له على طبق من الفضة وبكل طيبة خاطراً هو لا يحبك ولا يكرث لأمركا إنه كغيره من الرجال، إنه بشر وأنت رميت بنفسك بين احضانه وتحت أقدامه طوال الصيف...»

الأم الهائل اجتاحت قلب المراهقة الشابة ولم تصدق حينها كلمة واحدة مما كانت عمته تقولها لها. كانت في السابعة عشر من العمر وغارقة بالحب حتى اذنبها وكانت مذعورة وخائفة. كلمات الطبيب بعد فحصه لها هي التي أجبرتها على التصديق بأنها تحمل جنين حبها داخل احشاءها. وحينها، حينها فقط صدقت كل كلمة كل كلمة قاسية قاتلة مشينة كانت تقولها عمته لها.

بذلك الصيف. بالذات عاد روبرت ستابلتون من جامعته في المدينة ليجد ناتالي المتفتحة بحرارة وانوثة على البلوغ والنضوج بعد سنوات الطفولة الطويلة. كانت في السابعة عشر من العمر وعاشقة للحياة وعشقها هذا كان يظهر ببريق عيونها الخضراء الواسعة حين أتى روبرت ليقتش عنها بذلك الصيف.

كان قد أنهى سنته الأخيرة بالجامعة بعد غيابه لمدة ثلاث سنوات كاملة في المدينة كانت عائلته تزوره خلالها وتقضي معه الصيف في مارابيا حيث تقضي

روبرت قد تخرج الآن وكان نافذ الصبر لاستلام المركز الذي كان ينتظاره دوماً إلى جانب والده بإدارة شركاتهم العائلة والممتدة بكل أنحاء لندن. آل ستابلتون العائلة الاولى والاكثر ثراءً في آشلي وضواحيها بأكملها وأصحاب الأراضي الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس كانوا أقصى صفوة المنطقة بأكملها. لكن، وبالرغم من الاختلاف الهائل بين مستواهما الاجتماعي إلا أن روبرت ستابلتون كان دوماً جزءاً بالغ الأهمية من حياة ناتالي شالسي.

روبرت هو من علمها ركوب الخيل وامتطائه بطريقة تهدأ من حركة الحصان وتجعله يتهادى بها عبر براري آشلي وسهولها وشعرها يتطاير في الهواء وسعادة العالم تشرق بعيونها لاحتساسها بالحرية. الحرية الكاملة من شروط وتضايقات عمتها المنتقدة الصلبة ومن تجاهل والدها لوجودها واهتمامه بشؤونه ونسائه بعد موت زوجته والددة ناتالي بعد ولادتها بوقت قصير. كان روبرت دائماً يخبرها أنها طفلة ولدت بالوقت الخاطئ. وفي المكان الخاطئ. فهي كان عليها أن تكون طفلة غجرية وليست ابنة حارس متقاعد واناني تربيها عمة قاسية وتقليدية ومتسلطة.

روبرت كان هو من يظهر لمساعدتها كلما كانت في

ورطة. روبرت هو الذي أنقذها من الموت حين ذهبت إلى حلبة الثيران الهائجة وأرادت لعب دور الميثادور. روبرت هو الذي احتضنها بحب وعطف حين مات والدها بنوبة قلبية مفاجئة وغير متوقعة.

وروبرت هو الذي كان يمنع عنها غضب وحنق عمتها حين كانت هي تندفع بالمغامرات الخطيرة فقط لتشعر أنها حية - فعلاً حية.

وروبرت نفسه هو الذي انتزعها قبل ذلك الصيف بسنتين وهي تركل وتشتتم من داخل سيارة طوني كامبل حيث كانت بإرتباك مراقبتها الاولى قررت أن تختبر للمرة الاولى ما تردده صديقاتها دوماً امامها حول القبلية - القبلية العميقة على الفم.

«الا يكفي أن الجميع هنا يعتقدون أنك متمردة طائشة وبلا سيطرة التريدينهم أن يعتقدونك رخيصة أيضاً ولاهية؟» صرخ بها وهو يسحبها بشدة ويجرها جراً نحو المنزل.

«كنا فقط نتبادل القيل بحق السماء وروبرت».

قالت بدفاع وهي تشعر بالرعب الهائل لأن روبرت بالذات هو الذي وجدها بهذا الوضع المربك:

«على الفتاة تعلم بعض الاشياء روبرت».

حذق بها بحنق والرجولة تنبع من كل شيء به وحوله.

القمر كان يدرأ تلك الليلة وكان يعكس اشعته الفضية على شعره الأسود الناعم وعيونه تنظران اليها بثوبها الأبيض القطني البسيط الذي كان يظهر تفاصيل جسدها الغض النامي.

«فقط انظري الى نفسك نانا» قال:

«مجرد التقبيل لا يحتاج لفتح ازوار ثوبك العلوية لا؟»

بارتباك مروع نظرت نانالي إلى ثوبها ووجدت أن ما يقوله كان صحيحاً.

«أنت حتى لا ترتدين صدرية» قال بحدة.

«الفتيات لا يرتدينها بهذه الأيام» تمتعت بدفاع وهي تصحح من وضع ثوبها بكل إرتباك وخجل.

«نوع معين من الفتيات فقط لا يفعل» قال بحدة ثم أثار ذهولها حين امسك بها بقوة والصقها به وقال بغضب:

«إذا اردت دروساً لعينة بالتقبيل نانالي، فكان عليك اللجوء إلي أنا - فبعد كل شيء أنا من علمك كل ما تعرفينه اليس كذلك؟»

شعرت بقوة بوجوده وهي ترفع اليه عيونها بعصبية لتلتقي ببريق عينيه الرمادي الغاضب.

همست باحتجاج صغير مخشوق الانفاس:

«لا تفعل روبرت».

الا أن فمه الذي اطبق عليها اسكنها عن المزيد من الاعتراض واشعرها للمرة الاولى بما يعنيه التقبيل حقاً. ولا أي شيء بمغامراتها العاطفية الصغيرة بسنوات عمرها الخمسة عشر حضرها لما أثارة داخلها عناق روبرت لها وتقيله اياها بتلك الطريقة التي اشعلت كل احساسها ومشاعرها بعمق وقوة اذهلها هي ذاتها بكل براءتها وطيشها.

ثم ابعدها عنه بعد لحظات بدت لها كالعمر واخذ يحدق بها بنظرات مريرة وقال:

«ابتعدي عن الصبيان نانا» امرها بشدة:

«اتسمعين؟ ابتعدي تماماً عن الصبيان أفهمين؟»

ثم رحل تاركاً إياها كالمشلولة المخدرة وحين استعادت وعيها وارادت ان تناديه كان هو قد ابتعد داخل حديقة القصر ومنه إلى داخله.

فاستدارت هي واتجهت إلى منزلها الصغير الواقع في طرف الحديقة وصورة وجهه لا تزال امام عيونها.

عاد روبرت إلى جامعته صباح اليوم التالي - ولم تقع عين نانالي عليه الا بعد مرور سنتين ونصف. لكن حين عاد هو إلى أشلي بذلك الصيف وجد امامه نانالي جديدة.

وجد فتاة قد تخفلت مرحلة الطفولة واصبحت على اعتاب ان تصبح امرأة، خرجت من شرققة الطفولة

البريئة إلى الجمال الانثوي الساحر والطاغي والذي
صعقه بشدة.

وجدها في الغابة قرب بحيرة الأوز جالسة على
شرشف ملون وترسم المنظر الرائع أمامها. موهبتها
بالرسم كانت ظاهرة منذ الصغر وروبرت نفسه هو من
شجعها على تنميتها والاهتمام بها. كانت ترتدي تنورة
مزهرة قصيرة ويلوزة بيضاء بلا اكمام وذراعيها وساقها
كانا قد تلونا بلون الشمس الرائع.

لن تعرف كم ظل يراقبها من مكانه قرب شجرة
خلفها لكنها شعرت فجأة انها مراقبة فاستدارت لتجده
متكئاً يظهره على الشجرة القريبة ويديه في جيوب بنطاله
الأبيض وقميصه الأزرق الحريري يعمق لون عينيه
ويزيدهما لمعاناً.

ابتعد عن الشجرة مقترباً منها وقال:

«مرحباً».

«اهلاً» اجابت وهي تبسم له بخجل:

«لقد سمعت انك قد عدت إلى القصر».

صمت متوتر سيطر بينهما واخذ يرمق لوحاتها الجميلة
وقال:

«من الواضح أن موهبتك بالرسم قد نضجت
وكبرت».

«اجل» قالت بابتسام والفرح يضيء نظراتها الخضراء

المشعة. لكن شيئاً ما في نظراته جعلها تلتقط انفاسها
وتفتش عن شيء خفيف تتحدث عنه

«تهانينا» قالت له بركة:

«لقد تخرجت واعتقد ان العلامات متفوقة كالمادة».

طأطأ رأسه الجذاب وقال:

«يحق لي تصنيف نفسي كرجل الآن كما اظن» النيرة
الهازئة كانت تغلف كلماته وحديثه ناتالي بنظرة تعاطف
متفهمة. فقد تكون ناتالي قد واجهت الصعوبات بتربية
عمتها لها وفق شروط وانظمة شديدة تناقض طبيعتها
المتحررة المندفعة لكن روبرت وبالرغم من كل ثرائه
وامتيازاته فقد كان لروبرت مشاكله الخاصة بدوره
بمحاولاته للوصول الى الدرجات العالية المستحيلة التي
يريد والده منه الوصول اليها.

«صيف كامل في المنزل...» تهجد وهو يتمطى
ويتمدد على الشرفف قريباً ورأسه يتكئ على ذراعه:

«ثم سأرحل بعد ذلك إلى كندا حيث سأبقى لمدة
عشرة أشهر بالتمرن عند شركة وارنر قبل أن أعود
لاستلام شركات والدي».

نظرت ناتالي بعيداً عنه وقد غلف بعض الضباب
عيونها الجميلة:

«علينا أن نكبر كما اظن» تمتعت.

«اجل» وافقها روبرت وهو يدرس بروفيها:

«لكنني اعتقد أنك قد بدأت بذلك فعلاً» رفع اصبعه
واخذ يتحسس وجنتها وتابع:
«هل كنت جيدة أثناء فترة غيابي؟»
سؤاله جلب الابتسامة إلى عيونها:
«آه، أجل» اعترفت:

«على أفضل ما أمكنتني على كل حال. كنت أكثر من
مشغولة طوال هاتين السنتين للإنتهاء من الدراسة
بالمعهد القريب وقد تدبرت لي عمتي منذ أربعة أشهر -
أنا أساعد السيدة بوشيه ثلاثة أيام في الأسبوع».
«آل بوشيه؟» قال بدهشة وهو يجلس فجأة:
«لا يجب عليك أن تعملي هناك، نانالي. فبعكس
عمتك أنت لم تخلقي لخدمة الآخرين».

لمحة الاحترار التي غلفت كلماته بتحدثه عن عمتها
اثار حفيظتها وأشعل برق عينيها وقالت بكبرياء:
«أنا لست أفضل أو أسوأ من عمتي سابرين روبرت!
لا أشعر بالعار والخجل بترتيبي للأسرة وغسلي للبلاد
لكسب عيشي».

«حسناً، اذا كان عليك فعل ذلك لكسب العيش
فالأفضل لك أن تعملي في القصر عندنا! وليس عند آل
بوشيه!»

«آه، اليس هذا لطفاً كبيراً منك؟» قالت بغضب وهي
تنهض لتجتمع أغراضها لترحل وشلال شعرها الذهبي

ينسدل حول وجهها المحتقن:

«بكلمات أخرى لا مشكلة عندك بمسحي لبلاط
قصركم لكن ليس بلاط أي أحد آخر».
فهي كانت تساعد عمتها بين الحين والآخر. كان
عليها هذا - بوصفها قريبة مديرة المنزل.
«أنا لم أقصد ذلك» قال بحدة ممسكاً برسغها ليمتصها
من النهوض:

«قصدت... اللعنة، نانالي».

شدها وسقطاً معاً على الأرض وحذق بها وهو يتابع:
«لا شك أن كارولين بوشيه تتفاخر بوجودك عندها
للخدمة وتنتشر ذلك على الجميع».

«استطيع تدبير أمر كارولين» قالت مبعدة نظرها عنه
لأن كبريائها كان يتألم لادراكها أن كارولين بوشيه تنفوق
عليها بمراتب اجتماعية كثيرة هي نفسها لا تعترف بها.
وكانت كارولين تشعر بالغيرة القائلة من العلاقة
الخاصة التي تربط بين روبرت وبين نانالي ووجود
نانالي بخدمتها لثلاث أيام في الأسبوع كان كالجحيم
الكامل لنانالي، فكارولين لم تكن تترك أية فرصة
صغيرة تمر دون أن تذكر نانالي بوضاعة مركزها
الاجتماعي والفروقات الكبيرة بين مستواهما.

خفت قبضته على رسغها الا انها لم تحاول الابتعاد
وظلت تحذق به عبر رموشها بينما غرق هو بأفكاره

الخاصة.

«لا زلت لا ترتدين الصدرية» علق فجأة مما جعل وجهها يحمر خجلاً وهي تنظر إليه.
«الجو - الجو حار جداً» قالت بدفاع واللون يزداد على وجنتيها وهي ترى نظراته المركزة على صدرها البض.
«جميل» تمتع بعمق:

«جميل...» ورفع عيونه لتتشابك مع عيونها:
«لم أستطيع طوال الستين العاضيتين من نزع جمال وجهك وصدرك من خيالي ناتالي» قال بصوت مبحوح:
«ليس منذ أن قبلتك تلك الليلة تحت ضوء القمر».
«لا تفعل روبرت...» قالت وارادت الابتعاد عنه الا أن شيئاً ما أبقاها مكانها. رفع يده وأخذ يلامس صدرها من فوق البلوزة القطنية الرقيقة وحين شعر بارتعاشاتها المستجيبة وسمع شهيقها الصغيرة ورأى فمها الشهي ينشق بإغراء رفع إليها عيونه اللامعة وهمس:
«صدر جميل، شفاء جميلة. لم أستطع نسيان تلك القبلية ايضاً». تمتع بصوت هامس:
«وقد انتظرت سنتين لعينيتين كاملتين لمعاودة تقبيلك مجدداً.

قربها منه وبدون مقاومة التصقت هي به وغرقت بدفه قبلته وعناقته وهناك تحت ظلال الأشجار قرب

مياه البحيرة المتلألأة وعلى صوت العصافير المغردة حول روبرت ناتالي العذراء إلى امرأة حرة طليقة وسعيدة.
«أنا مغرم بك ناتالي» همس بحرارة حين أدرك حقيقة ما فعلاه وجعلها هذا تقائله بضعف:
«أعتقد أنني كنت دوماً مغرمًا بك منذ لحظة ولادتك».

وغرقت هي بحرارة وصدق اعترافه. ولم تسأل مرة عن مدى صدقه وأمانته بما اعترف به، فهي لم تعتقد ولا لمرة واحدة فقط أن بإمكان روبرت بإستثناء كل الناس غيره أن يكذب عليها هي. وطوال الصيف كانا لا يفترقان عن بعضهما البعض كلما منحت لهما الظروف وكانا يسترقان لحظات السعادة والمتعة هذه بالتقاءهما بسرية في الغابة او في أي مكان آخر للاستمتاع بحبهما دون أن يشاركهما أي احد آخر بذلك.
بنهاية ذلك الصيف كادت ناتالي أن تنهار لشدة حزنها من اضطرابه للسفر إلى كندا لمدة عشرة اشهر كاملة.

«هذا للافضل يا حبيبتني» قال لها وهو يضمها اليه بقوة وكأنه يتألم لمجرد ذكره لسفره:
«يجب أن أثبت نفسي لأبي كرجل يعتمد عليه وبشخصية قوية قبل أن أبداً بإطلاعه على طلباتي. وأنت

لا تزالين صغيرة السن... لكن حين أعود، اعذك اننا سنتزوج على الفور سنتزوج يا حبيبتي حتى ولو اضطررتي ذلك لمعاداة العالم بأسره». قال بشدة وعمق وتابع:

«لا يمكن التفريق بيننا ناتالي - فأنت وأنا أصبحنا جسداً واحد وروحاً واحدة».

ذهب لعشرة أشهر ولم تراه لثمانية وتسعون شهراً.

وبعد رحيله بشهرين أدركت ناتالي انها تحمل طفله بأحشائها. لجأت إلى عائلته واطلعتهم على ما حدث طالبة منهم عنوانه.

كلمات والدته الرنانة ستظل محفورة بأعماق قلبها إلى الأبد.

«لا أحد يستطيع إيتزاز هذه العائلة واجبارها على الزواج» قالت الوالدة بحدة وزوجها يحدق بابتة الحارس باحتقار وقرف:

«أنت تقولين أنه طفل روبرت لكن روبرت أنكر ذلك. في الحقيقة روبرت يتساءل عن إمكانية معرفتك لهوية الجنين هذا بالضبط، بما أن حقيقة انك متوفرة لكل من يطلبك شيء أكثر من ظاهر وأكيد»

تابع والده تمزيقها بإعطائها شيك بمبلغ من المال رماه لها وهو يقول وعيونه تمكس ازدوائه واحتقاره:

«تخلصي من جنينك اللقيط هذا. الاجهاض ليس بالأمر الصعب بهذه الأيام. وقد أعطيتك المبلغ الأكثر

من كافي لقيامك بذلك! لا أريد أن يرتبط إسم ابني بأية فضيحة أنت وحدك مسؤولة عنها! ابني سيتزوج من كارولين بوشيه الفتاة المحترمة الشريفة سليلة الحسب والنسب. لقد خططت لهذا منذ سنوات وإما أن تتخلصي من ذلك الطفل وإما أرمي بك وبعمتك خارج آشلي كلها - وسأؤكد بنفسي الا تحصلوا على عمل آخر في أي مكان آخر بالجوار نظراً للمعلومات التي سأعطيكها للجميع عنك! أفهمت ذلك ايها المتسلقة الرخيصة؟ لا أريد أن أراك هنا مجدداً. أغربي، أغربي عن وجهي وابتعدي مع فتيات من أمثالك».

عافرت ناتالي القصر والدموع والاحتقار والألم والغضب واليأس يختلطون داخلها ويمنعها من الرؤية الواضحة. وهي تصرخ بهستيريا.

استقبلتها عمتها بنفس الشيء وقالت:

«عليك أن تفعل ما يطلبانه آل ستابلتون منك ناتالي، لقد مضى على عملي بهذا القصر عشرون عاماً ناتالي عشرون عاماً! أنا أكثر من مسنة للتفتيش عن عمل آخر يمكن آخر! وأنا لا أريد ذلك أصلاً! إذهبي - إرحلي - تخلصي من الجنين اللعين وبحق السماء بحق السماء لا تعودي. إلى هنا ثانية! لقد غسلتني بالعار بما فيه الكفاية - بأكثر من الكفاية! لا تعودي إلى هنا أبداً...»

وهذا ما حدث وما كان ليستمع بالحدوث لولا ان

قرأت ذلك الاعلان قبل ساعات ام قبل سنوات؟

هزت رأسها بعنف مبعدة ذكرى التعاسة هذه من عقلها وفتحت عيونها مجدداً وهي تتساءل هل القدر هو الذي جعلها توافق على العودة إلى هنا؟ هل مصيرها هو الذي اعادها مجدداً إلى أشلي؟ صوت طرقات على باب الغرفة سرقها من أفكارها وذكراياتها الحزينة وسمعت صوتاً نساءياً يقول:

«آنسة شالسي السيد ستابلتون والأنسة بوشيه بانتظارك».

«أجل سأنزل بعد عشر دقائق» ردت ناتالي وهي تمسح وجهها بيديها وتزيل آثار الدموع عنها ثم دخلت غرفة الحمام حيث ادارت المياه الدافئة واغتسلت بسرعة مبعدة عنها كل الماضي ومستعيدة سيطرتها وتعقلها وتركيزها على المستقبل الذي ازدادت خشيتها عليه...

سرحت شعرها جيداً وتركته يشد على أكتافها ثم ارتدت الثوب الذهبي الرائع المصنوع من خيوط الحرير والمطرز بخيوط الذهب. الثوب كان ضيقاً على الصدر والخصر وطويل وله شق طويل من طرفه يظهر ساقها الجميلة الصب.

أضافت بعض الماكياج لوجهها الجذاب وابتسمت لنفسها بالمرآة فمهما كانت كارولين متأنقة ومتشوقة هذا المساء فهي لن تظهر بمظهر أجمل مما تبدو عليه ناتالي

الآن. فلطالما كانت العيون تنجبه إلى وجهها البرونزي وعيونها الخضراء الواسعة وليس إلى شعر كارولين الأصفر وعيونها الزرقاء الصغيرة ووجهها ذو الملامح الطفولية.

اتجهت نحو الباب ورفعت ذقنها بكبرياء ونزلت السلالم بخطواتها الأنيقة الواثقة.

روبرت وكارولين كانا بانتظارها في قاعة الجلوس. روبرت ببدة رسمية نبيلة وقميصاً أخضر اللون وانتهت ناتالي للمرة الأولى أنه صار يهتم بأناقته بطريقة كانت تزيد من جاذبيته وسحره الآن وقد اكتملت نصحه واكتملت رجوليته. فهو يبلغ الواحد والثلاثين من العمر الآن فكرت بألم. هزت رأسها ورفعت نظرها عنه إلى الفتاة المتأنقة التي كانت تجلس قربه وتحديق بها بدهشة.

كانت تزال نحيلة ورشيقة وشعرها الأصفر الذهبي كان مرفوعاً بأناقة أعلى رأسها. ثوبها كالعادة كان فاخراً وثميناً يناسب بلونه الفيروزي ملامح وألوان كارولين.

نظرة روبرت المخترقة كانت تراقبها وهي تقترب منهم برشاقة، أخذاً بعين الاعتبار شعرها العسلي الكثيف الناعم المشدل بأنوثة على أكتافها وحول وجهها الساحر الجذاب التقاطيع ومتنبهاً لجسدها المتناسق يتقاطعه وتضاريسه الأنثوية الواضحة تحت الثوب الضيق.

العيون الرمادية ارتفعت إلى عيونها وأخذ قلبها ينتفض بقوة للنظرة التي برقت داخل عيونته للحظة قبل أن يستعيد مجدداً قناع البرودة والصلابة.

ابتعدت نظرها عنه وقالت:

«مرحباً كارولين».

«أهلاً ناتالي» ردت الفتاة الأخرى بصوتها الصغير:

«لقد تغيرت كثيراً. كيف حال عمك الآن؟ لقد كنا

جميعنا بالغى القلق، المسكينة، مع أن روبرت كان رائعاً وبالغ اللطف معها، اليس كذلك حبيبي؟»

لم يجيبها روبرت ونهض ليحضر الشراب لناتالي.

فتابعت كارولين بتعمد:

«ولحسن الحظ فقد وجدنا السيدة فالو فوراً وهكذا

إفان مرض عمك لم يسبب الكثير من... عدم الملائمة في القصر هنا و...»

«كارولين من الأفضل التوجه إلى غرفة المائدة لأن

كل شيء أصبح جاهزاً» قال روبرت مقاطعاً أيامها بجفاف.

رمت كارولين بنظرة سريعة وقالت:

«آه أخيراً حان الموعد... لا أعرف روبرت. لربما

كان من الأفضل لو أنك حذرته من أن موعد العشاء سيأخر حتى هذا الوقت. أكاد أموت من الجوع».

«أعرف وأعتذر عن ذلك» قال بلياقة باردة وهو يقود

ناتالي إلى غرفة المائدة وكارولين تسير بجانبهما:

«كان علي الاتصال بك وإلغاء موعد العشاء هذا لكنني

بصراحة نسيت تماماً أنك ستحضرين إلى القصر للعشاء

كارولين وتذكرت ذلك فقط حين فتحت لك الباب»

«شكراً لك على صراحتك!» ردت الفتاة وادركت

ناتالي دون أن تنظر إليها أن اللون الأحمر قد غزا

وجنتيها وظلت صامتة لحين جلوسهم حول المائدة.

وحول المائدة أخذت كارولين كما توقعت ناتالي

تشغل روبرت بأحاديثها المشرقة حول أشياء لا معنى لها

وحول أشخاص وأسماء لا تعرف ناتالي عنها شيئاً.

ولهذا فقد تشاغلته الأخيرة بتناول الطعام وبالبقاء صامتة

شاكراً حفظها أن كارولين لا تتحدث عنها هي.

«أتريدين المزيد من العصير ناتالي؟» تفاجأت حين

وجه لها روبرت هذا السؤال ورفعت عيونها لتواجه

النظرة العميقة داخل عينيه.

«لا... شكراً» رفضت بأدب.

لكن هذا السؤال جذب انتباه كارولين إليها وانتظرت

ناتالي سيل الأسئلة الاستفزازية التي ستوجه لها.

«حسناً» بدأت كارولين بهدوء:

«لقد... لقد كان من الجيد رؤيتك ثانية نانا. هل

ستطول إقامتك هنا؟»

«لا أعتقد ذلك» ردت ناتالي بغموض متعمد مصممة

على عدم منح كارولين الاكتفاء بمعرفة أي شيء عن خططها وخطواتها المقبلة:

«لكننا وبدون شك سنشاهد بعضنا مجدداً قبل رحيلي». وإبستم لها بنظاها.

«هذا محتمل جداً» ردت كارولين بإبتسامة مشابهة:

«بما أنني وروبرت نقضي معظم أوقاتنا سوياً» قالت ورمت روبرت بإبتسامة جذابة متابعة:

«قد نخرج سوياً بسهولة ما... استطيع دائماً إيجاد شريك لك نانا».

اجل لكن من؟ الجنانتي أو السائق أو لربما رئيس الخدم؟ فكرت نانالي مدركة تماماً أن هذا هو ما يجول برأس كارولين وما توحى به نيرتها.

«لسم أقطع كل هذه المسافة لحضور السهرات والحفلات كارولين» اعلمتها نانالي ببرود:

«عمتي مريضة وسأقضي معظم وقتي أثناء إقامتي هنا معها».

«ثم ستعودين إلى حيائك المعتادة دون شك» مجدداً تلك التبرة المتمعدة بصوت كارولين التي تابعت:

«اتنما لسم تكوننا... مقربتين جداً من بعضكما البعض، اليس كذلك؟»

«مقربتين كفاية الآن لأفكر بإمكانية العودة للعيش هنا إذا رغبت عمتي بالبقاء في أشلي» سمعت نانالي نفسها

تقول هذا رداً على استفزاز كارولين لها.

وشعرت بالرضى لأن الدهشة ظهرت على الوجنتين الآخرين رغم أنها لم تكن تعني ما قالت حقاً. فمن رابع المستحيلات لها العودة للعيش هنا هي وجيمي، جيمي بالذات. فتابعت قائلة:

«لكن قد تتمكن من إقناعها بالعودة للعيش معي».

«أين؟» سألتها روبرت بحدّة.

نظرت إليه مدركة أنه لا يزال يجهل مكان إقامتها ولا نية لديها بالطبع بإطلاعها على ذلك.

«في واشنطن» أجابت فوراً مدركة أن البحث عنها هناك سيكون كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

«لقد عاشت عمك كل حياتها هنا في أشلي» قال مبعداً فكرتها بنبرة قاطعة:

«فقط الشخص المتوحش البلا جذور سيفكر بانتزاعها من هذا المكان وهي بهذا السن».

«أذن ماذا تقترح أن أفعل؟» تحدته ببرود:

«لست بلهاء روبرت، اعرف جيداً أن عمتي لن تتمكن من متابعة عملها كمديرة منزل بعد خروجها من المستشفى. فهذا أكثر من واضح وهي أصبحت في سن التقاعد الآن وكما اوضحت أنت ذلك مسبقاً» اضافت بصوت حريري:

«أنها مسؤوليتي وليست مسؤولية أي شخص آخر».

«أذن كما اقترحت منذ لحظات سيكون عليك المجيء للعيش هنا» قال بلهجة انتصار جعلت ناتالي تقطب جبينها بحيرة. لماذا يرغب هو نفسه بذلك؟
«ارتباطاتي الحالية قد تجعل هذا الامر... صعباً» قالت.

«هناك رجل ما؟» سألت كارولين بصوت معسول.
حدقت ناتالي بروبرت للحظة قبل أن تنظر إلى كارولين وتقول: «

«أليس هو موجوداً دوماً؟ لكنني ادير أعمالتي الخاصة الآن ولا أستطيع فعلاً إغلاق العمل او نقله الى هنا».

«انت - تديرين عملك الخاص؟» سألت كارولين بعدم تصديق كامل وابتمت ناتالي لأنها نجحت اخيراً بالتأثير على كارولين.
«أجل» ردت بكبرياء:

«لكنه ليس من النوع الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر بكل سهولة. إنه محل لبيع الألبسة الجاهزة وقد افتتحت به مؤخراً فرعاً للتصميم والخياطة والعرض - زبائني يعتمدون علي شخصياً. ولهذا فعلي التواجد حيث يكونون، اذا فهمت قصدي».

«آه» علقت كارولين وقد بدت عليها الخيبة:
«انقصدين انك تملكين محلاً لبيع الألبسة الجاهزة؟»
«الاهم هو قسم التصميم فانا أنتج الآن ماركة معروفة

من أثواب النساء؟»

«حقاً؟» سألت كارولين بعدم تصديق.

«أجل - ماركة برنس هي من إنتاجي الخاص».

«برنس للألبسة النسائية من إنتاجك؟» قالت كارولين بعد لحظات ونظرت بحسد الى ثوب ناتالي وقالت:

«وهل هذا برنس؟»

«كلا إنه مصمم لي أنا شخصياً فقط» قالت ورفعت نظرها إلى روبرت الذي بدا عليه التفكير العميق وثابت:

«استأذن الآن... علي الخلود للنوم، لقد كان يومي طويلاً ومرهقاً».

«بالطبع» قال ونهض عن الطاولة بأدب.

«تصبحون على خير» قالت ببرود.

«تصبحين علي خير» ردا ببرود مماثل وهما يحدقان بها بتفكير.

غادرت ناتالي الغرفة واخذت نفساً عميقاً وهي تعير الصلاة ثم إتجهت نحو السلالم حيث سمعت صوت روبرت ينادي اسمها بنعومة وهو يغلق باب غرفة المائدة خلفه.

استدارت لتنظر اليه وتعابيرها مستفسرة ومرهقة.

«لا تزال معي» قال بصوت رقيق.

قطبت محاولة أن تفهم معنى كلماته.

«برنس» قال بإشراق وتوسعت عيونها لإدراكها معنى كلامه.

«لماذا اخترت إسمه بالذات من بين كل الأسماء الأخرى ناتالي؟» سألتها وهو يقترب ليوقف قريباً:

«هل يعني هذا أنك كنت تفتقدينا وأنت مشغولة بيناه عملك؟»

إستدارت مبتعدة عنه وقالت بهدوء:

«إذا قصدت بسؤالك هذا إذا كنت أفقد برنس فإن الجواب هو أجل. لقد كان هو وحده الصديق الحقيقي لي في هذا المكان. بالطبع أنا أتذكره.»

تابعت خطواتها دون أن تنظر إليه لكنها شعرت بعيونه المتقلصة تلهب ظهرها وندمت، ندمت لأنها سمحت لاستغزات كارولين بالنيل منها وجعلها تبوح بشؤون عملها وحياتها وها هو الآن يرغب بمعرفة المزيد.

إرتعت بغضب من نفسها لتلك الزلة وأغلقت عليها باب غرفتها. هي لم تأتي إلى هنا لتباهى ولتظهر لهم جميعاً نجاحها بحياتها بالرغم من تعارضهم جميعاً لتحيطيها!!

ليلة ناتالي بتلك الليلة كان سلسلة من الكوابيس وأحلام الذكريات والمشاهد الماضية التي كانت تجعلها تستيقظ من النوم وهي تشعر بالألم بقلبها المطعون. وهكذا مع أول ظهور لخبوط الشمس إستيقظت

وصعدت إلى تراس القصر للتمتع بجمال المنظر وسحره من هناك.

لم تنزل إلى الطابق السفلي الا بعد أن تأكدت من ذهاب روبرت إلى عمله وذلك بعد أن شاهدت سيارته تبعد خارج بوابة القصر.

أبلغتها مديرة المنزل بذهابه وأبلغتها رسالته القائلة بأن السائق الخاص سيوصلها إلى المستشفى. تناولت ناتالي فطورها ثم إرتدت بنظراً بنياً وقميصاً جريدياً مشجراً وسرحت شعرها جيداً ثم ذهبت إلى المستشفى. قضت النهار بأكملها إلى جانب سرير عمته واستراحت حين شعرت بتحسن حالتها عما كانته البارحة ويطء ويأذكك كبير من الطرفين بدأت ناتالي وعمتها بإرساء قواعد علاقة جديدة بينهما. لم تذكر ناتالي لعمتها موضوع جيمي ولم تسأل سايرين عن عملية الإجهاض التي أرادت وعائلة ستاهلثون منها أن تجريها. قبل سنوات ثمانية.

كانت تحدث عمتها عن عملها حين ظهر روبرت داخل الغرفة. هي لم تسمعه يصل فخطواته كانت كالعادة بلا صوت. وعمتها هي التي رآته أولاً وابتسمت له بإشراق وهي تتمتع:

«روبرت! كم تسرني رؤيتك».

«تبدين بحالة أفضل اليوم سايرين» قال وهو يقترب

من السرير ليداعب الخد العجوز. ويقلبه. وشعرت نانالي أن وجوده يضيف على جو الغرفة القوة والسيطرة. وسمعت يثابح يمرح:

«أنساءل ما الذي سبب هذا التحول؟».

ظهرت الدموع داخل عيون سابرين وقالت بركة:

«آه، روبرت... شكراً لك على إيجادك لها...»

وتحركات اليد الرقيقة لتمسك بيد نانالي ولتشد عليها بحتان وتابعت:

«لا تعرف كم تعني لي رؤيتي لنانا مجدداً».

«أعتقد أنني أعرف سابرين» قال بهدوء وعيونه تتشابكان بغموض مع نظرة نانالي.

«كيان كل هذا بسببي أنا - خطي أنا كما تعرف» تابعت عماتها ببيكاء:

«أنا من أرسلها بعيداً - وهي بعد طفلة، طفلة يصعب السيطرة عليها. لكن لم يكن يحق لي أن أفعل ذلك!» وجهت عيونها الباكية إلى نانالي متابعه بحزن:

«لم يكن يحق لي ذلك نانا، وقد قضيت كل هذه السنوات أندم على ذلك».

«لا ترهقي نفسك عمتي» قالت نانالي بحب عميق وقد تأثرت من مدى الألم والندم الذي تشعر به عماتها:

«لم يعد هذا كله يهم الآن. الماضي هو الماضي، ومن الأفضل نسيانه الآن إلا تعتقدين ذلك؟» قالت

نانالي مغلفة الموضوع مخافة أن تنفوه عماتها بشيء ما أمام روبرت. فأخبر ما تريده نانالي هو أن يعرف روبرت بأمر ابنته.

«آه، أجل» قالت عماتها بتنهيد وهي توشك على النوم:

«أفضل نسيان كل الماضي لو أستطيع».

استغرقت سابرين بالنوم وظل روبرت ونانالي يحدقان بها لبعض الوقت قبل أن يغادرا الغرفة.

أمسك روبرت بيدها للحظة فور مغادرتهمما للغرفة وقال:

«هل هي من أرسلك بعيداً؟»

ترددت بالإجابة ثم قالت:

«أجل» دون أن تكشف هوية من أجبرها على هذا الرحيل.

«لماذا؟» سألتها وعيونه مدفونة داخل عيونها:

«هل عرفت بشأننا نانا؟ هل كان ذلك هو السبب؟»

ارتعشت بشدة لمشاداته لها بالإسم الذي كان كالموسيقى على آذانها كما نطقته شفاهه. عضت على شفتها السفلى بقوة متسائلة عما دفعه ليبدو مذهولاً لفكرة سبب طردها هذه في حين أن عليه الإدراك أنه هو نفسه من دفعها لذلك.

«كما قلت لعمتي منذ لحظات...» قالت وقد

إستعادت قناع البرود والصلابة:

«الماضي هو الماضي ومن الأفضل نسيانه».

ظل يحدق بها للحظات مدركاً أن كلماتها تخفي الكثير من الأسرار والأشياء التي يعرف هو شيئاً عنها. لكن بالنسبة لها هي، لم يكن هناك العديد من هذه الأسرار. إذا قرر روبرت نسيان كل الذكريات ورميها خلف ظهره فهذا هو شأنه لكن إن كان بقسوة القلب هذه ليتمكن من نسيان الماضي فعلاً فلا فائدة إذن من محاولة التحدث عن ذلك الماضي إستعادت صلابتها وسارت امامه.

راقبها مخترقاً كل خطوة تخطوها مدركاً أنها قد اختبأت خلف قناعها الصلب. في الماضي كانت كل مشاعر ناتالي وأفكارها تظهر على وجهها وداخل عيونها لكن الآن صار من الصعب جداً عليه إختراق نظرتها لمعرفة ما يدور داخل عقلها.

بإستثناء حين قبلها تلك القيلة. فقد إندفعت مشاعرها عبر الحواجز وسببت له الصدمة والذهول لعمق كرهها ونفورها منه. وتركه هذا غاضباً ومهاناً لأنه سمح لمشاعره هو بالظهور.

عاد إلى القصر والصمت رقيقهما الثالث.

وإرتاحت ناتالي لهذا لأنها كانت بحاجة للتفكير بالعديد من الأشياء. لقد تحدثت اليوم مع طبيب عمته

وعرفت منه أن صحتها لن تعود إلى حالتها الطبيعية ابداً. وأنها ستظل بحاجة للرعاية والعناية حتى بعد خروجها من المستشفى. وهي بالطبع لن تتمكن من معاودة العمل وسيكون عليها الاستلقاء والابتعاد عن كل ما يثيرها ويحرك أعصابها. فإذا حدث لها أية نوبة أخرى في المستقبل فإنها ستكون القاضية عليها لا محالة.

«أخشى انني لن أكون متواجداً على العشاء هذه الليلة».

قطع فجأة صوته حبل أفكارها جاعلاً إياها تنظر إليه كأنها قد نسيت أنه يجلس على المقعد بجانبها خلف المقود.

«عندي بعض الإرتباطات بالعمل وسأناخر في المكتب إلى ما بعد العاشرة».

«لا بأس» قالت ببرود:

«أنا لا أبقى معك بوصفي ضيفة ولهذا فلا تشعر بأنك المضيف وأن عليك تسليتي».

«لربما علي تسليتك فعلاً» تتمم وهو يرميها بنظرة سريعة.

تجاهلت تعليقه ونظرت بعيداً عبر النافذة. لكن ضربات قلبها تسارعت لتعليقه المعسول هذا وفهمت ما يقصده بكلماته. وأدركت أنه بدأ يؤثر عليها بنفس

الطريقة التي كانت تشعر بها في السابق، في نفس المكان المؤلم داخل أنسجة قلبها الممزقة.

تنهدت بعمق وتمنت لو أنها لم تكن هنا معه، وتمنت لو أنها لم تقرأ مقالة الجريدة تلك.

«ما دمت وعمتك تستطيعان إرساء دغائم السلام مجدداً بينكما ناتالي» قال بهدوء:

«الا تعتقدين أن بإمكاننا محاولة فعل ذلك بدورنا؟».

- ٨ -

كلا، قالت بنفسها فوراً. لن نتمكن ابداً من فعل ذلك. نظرت إليه بتمعن مدركة أن روبرت ستابلتون الذي تراه أمامها الآن قد أصبح رجلاً ناضجاً بكل معنى الكلمة قد أصبح قادراً وحكيماً ومسيطرأ.

روبرت ستابلتون الذي كانت تعرفه سابقاً كان متهورأ ومستعداً لتشجيعها للقيام بمغامرة مثيرة، كان يعشق طبيعتها المتمردة المغامرة، وحبها المتأجج للحياة.

وكان حين يعانقها ويبادلها الحب كان يغرقها في بحار النشوة والمتعة بكل مشاعره وعواطفها.

تحركت أحاسيسها متوسلة بعض التأكد أنه لا يزال هنا لكنها أسكتت هذا الصوت داخلها فقد حولتها السنوات إلى المرأة التي هي عليها الآن. وحولته هو

إلى الرجل الهاديء المسيطر والقادر. وأصبح هو أكثر خطراً الآن، لأنه كما يبدو كان قادراً على إفهامها هذا ولو فقط عبر هذه الوسيلة الخطرة بجعلها تقارنه مع روبرت ستابلتون القديم.

«لا أعتقد ذلك روبرت» أجابته بصدق:

«فيعكسي وعمتي، نحن لم نعد نملك أي شيء مشترك بيننا».

«وهل تعتقدين ذلك حقاً؟» قال وأصابه تصلب على المقود للحظات:

«أنا لا أعتقد هذا... لا أعتقد هذا مطلقاً».

التفت عيونهما للحظة، لجزء من اللحظة فقط نزلت نظرتيه إلى جسدها قبل أن تعود إلى عيونها. وهذا كان كافياً لها لتعرف ما كان يقصده بالضبط.

لقد رأت تلك النظرة بعينه في السابق - لمرات ومرات. هو لا يزال يرغب بها! يرغب بها بلهفة وحرارة كما كان قبل ثماني سنوات! رغبة جامحة عميقة وقوية دون التفكير بالعواقب والنتائج عما يمكن أن تفعل هذه الرغبة لهما!

بإرتباك أبعدت نظرها عنه وتصلبت شفاهها بخوف واشمئزاز.

«إنس هذا روبرت!» قالت بصوت كالصوت:

«أنا لم أعد تلك الفتاة الحمقاء الغبية والساذجة التي

كنتها منذ ثماني سنوات - لقد كبرت بسرعة وبشكل كامل والفضل يعود لدروسك القاسية التي علمتني أياها».

نطقت كلماتها الأخيرة بكل المرارة والألم مما جعله ينظر إليها بذهول.

لحسن الحظ كانا قد وصلا إلى القصر ففتحت ناتالي باب السيارة وغادرتها بسرعة مصممة على الالتجاء إلى غرفتها للتخفيف من عمق الغضب والحقد الذي كان يشتعل داخلها.

الا أنه لحق بها وهي تصعد السلالم وسارع بالقبض على رسغها ومنعها من متابعة السير.

«لم تنتهي بعد ناتالي» قال بحدة:

«لقد ضقت ذرعاً بالملاحظات المتعمدة التي ترميها بوجهي بين الحين والآخر - أنت من تركني ورحل قبل ثماني سنوات ناتالي وقد حان لك الوقت لتدركي ذلك».

حدقت به بعدم تصديق لعمق دفته للحقيقة وقالت له بغضب عارم:

«فكر بما تشاء عليك اللعنة! أنا لست دميكت الخشبية التي ترميها أو تلعب بها ساعة تشاء وتريد».

«كلا» رد بحدة مماثلة:

«أنت امرأة قاسية بلا مشاعر قررت ولسبب الله وهي

وحدها تعرفه قررت أنه مهما كان ما حدث هنا قبل ثمانية سنوات فالحق يقع على الجميع الا عليها هي.

«هذا صحيح» وافقته وهي تحاول الافلات من قبضته دون جدوى:

«قاسية، بلا مشاعر وبعبدة المنال... لك او لأي رجل آخر يفكر باستغلالي مجدداً»

«وجيمي؟» أصر بحدة:

«أين يترك هذا حبيبك جيمي؟»

التمعت عيونها بشدة وقالت:

«هذا يترك جيمي بمكانه وحيث هو دائماً - إنه الاستثناء للمساعدة الضلعية، إنه يمتلكني قلباً وروحاً وجسداً! ولا أنت، ولا... كل إغراءاتك القديمة... سوف تحطم ذلك».

تخلصت من قبضته وتركها تبعد عنه وهي ترتعش بشدة وجدت صعوبة معه بالمحافظة على توازنها على السلالم.

«لكنه، مثلي تماماً لم يكن بحاجة ليتزوج منك ليجعلك عبدة المطيعة...» قال بقسوة عميقة هزت أعماقها:

«ومثلي... مجدداً كما أظن، هو وجد أن بإمكانه الحصول على ما يريد منك دون اضطراؤه للتورط بأشياء تقليدية مفيدة كالزواج».

«هذا صحيح» وافقته دون أن تعطي له أي شيء أو مقدمة له كل شيء. إذا كان عنده التنبؤ الكافي وحده النظر:

«إنه يشبهك بالعديد من الأشياء - باستثناء شيء بالغ الأهمية ومصيري». استدارت ببطء لتتأمل إليه وعبونها تحمل كل الإزدراء كتبرتها تماماً:

«كما ترى جيمي يحبني. أنا الشخص الوحيد في العالم كله الذي يهتم له. ولا هو ولا أنا بحاجة لدليل مادي من أي نوع لنعرف أن هذا صحيح».

شيء ما تحرك بأعماقه وحدقا ببعضهما للحظة طويلة قبل أن تستدير وتتابع خطواتها.

«وهل يعرف... جيمي الرائع خاصتك هذا عن إجهاضك؟» تجمدت ناتالي مكانها وكأن روبرت قد طعنها بسكين حاد إخترق أعماق أعماق قلبها.

«أم أنك فضلت إخفاء هذا التفصيل الصغير عنه؟ ليس العديد من الرجال يتقبل فكرة قتل الاجنة ناتالي. فهذا الأمر لا يتناسب مع جهة نظرهم الوردية التي يفضلونها عند نسايتهم، اليس كذلك؟»

«أنت من بين كل الآخرين عليك إدراك ذلك روبرت» أجبرت نفسها على التحرك مجدداً مجبرة نفسها على التلطف والقاء نظرة أخرى عليه راغبة بزرع أظافرهما بجلد وجهه:

«فمن المفترض بك أنك قد أصبحت رجلاً بعد كل شيء».

تركته وشعور الرضى يكتنفها لأنها أصابته بالصميم وأسكتته وظلت الكلمة الأخيرة لها هي. وبعد أن أغلقت باب غرفتها على نفسها إرتمت على السرير والغضب ينطلق كالشرارات من عيونها النارية وهي تصيح بكل ألم:

«اللعين القاسي - الحقيقر الفظ الميت المشاعر».

إتصلت بجيمي صباح اليوم التالي وأخذت بعض القوة من ثروته البريئة.

«اهلاً ماما» قال بصوته الاحب إلى قلبها:

«يقولون أن الثلج يتساقط عندك وأن الثلج أصبح بعلو المنزل».

ضحكت نانالي قائلة:

«لا جيمي هناك مبالغة بهذا الوصف. أجل لقد

تساقط الثلج أثناء الليل وأجل هو كثيف على الأرض. لكن الشوارع سالكة والسير متحرك»

تحدثت بعد هذا مع أماليا واطمأنت منها عن سير العمل.

«كيف وجدت العودة؟» سألتها أماليا بعد قليل.

«صعبة» اعترفت نانالي:

«الأمر غريب، لكن يبدو أنني غير قادرة على معرفة

شعوري حول أي شيء حولي بعد. لقد انصدمت بشدة حين رأيت ما آلت إليه عمتي التي كانت دوماً رمز القوة والصلابة لي... سأواجه بعض المشاكل قريباً أماليا... عمتي ستكون بحاجة للرعاية والاهتمام الكامل بعد خروجها من المستشفى ولا أدري كيف سأفعل ذلك مع وجود كل المشاكل والمصاعب المستترة والتي ستظهر معها».

«وروبرت ستابلتون؟» سألتها صديقته بعناية:

«هل قابلته؟»

«آء، أجل» قالت نانالي:

«أنا أقيم في قصره وأنحدث معك من مكتبه الآن ممثلة دور الزائر المتردد مع المضيف المتردد».

«يا الهي» قالت أماليا بتفهم فهي كانت تعرف كل قصة صديقته وعذاباتها:

«وكيف حدث ذلك؟»

«إنها قصة طويلة» قالت نانالي بتنهيد:

«عليك الانتظار لحين أعود. أنا أفكر بالعودة اليوم بالذات فلم يعد بإمكانني التحمل لأكثر من هذا».

«الوضع مؤلم وقاتل أماليا. سأعود إلى هنا بنهاية الأسبوع لحين تستعيد عمتي صحتها وتصبح قادرة على القدوم لتعيش معي».

«تبدو هذه فكرة جيدة ناتالي» قالت صديقتها
بتعاطف:

«لا تقلقي بشأن جيمي فهو واثق بحولان حياتنا الى
جنة».

ضحكت ناتالي وقالت:

«أنت أعز صديقة وأخت أهدتني إياها الأيام أماليا».

«حس لا تقولي هذا ناتالي» ردت صديقتها فوراً:

«تعرفين مدى حبنا لك ولجيمي».

«أجل، اعرف».

«إلى اللقاء الآن».

وضعت ناتالي السماعة وتهدت بعقب قبل أن تغادر
المكتب ومن ثم تذهب والسائق إلى المستشفى.

لقد تعمدت هذا الصباح أيضاً مغادرة الغرفة بعد
مغادرة روبرت للمنزل فهي لم تكن راغبة برؤيته ولا
باطلاعه على نيتها بعودتها اليوم إلى واشنطن.

عمتها كانت متعبة ومتوترة وكأنها متزعجة من أمر ما
تكتمه بداخلها. حاولت ناتالي تهدأها والتطبيب من
خاطرها لكن محاولاتها لم تنجح ورأت أن الممرضات
أخذت يعاين عمتها كل نصف ساعة وابتسامتهن
المطمئنة لا تخبر ناتالي بشيء.

أخذت الغيوم تتلبد في السماء منذرة بعاصفة قريبة
وبدا الثلج يتساقط منذراً ناتالي بضرورة الاسراع بالعودة

إلى واشنطن وفق مخططاتها قبل أن تعلق هنا لفترة لا
يعلمها الا الله.

إنحت فوق عمتها وقالت:

«عمتي... أنا مضطرة للرحيل اليوم».

«لا» صاحت العمة بقوة وهي تمسك بيد ناتالي
شدة:

«لا تتركيني نانا - ليس مجدداً... أرجوك لا
تتركي».

«أرجوك عمتي» توسلت بعقب كارهة نفسها
لاضطرابها لفعل هذا:

«أعدك أنني سأعود لرؤيتك بنهاية الأسبوع
القادم... وعدت بصدق:

«أرجوك حاولي أن تفهمي ان عندي إرتباطات مهمة.
ولا أستطيع البقاء هنا لأكثر من هذا».

«لا أريدك أن ترحلي نانا...» أخذت الدموع تتحدر
على الوجه الحزين وجلست ناتالي قربها وقد ملأ اليأس
والحزن نفسها وأخذت عمتها في حضنها.

«أحبك عمتي» قالت بصدق ينبع من أعماق نفسها
وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة طويلة:

«لا أريد أن أتركك هنا. سيزورك روبرت وأنت
تعرفين أنه سيفعل. وسأعود بنهاية الأسبوع...»

«كلا، لن تعود» همست المرأة المسنة بحزن

عميق:

«سترحلين مجدداً وتنسي كل شيء عني!»

شدتها إلى صدرها وقالت:

«لا تيكبي عمتي - أرجوك لا تيكبي - لا أستطيع تحمل دموعك».

«أعرف أنك بلا شك تكسرينني» قال الصوت

الضعيف من بين الدموع:

«آه، لكن عليك مسامحتي نانا! عليك ذلك! لا

أستطيع الاستمرار بالعيش مع شعوري الهائل بالذنب الذي اقترفته بحقك! أنا - أنا فقط لا أستطيع».

«أنا سامحتك» قالت ابنة شقيقها بقوة:

«بالطبع قد سامحتك».

«كل هذه السنوات» عادت سايرين للانتحاب مجدداً

وأصابعها تشد ناتالي إليها بقوة كأنها تخشى عليها من الابتعاد:

«كل هذه السنوات كانت تأكلني نانا، تأكلني

وتأكلني حتى لم يعد باستطاعتي التحمل لأكثر من هذا ناتالي».

«شش» هذاتها ناتالي ودموعها تنحدر على خديها من

شدة عمق شعور الذنب الذي كان يخنق عمتها.

«شش»، لم يعد كل هذا بهم الآن. لا شيء بهم سوى

تحسنك وعودتك إلى صحتك».

«آه. لكن هذا بهم» قالت بانتحاب وهي ترتعش:

«لقد خذلناك جميعاً بأسوأ طريقة وأكثرها قسوة! أنا،

آل ستابلتون، روبرت... يا للجريمة المروعة التي

ارتكبتها بحقك نانا، يا للجريمة التي لا تغفر! طفل،

فليسامحتنا الله، طفل! استعملناه لتحطيم طفلة أخرى

عاجزة وضعيفة آه يا الهي» شهقت بدموعها وجسدها

الصغير يرتعش بقوة:

«آه، طفل روبرت - حفيدي - جعلناك تقتليه بدافع

الكبرياء اللعين! ولا أي عذر على هذا الكون يبرر هذه

الجريمة! ولا أي شيء... أنا المسؤولة عن هذا... أنا...»

شيء هائل كان يمزق اوصال عمتها. شعرت ناتالي

بهذا بذعر وهول وهتفت:

«عمتي - بحق السماء لا تموتي - بحق السماء -

إسمعي أنا لم أفعل ذلك - لم أخلص من الجنين -

عندك حفيد يا حبيبتي - حفيد رائع صحيح الجسم

وساخر في الثامنة من العمر».

ثم كل شيء تفجر حولها صوت الآلة الموصولة

بطرف عمتها إرتفع وإندفع سبل الممرضات إلى السرير

وادارت هي عيونها بذهول ورعب في الغرفة وتجمدت

كل اواصلها وانثلت حين رأت الشكل الطويل الداكن

الذي كان يقف اسفل سرير عمتها. كان يبدو مذهولاً،

مصعوقاً ولون وجهه كلون وجوه الموتى وعيونه كالتماثيل.

رفعها احدهم من قرب سرير عمته واجلسها على الكرسي فيما أخذ الممرضون والطبيب يهتمون بعمتها. لكن شيئاً من كل هذا لم يقطع تشابك نظراتها وروبرت.

لقد سمع ما قالته والآن هو يعرف كل شيء. لقد دخل الغرفة بصمت وسكون كعادته وسمع كل كلمة نطقت بها هي.

حملها احدهم متمماً شيئاً ما بأذنها واجلسها بطرف الغرفة بعناية وبعد الاعتذار بقيت وحدها والصدمة تهز أعماقها.

متى انضم روبرت إليها، هي لم تعرف فقد وجدته فجأة جالساً بقربها ويده تمسك بيديها. لم يتكلما ولم تحاول الاعتماد عنه وعقلها وقلبيها بحالة شلل كامل إلى أن وصل الطبيب بعد دهر ورثت على كتفها بهدوء.

«لا بأس، كل شيء على ما يرام آنسة شالسي. عمك بخير. لقد مرت بنوبة قلبية جراء تعرضها لصدمة عصبية كبيرة كما يبدو. الخطر قد زال الآن وهي ترتاح بعد المخدر الذي اعطيناها إياه وستظل كذلك ليومين آخرين فلا داعي للقلق».

رفعت نانالي نظرها إليه ولم ترى شيئاً ثم حركت

عيونها إلى جهة سرير عمتها حيث عاد صوت الجهاز إلى طبيعته وأعدت نظرها إلى وجه الطبيب المطمئن ثم نظرت إلى يديها المتكورتين داخل يدا روبرت وفجأة أدركت وكسطوع البرق أن لا شيء يهم، لا تكران عمته لها حين كانت بأمس الحاجة إليها، ولا رفض روبرت لها وهي في احلك أوقاتها ولا كلمات والدته القاسية القائلة لها، لا شيء من كل هذا يهم ما يهم حقاً أنها اخطأت. بعدم تصميمها على مبادتها بعدم إصرارها على الوقوف بوجه الجميع واطهار حقها وحق طفلها. لو فعلت ذلك لما حدثت سنوات العذاب والكره الثمانية هذه. لو فعلت لما عاشت عمتها والذنب يخنقها. جيمي كان حياً يرزق وبأحسن صحة وسعادة. الطفل المرفوض من كل من حوله يسبب خوفهم من قوته لا يزال حياً، لو انها بقيت لو انها حاربت لما تكونت سنوات المرارة والذنب والعار هذه ولكانت سنوات صافية صادقة وعادلة.

رفعت عيونها مفتشة عن عيونه ووجدته يحدق بها بغموض. ورفعت ذقنها بكبرياء صارعت كثيراً للحصول عليه متحدية إياه.

«هل هو طفلي نانالي؟» سألتها بعنق.

لم تجيبه، لم تستطع أن تفعل. الحقيقة كانت عالقة بشدة في حلقها ونهضت وسارت بترنح إلى قرب سرير

عمتها ووقفت وأخذت تحلق بالجسد الضعيف المسترسل بالنوم.

كل هذا كان بسببها هي! عنت نانالي نفسها بشدة. ما كان عليها الهروب قبل سنوات! ما كان يجب أن تسمح لآل ستابلتون اللعناء بتسميم علاقتها الدموية بعمتها! وما كان عليها أبداً التفكير بالابتعاد عن سرير عمتها هذا وهي تدرك بأعماقها أن العمّة الحبيبة المسكينة لم تكن مستعدة لفراق آخر!

الدموع التي إنهمرت من عيونها منعته من الرؤية وأثقل الشعور بالذنب كاهلها. ما كان عليها التفكير بترك عمتها وهي بهذه الحالة! فهي كانت أمّاً لها منذ سنتها الأولى!

روبرت هو الذي كان يدفعها للرحيل مجدداً، اعترفت بمرارة! روبرت وقوة انجذابها نحوه رغم كل المرارة والأزدراء المتأصل بداخلها نحوه والذي نما وترعرع طوال السنوات الماضية.

«إسمعي...» قال وهو يقف خلفها دون أن يلمسها ونبرة صوته توضح مدى الصراع الذي يبذله للسيطرة على أعصابه:

«... لا نستطيع القيام بأي شيء آخر لها اليوم...» العاصفة في الخارج تزداد. فلنعد إلى المنزل قبل أن تزداد حدتها...»

المنزل!... منزلها وهو بعيد آلاف الكيلو مترات عن هنا إقتربت يحذر من سرير عمتها وطبعت قبلة على وجنتها وهمست من بين دموعها:

«أحبك، عمتي». ثم استقامت وتسلمت بقنقاع الجليد مجدداً وهي تغادر وروبرت الغرفة.

العاصفة كانت تزداد فعلاً مما اضطر روبرت لتركيز كل انتباهه على الطريق أمامه وهما بطريق عودتهما إلى القصر.

حالها وصلا سارعت نانالي بالتوجه إلى السلام على أمل التهرب مما سيحدث فور دخول روبرت المنزل. لكن محاولتها هذه لم تنجح وسمعت خطوته الثقيلة خلفها مباشرة.

كلمتين فقط نطقتهما وهما:

«إلى المكتب»

فطأطأت هي رأسها وسارت امامه إلى هناك وخلعت معطفها قبل أن تجلس على احد الكراسي الجلدية الضخمة والمقابلة للمدفأة التي كانت النار تشتعل داخلها مرسلة الدفء بالغرفة ولكن ليس بداخل نانالي الذي كان كالجليد البارد.

تبعتها روبرت ومزاج غامض واسود ورمى بمعطفه على الكرسي ثم جلس على الكرسي المواجه لها.

«هل هو طفلي؟» كرر السؤال الذي تركته هي بلا

جواب في المستشفى.

ضحكت بقسوة ابعد ما تكون عن المرح وقالت:
«بالنسبة لمعظم الآخرين لا» قالت متذكرة الاتهامات
المروعة التي رماها بها والداه ومتذكرة التحديات حول
معرفتها لهوية والد الطفل كما قالت والدته، وتذكرت
الغضب والعدائية والغموض والذهول التام حول ما كان
سيحدث لها، وألم الرفض يملأ روحها الصغيرة بالذعر
والخوف حول مستقبلها وما عليها أن تفعله وهي بعد
في السابعة عشر ربيعاً وساذجة ووحيدة تماماً.
«ليس هذا ما سألتك إياه» قال بحدة والغضب يحول
عيونه إلى قطعتين من الجليد:
«أنا سألتك إن كان لي ولك ابن أنا لا أعرف شيئاً
عنه».

مجدداً ضحكت بقسوة:

«كلا لا تملك ابناً لا تعرف شيئاً عنه» قالت ورفعت
رأسها إليه بتحدى:
«مع أنه من الممكن ان عندك ابناً كنت تعرف مرة
عنه - والذي - وللمعلوماتك طلب مني التخلص منه وهو
بعد جنين فقط للمحافظة على اسم وسمعة العائلة».
«ما الذي تتحدثين عنه؟» سألها بذهول:
«أنا لم ولن أسمح لأية امرأة تقهر بقتل جنينها وهو
بعد داخلها - مهما كانت الظروف والملاسات».

«حقاً؟» نهضت واحتقارها له وحقدتها عليه كالبركان
داخلها لقدرته على الكذب - حتى على نفسه وتظاهره
بكل هذا الدهول والانصعاق:
«إذن الشيك الضخم الذي اعطوني إياه منك
لإجهاض طفلك به لم يكن له علاقة بك، اليس
كذلك؟» نهض روبرت كالصاعقة على قدميه وامسكها
بعنف وادارها لمواجهته وهو يزار:
«انتظري للحظة... أنا لم اكتب لك أي شيك!
مجبر ام لا! ولهذا توقفي عن الادعاء بأنني مجرم بلا
احساس يدفع لقتل الاطفال الابرياء!».
«أنت هكذا بالضبط روبرت».
«إسمعي نانالي...» قال واصابعه تنغرز بكتفها
بحدة وغضب هائلين:
«لن أسمح لك بمحادثتي بهذه الطريقة! اللعنة
عليك! لقد عيدت الأرض التي كنت تسيرين عليها».
«تعرفين انني اعيد الأرض التي تسيرين عليها نانا».
لقد صدقت هذه الكلمات الحارة فيما مضى لكنها لن
تفعل ذلك مجدداً.
«ارفض مناقشة هذا» اخبرته وهي تنتزع نفسها منه
وتأخذ نفساً عميقاً لتهدئة بركان غضبها.
اخذ بدوره نفساً عميقاً لنفس السبب ثم قال بصوت
هادئ بطيء:

«هل الصبي الذي تخفينه في مكان ما في أرض الله
الواسعة هذه - هو ابني ام لا؟»

لا! ارادت أن تصرخ بأعلى صونها لا، لا الآن ولا
غداً!

ظلت تحديق بالنار وعيونها تقدح شرراً ويدخلها
مرارة السنوات السابقة كلها عادت لتظهر الى السطح
حاملة معها كل آلامها وتحملها والعذاب الذي مرت به
حتى تمكنت من تأسيس عمل ومصدر رزق ثابت لها
ولايتها. وفكرت بالانكار، بالانكار عليه حقه بابنه عقاباً
له على إطلاقه هذا السؤال وحتى مجرد تفكيره بذلك!

ولكن لماذا تفعل هذا؟ لماذا تكذب بشأن نسب
جيمي؟ جيمي هو ابنه وهي كانت فخورة بأن تكون
والدته... مهما كان شعور والده ودوره بهذا.

رفعت نظرها اليه والكره واضح داخل عيونها اللامعة
وقالت عبر اسنانها المضطكة:

«أجل، إنه إبنك - مع كل عدم الاكتراث الذي يشعر
هو به لهذا والحمد لله».

ردة فعله ادهشتها، فهو لم ينعته بصفة كاذبة ولم
يطلبها بدليل حسي يثبت اقوالها ولم يسألها عن كيفية
معرفتها لهوية الاب الحقيقية، بل اخذت تراقب لون
الحياة ينسحب من وجهه بطريقة مروعة لم يسبق لها
وشاهدت مثيلاً لها من قبل.

«استطيع أن أخنك لهذا نائالي...» همس بحشرجة
عميقة:

«استطيع أن اضع اصابعي حول عنقك الجميل هذا
واسحب الحياة اللينة منك! كيف تجرات واخفيت
عني ابني الذي هو من لحمي ودمي وابقيته بعيداً عني
كل هذه السنوات؟».

شعرت بالإرتعاش من شدة العنف الذي كان يعتصره
فتراجعت إلى الوراء بترنح وسارعت بداء لتطبيقان على
عنقها برقة قاسية.

«تشعرين بالخوف؟» قال وعيونه كالجحيم:

«يجب ان تكوني كذلك يا معذبتى الصغيرة. يا
الهي! يجب أن تكوني كذلك».

الدفاع العدائي برق داخل عيونها وهي تنظر إليه
بتحدي والمرارة العميقة التي تشعر بها نحوه تظهر على
السطح بينهما، مبقية إياها متصلبين وعدائية الثمانية
سنوات تبرق بينهما بشدة.

«إنه إبنى روبرت» قالت وتملكها الواضح جعله
يرتعش:

«ابني انا! أسمع؟! الجزء الوحيد الذي قمت انت به
بهذا الشأن كان مجرد الحصول على المتعة الحيوانية
الشهوانية!»

كفه الذي ضغط بشدة وعنف على وجنتها جعلها

تشهق من الألم وقال:

«لا تحطلي أبداً من قدر وجوده بهذه الطريقة! أبداً»
وعيونته تصبان كل إحتراره لها داخل عيونها.
إبتعد عنها وأدار ظهره لها فيما هو يحاول بصعوبة أن
يتحكم بأعضائه ومشاعره وقد جرّتها كلماته إلى هدوء
يقترّب من العقلانية.
«أنا - آسفة» همست بألم كان محقاً بهذه النقطة
الوحيدة فقط. لا يجب عليها أن تحط من قدر جيمي
بهذه الطريقة.

وأجهها مجدداً وعضلات وجهه متصلة ثم ابتعد نظره
عنها مجدداً ووضع يديه بجيوبه وأخذ يخطو داخل
الغرفة كمادته حين يكون بركان المشاعر مضطرب داخله.
«إتصلي به» قال فجأة وهو يستدير ليوأجهها وقد عاد
التحدي الخطر يلعب داخل عيونته مجدداً.
توسعت عيون ناتالي وهتفت بغرابة:
«ماذا؟»

«إتصلي به» قال وهو يجرها من ذراعها ويجلسها
بقسوة على الكنية المجاورة للهاتف:
«إتصلي بابنا - عندك رقم تواجهه بالطبع!» رمى
جهاز الهاتف بحضنها وتابع كالنمر:
«إفعل ذلك الآن! أريد أن أسمع صوته».
ارتعشت ناتالي حتى أخمض قدميها مدركة أنه كان

يمسك غضبه بشعرة صغيرة وأنه قد يعثر بها حتى اذا
رفقت، حركت بأصابع مرتجفة الرقم التي تحفظه غيباً
والذي سيصلها بمنزل أماليا.

الدموع كانت محتقة داخل حنجرتها. ولحظات
وسمعت صوت أماليا على الخط الآخر.
«مرحبا، أماليا» حيثها بصوت مخنوق أجبرتها على
التنطق وعيونها تنظر إلى روبرت للحظة قبل أن تبتعد
عنه:

«كيف - كيف حال جيمي؟»

«يسحب ويطوي الحياة من عروق مارك».
قالت أماليا بمرح دون أن تنتبه لنبرة صديقتها
واضطربها.

«لقد ذهبوا لاصطياد السمك اليوم. ومارك المسكين
تعثر وسقط في المياه وتستطيعين تصور ما فعله الولدان
بعد ذلك».

«هلا اعطيتني جيمي أماليا لو سمحت؟» قالت ناتالي
دون أن تتمكن حتى من الابتسام.
إنتهت صديقتها للتوتر الذي كان يلون صوتها
وسألته باهتمام:

«ناتالي هل هناك خطب ما؟»

«لا، لا» طمأنتها ناتالي وعيونها تتوسع ل تمنع نفسها
من البكاء:

«كل شيء على ما يرام! فقط أرغب بالتحدث مع جيمي».

«سأناديه لك...» قالت أماليا وسمعت ناتالي صوت صديققتها وهي تنادي جيمي واطبق شعور الكارثة على جوانح ناتالي.

«إذن جيمي هو الحبيب الوفي اليس كذلك؟»
قال روبرت بحقن وغضب:

«أيتها اللعينة! كنت تتحدثين مع ابني من هاتفني ومن منزلي وأمام سمعي دون أن تخبريني بذلك! أيتها اللعينة الحقيرة!»

«مرحباً ماما» سحبها الصوت المشرق والتوتر الهائل داخلها أخذ يتحول إلى أمواج من الألم أخذت تجتاح رأسها:

«هل أخبرتك أماليا عما حدث للعم مارك؟»
سأل جيمي وهو يفقه بسعادة دون أن تعثره أدنى فكرة عما كانت أمه تمر به وتابع:

«سأخبرك لقد كان ذلك أكثر المواقف المضحكة التي شاهدتها وطلوني بحياتنا كلها... لقد انزلت قدمه بحذائه الرياضي الجديد على الأرض الزلقة وقد حذرته من ارتداء هذا الحذاء بالذات لكنه لم يستمع لي وأووفاً فوقع في البحر وانتشر الرذاذ علي وعلى طلوني وعلى الأسماك والميناء وما...»

لم تعد تسمع المزيد لأن روبرت إنتزع السماعة من بين يديها وأخذ يستمع للمرة الأولى لصوت ابنه، ومجدداً رأت ناتالي اللون المتحول على وجهه والمشاعر تتصارع داخله.

ثم رأت وقلبا ينتفض ويكاد ينفجر وروبرت يعيد نظراته المتهمة إليها، رأت الدموع الحارة تلمع داخل عينيه وفمه المتصلب خير دليل على المشاعر المتفجرة التي قد إجتاحتها.

أعاد لها السماعة وراقبته وهو يتعمد بخطواته كالمخمور ويرمي بنفسه على أقرب كرسي ويضع رأسه بين يديه.

«على كل حال» عاد إليها صوت جيمي المشرق:
«لحسن الحظ كان هناك ملابس اضافية له في الحقيبة. فارتداها وعدنا إلى المنزل دون أن نجرؤ على مجرد الابتسام في طريق العودة خوفاً من أن يرمينا العم مارك خارج السيارة».

«أمي أخبريني الآن متى ستعودين إلى المنزل؟»
قفزت ناتالي من مكانها لسؤاله هذا ولم يسعها عقلها المخدر برد مناسب فنقلت عيونها إلى روبرت وصارعت لاستعادة هدوئها. تحرك روبرت من مكانه وتوقف قلب ناتالي للحظة عن النبض لاعتقادها أنه سيأخذ السماعة منها مجدداً مطعماً جيمي على هويته

ومخبراً إياه كم كاذبة ولعينة هي والدته! لكنها سمعت صوت كؤوس زجاجية وادركت أن روبرت يحضر لنفسه بعض الشراب.

استعادت سيطرتها وهزت رأسها بشدة مبعدة غمامة الخدر عن تفكيرها وقالت بصوت مخنوق:

«جيمي إسمع... أخشى أن الثلج يزداد هنا ولا - لا - لا أستطيع حقاً أن أعرف موعد عودتي. لكنني سأنتقل بك لا طلعك على ذلك. أنا مشتاقة جداً لك يا جيمي».

قالت والدموع تهدد بغزو وجهها:

«آسفة للتأخر».

«لا بأس» قال دون أن ينجح تماماً بإخفاء خيبته:

«اعتقد ان على أماليا والعلم مارك تحملي لبعض الوقت الإضافي».

«هذا ما أعتقد أنه أيضاً إلى اللقاء يا جيمي انتبه لنفسك جيداً».

«وأنت أيضاً تصبحين على خير ماما».

«تصبح على خير حياتي».

لحظات طويلة مرت قبل أن تضع الساعة مكانها وتلفت لتجد روبرت قد عاد إلى كرسيه ويده كأس شراب.

أخذت نفساً عميقاً وهي تعض على شفثها السفلى ثم نفذت أمره الصامت ومشيت نحو الكرسي المقابل وهي

تدرك ان هذه هي مجرد البداية.

«ما هو! اسمه الكامل؟» سال دون أن يرفع نظره عن الكأس بين يديه.

«جيمي... جيمسون روبرت شالسي» قالت بهدوء «حسناً، اعتقد أن هذا شيئاً على الاقل. ما هو تاريخ ميلاده؟»

«١٤ نيسان ١٩٨٦» قالت.

طأطأ برأسه مستوعباً هذه المعلومات. رفع كأسه وجرع محتوياته كلها دفعة واحدة. وسيطر الصمت بينهما وادركت ناثالي انه يمر بأعنف الصدمات التي

مرت به بحياته.

«كيف يبدو؟»

«غسلت الدموع وجهها وهمست:

«يا له السماوات» همس بحرارة:

«ما الذي فعلته بك بحق السماء منذ ثمانية سنوات وجعلك تبعدين ابني عني كل هذه المدة؟»

رفعت عيونها الباكية إليه والألم يلتصق داخلها:

«لكنني كتبت لك رسالة روبرت! انت تنظر إلي وكأنني ارتكبت جريمة لا تغفر بحقك... لكنني كتبت لك رسالة اخبرك بها انني انتظر طفلك! انت لم تنس هذا بالطبع - لقد توسلت اليك لتعود لتساعدني! لكنك

لم تزج نفسك حتى بإرسال الرد».

«رسالة؟» هتف بدهول:

«أنا لم أستلم أية رسالة منك».

«آه - توقف عن إدعاء البراءة روبرت ستابلتون».

قالت بحدة:

«بالطبع انت قد استلمتها»

«هل انت واثقة من انك قد ارسلتها؟»

«أجل بالتأكيد أنا واثقة!» ردت بتأكيد.

فهي تذكر جيداً ذلك اليوم لقد كتبت له الرسالة بدموعها وتوسلته العودة ومساعدتها لأنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله! ذهبت إلى مكتب البريد بيوم ثلجي عاصف وادعت الرسالة بصندوق البريد أجل إنها واثقة من ذلك كتبتها بوجودها هنا

«أجل لقد أرسلتها» قالت بثقة:

«وأنت قد استلمتها».

«أنا لم استلم أية رسالة منك ناتالي!» قال بحدة:

«لقد انتقلت من مقاطعة أونتاريو حيث بقيت لمدة شهر واحد وذهبت إلى فاننا ومنها إلى أماكن أخرى متفرقة حيث كانت فروع الشركة التي تمرنت بها. فكيف تكونين أكيدة انني قد استلمت الرسالة؟»

«أنا اعرف ذلك وحسب» قالت دون ان تفصح له عما قالته لها والدته ووالده من أن روبرت يشك بأن يكون

الطفل طفله من علاقته بفتاة من مستواها.

«حسناً...» قال بنفاذ صبر:

«أذن لفترض ان هناك رسالة وانك قد ارسلتها كما تؤكدين الم يخطر ببالك للحظة أن هناك احتمال الا تصلني رسالتك هذه؟»

«كلا» قالت بثقة غير مصدقة أن هذا كان يحدث فعلاً.

«فكري بهذا ناتالي» حننها بأناة:

«هل سبق لي وطوال سنين معرفتنا أن خذلتك؟»

«أنت فارسي المغوار وأنا حبيبتي إلى الأبد» تردد صدى صوتها المراهق بأفكارها ومعها صوته القاتل بصديق:

«أنت سبب وجودي وكل حياتي نانا».

كل هذا كان خطأ - كل شيء كان خاطئاً منذ البداية. حبهما وتناجيه الهدامة..

لكن ما كان عليها الرجل. هذا ما تعرفه وتدركه هي الآن. كان عليها الصمود وإجبار روبرت على تحمل مسؤولياته بدلاً من ترك زمام الأمور لوالديه المتعسفين. «أسفة» قالت بهدوء الآن وقلبيها يتصلب ضدّه مجدداً:

«أنا لا أصدقك وكل هذا لا يهم الآن، لأن وقت تصحيح الخطأ قد فات - فات منذ زمن بعيد» تابعت

بإرهاق:

«لقد كونا طفلاً بيننا روبرت. لكنك ليس والده فعلاً، وفيما يتعلق بجيمي فهو يعيش حياته بهناء وسعادة بدونك سيحيا بدون أن يتعرف عليك حتى».

«آه، هذا ما تعتدبه انت ؟؟» قال بخفة وهو يقترب منها بخفة كالفهد المستعد للانقضاض على فريسته وامسك بقوة بذراعها والشرر يتطاير من عينيه:

«أذن دعيني اخبرك ايها اللعينة الانانية الصغيرة ان ابني سيعرف من هو والده. انت تدنين لي بثمانية سنوات من حياة ثمانية سنوات لعينة! وسأستعيدهم عليك اللعنة! وسأستعيد كل لحظة من لحظات كل سنة! وسيكون إبني هنا تحت سقفي بظرف اسبوع واحد من الآن! وتستطيعين انت أن تذهبي إلى الجحيم فأنا لا اكرث لذلك مقدار ذرة».

إذا لم يكن بتهديده الشديد هذا من إثارة كل رعبها فقد فعلت قبلته التي تلت ذلك. فقد سحقها وهو يلصقها به ويهوى على فمها بوحشية هائلة سرقت انفاسها وجردتها من كل قوتها.

«لا تفعل...» همست بحرقة حيث رفع شفاهه عنها للمحظات:

«ارجوك لا تفعل...»

«ولم ؟؟» سألها بإغظة:

«كنت تشرقين بقلباتي وتتجاوبين معها بطريقة اشك بوجود مثيلاً لها عند نصف نساء الارض» لامس شفاهها بغمه بخفة ورقة سببت لها الارتجاف:

«من المستحيل ان كل ذلك التجاوب قد مات! انا لا اصدق ذلك».

وكان فمه على شفاهها مجدداً بطريقة مختلفة تماماً هذه المرة. بعف ورقة بقوة واكتشاف وحركت قبلته الحارة هذه غصباً عنها سيل المشاعر الخائبة داخلها والتي اعتقدت ان جذوة نارها قد خبت منذ سنوات وسنوات.

«ارجوك، روبرت» توسلت وشفاهه تقترب من اذنها:

«لا تفعل هذا بي مجدداً».

«اتعتقدين انني اريد ان اشعر اتجاهك بهذا؟» قال وهو يرفع رأسها اليه ويحدق بجذوة الرغبة التي اخذت تلمع بأعماق عيونها:

لقد ارتكبت أسوأ وأبشع جريمة تقتربها المرأة بحق الرجل بإخفائك أمر وجود إبني عني! لكن، وليساعدني الله ناتالي - أنا - أنا لا ازال أرغب بك - أرغب بك منذ اللحظة التي شاهدتك بها تنزلين من القطار بتلك المحطة» غضب لهاذه كان يشعل خدوها:

«وهذا...» قال ومرر شفاهه بخفة على فمها متابعاً:

«... هذا سيكون وسيلتك الوحيدة للنجاة ناتالي».

أبقي جذوة رغبتي نحوك مشتعلة وسأدعك تحتفظين
بإبتك. والا فإنني سأخذ منك! ولن تقع عينك عليه
أبدأ بعد ذلك.

همجية تهديده تسلكت إلى أعماقها وارتجفت فهو
قادر فعلاً على تنفيذ وعيده. فالمال والسلطة دون ذكر
القانون يسمحان له بذلك ويحققانه له. وجيمي! هل
سيتمكن من إغواء الطفل بتحقيق كل أمنياته وأكبرها
والتي يتمناها كل الاطفال الذين يمثل سنه؟ هي تعرف
نقاط ضعف ولدها واسوأ نقاط الضعف هذه كانت إدراك
جيمي أنه لا يمتلك والداً كغيره من الاطفال.

«سأكرهك دائماً لهذا» صاحت وهي تصارع غيوم
العاطفة الجامحة التي اخذت تهدد بإغراقها وشفاهه
تلامس وجهها وفمها.

«أكرهيني اذن» قال بهدوء:

«لأنك ولو عشت وبلغت المئة فإنك لن تحتقريني
بهدف الدرجة التي احتقرك وازدريك بها ناتالي».

أطبق على «فمها مجدداً قبل أن يبتعد عنها ويقول
بنبرة أمرة:

«أحضري معطفك».

حدقت به بعيون مذهولة وقالت:

«ماذا؟»

«أحضري معطفك» قال وهو يرتدي معطفه.

«لكن - لكن - لماذا...؟»

«لأننا سنذهب لإحضار إيني إلى هنا».

ضربة كالصاعقة كانت كلماته بالنسبة لها:

«لكن روبرت» صاحت:

«لا نستطيع الذهاب إلى واشنطن بهذا الطقس! بحق

السماء...»

ادارته بقوة ليواجهها وتابعت:

«إنظر للغد» توسلته بحرارة.

من الواضح أنه لا يزال تحت تأثير الصدمة وهو لا
يفكر بوضوح دون شك.

«قد يتوقف تساقط الثلوج غداً وستعود الطرقات إلى
حالتها السالكة. ارجوك! إنظر للغد».

نظر إليها واستمع لكلماتها المتوسلة ثم قال:

«أحضري معطفك ناتالي. سنذهب الآن».

يجنون غادرا المنزل بليلة العاصفة تلك وكان المطر
ينهمر بغزارة على زجاج السيارة بطريقة تجعل الرؤية
بالغة الصعوبة. لكن روبرت كان يركز عيونه الصقرية
على الطريق امامه ويسير بتصميم كالجبال. لم يتكلم
أي منهما هو كان متجها إلى هدفه متحدياً كل العوامل
الجوية السيئة جداً وهي كانت أكثر من خائفة للتكلم
وعيونها مركزة على الطريق الزلقة امامهم وقلبها على
لسانها معظم الوقت وهي تراقب تستمع وتشعر بأقل

صوت تصدره عجلات السيارة على الأرض التي تحولت إلى أنهار من المياه المتدفقة.

حين وصلنا إلى أطراف الضاحية خفت حدة المطر قليلاً وحتى الرياح خففت من عويلها الناحب وتمكنت ناتالي أخيراً من الاسترخاء قليلاً والاستغراق بأفكارها المضطربة.

إصرار روبرت الكامل على إنكاره لرسالتها أمر يحيرها - لأن هذا لا يخدم هدفاً معيناً الآن، اللهم إذا كان يريد أن يحتفظ بماء الوجه.

لكن لسبب ما أدركت أن هذا ليس هو السبب. في الماضي روبرت الذي كانت تعرفه كان يتحمل مسؤولياته سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، متحملاً عقابه عن كل الأخطاء الصغيرة التي كان يقوم بها بقوة وشجاعة. وهكذا فإذا كان قد استلم رسالتها فكان سيسرع بالعودة إلى المنزل على جناح السرعة. برتد أم لا، روبرت الذي كانت تعرفه كان سيعود إليها بسرعة لو مهما وقف بطريقه من عقبات.

وتساءلت بألم هل ظلمته وكانت هي السبب بالاجحاف بعدم محاولتها الاتصال به ثانية طوال كل السنين الماضية؟ تذكرت كم كانت الفكرة تجول برأسها في أول فترة هروبها من آشلي وقد خطت مرة له فعلاً رسالة قصيرة لكن بدلاً من أن تضعها في صندوق البريد

فقد وضعتها في سلة المهملات. فرغم كل الصعوبات والمشاق التي تعرضت لها فور هروبها بتأمينها لعمل ولمكان يأويها هي وطفلها الذي كان رضيعاً إلا أن كبرياءها كان دوماً يمنعها من محاولة الاتصال بروبرت مجدداً. وقد ساعدها المبلغ الذي أعطاها إياه والده المتخلص من الطفل على تأمين مكان إقامتها والبدء بتجارة صغيرة كانت كافية لتقنها التسول والحاجة.

«لقد إتصل بي ابني هذا اليوم» قال لها والده في ذلك اليوم المشؤوم:

«بدأ مبتشئاً من رسالة ما قد أرسلتها له وتدعين أشياء خاطئة وكاذبة عنه، وابني بالطبع ينكر كل ما تقوله رتدعيه».

كيف من الممكن لها التصديق ان روبرت لم يتسلم رسالتها؟ لم يعرف أي شخص برسالتها هذه سوى هي نفسها ولكن...!

لقد شاهدت وهي تضع رسالتها بصندوق البريد جان طومسون السائق الخاص لوالد روبرت الذي أخذ يرمقها بنظرات غامضة وهي تطلب من موظف البريد إرسال الرسالة إلى كندا. هي لم تهتم لهذه النقطة بتلك اللحظة لكن لسبب غريب غريب تذكرت هي الآن تلك النظرة الغريبة التي رماها بها جان هذا.

هزت رأسها بقوة قائلة انها ستصاب بالجنون إذا ما

ظلت تفكر بهذه النقطة. لا شك أن روبرت يكذب
ولسب ما بشأن عدم استلامه للرسالة المصيرية التي
كانت ستغير كل حياتها وتمحي هذه السنوات الثمانية
من حياتها وحياة جميع لو ان والده روبرت تصرف
بطريقة أخرى واستجاب لرسالتها تلك!!

الآن، ببطء وعناية تلمعت في مكانها محاذرة الا
تجذب انتباه روبرت وادارت رأسها لتدرس بروفييل
وجهه. كان لا يزال شاحباً وملامحه متصلبة متوترة،
لكن الجاذبية كانت لا تزال هناك، تشع خلال طيات
التوتر والقلق. قبل ثمانية سنوات كان هذا الوجه معتاداً
على الاشراف بالبسمات والضحكات حتى بدون سبب
ولمجرد رؤيته لها.

«انا سعيد، أحب البقاء معك» كانت كلماته دوماً
كلما كان برفقتها. هي لم تشاهده يتسم منذ لحظة
وصولها إلى آشلي هو لم يتسم مطلقاً.
للحياة طريقتها الخاصة بتغيير الأشياء، فكرت حتى
هي لم يتسم كثيراً بعد مغادرتها لآشلي وبعد وصولها
مجدداً إليها الآن. بينما في الماضي كلما كانت برفقة
روبرت لم يكن الضحك والابتسام يفارقها ولا للحظة
واحدة فقط. كانا يضحكان، يثرثران، يتقائلان يمارسان
الحب... ألم الذكرى أخذ يسري في جسدها لتحسرها
على الحب والثقة التي كانت بينهما فيما مضى.

هل سيدبر روبرت القديم أو الجديد ظهره
لمسؤولياته؟

مجرد رؤيتها له مع عمتها يعطيها الجواب الواضح.
هو لن يتخلى ابداً عن مسؤولياته اتجاه أي شخص
يرتبط هو به بأية علاقة.

هل كانت هي غبية لتصدق كلمات والده؟ أكانت
غبية وعمياء وحماة كفاية لتصدق أنه من الممكن
والمعقول أن يهجرها روبرت ويتخلى عنها بتلك
الطريقة؟

ارتعشت وشدت اطراف المعطف حول جسدها. من
غير الممكن ان يعرف والده بأمر الرسالة الا من روبرت
نفسه. لا، أمرت عقلها بالتوقف عن التفكير عن
الاعذار لروبرت. فلا يوجد له أي مبرر. المبررات لا
تتواجد له أصلاً.

توقف روبرت لتعينة السيارة بالترين واحضر لها
فنجاناً من الشوكولاتة الساخنة ناو لها إياه دون ان يتكلم
أو حتى دون أن ينظر إليها. وتابع الانطلاق مجدداً
والجو الأسود الثقيل لا يزال يسيطر بينهما، وأخذت
تفكر ناتالي بمنزلها، بمنزلها وجميعي والذي لن يكون
ابداً منزل روبرت.

ارتعشت بوضوح والثقت روبرت للحظة نحوها.
«تشعرين بالبرد؟» سألها بنبرة بلا لون.

هزت رأسها بنقيّ دون أن تطيعها حنجرتها بالنطق
وثابتت النظر عبر زجاج نافذتها. وعاد الصمت ليسيطر
بينهما مجدداً وفرحت هي لهذا. فهي حقاً لا تملك أي
شيء آخر لتشارك بالحديث به مع روبرت. لا شيء
ابداً.

غفت لبعض الوقت على صوت رثابة العجلات دون
أن تنس حذرهما من وجود روبرت قربها انطلاقتها إلى
المجهول الكامل الذي تخشاه كالموت.

فتحت عيونها بعد بعض الوقت ووجدت أنهم قد
وصلوا فعلاً إلى مدخل واشنطن.

«من أين الآن؟» سألتها دون أن يلتفت نحوها وقد بدا
مرهقاً وشاحباً.

ارشدته إلى العنوان بصوت بلا لون ثم عادت
للصمت بعد أن عرف هو الطريق.

المطر هنا قد تحول إلى رذاذ خفيف والطرق كانت
مضاءة وواسعة فزاد روبرت من سرعة سيارته واكملت
هي إرشاداتها ودخلا في الطريق الفرعي الذي يقع
منزلها بآخره.

حالما وصلا غادرت نانالي السيارة وهي تشعر
بالخدر والشلل بكل أطرافها. إنضم روبرت إليها بعد
لحظات ووجهه لا يزال يرتدي الصلابة والتصميم.

«جيمي ليس هنا» قالت وهي تفتح الباب:

«إنه الآن عند إحدى صديقاتي».

طأطأ برأسه وكأنه قد إستنتج ذلك مسبقاً. أضاءت
ضوء المدخل وإتجهت نحو غرفة المطبخ.

«أقدر حصولي على فتجان من القهوة قبل التوجه
للتوم ناتالي» قال بتصلب وقد ظننها متجهة إلى غرفة
النوم.

نظرت إليه وقالت:

«أنا متجهة إلى المطبخ».

سار خلفها ودخلا المطبخ الصغير خاصتها والذي
كان مرتباً وصغير الحجم كياقي غرف منزلها. كان
روبرت ينظر حوله بامتناعاض وادركت نانالي أنه يفكر كم
هو من غير الملائم لجيمي الإقامة بهكذا مكان. لكنها
وجيمي كانا سعيدين بهذا المكان وارتدت إختياره بذلك
لكن الارهاق والتعب منعاهما من فعل ذلك واكتفت
بالتشاغل بتحضير القهوة.

جلس هو على الكرسي الصغير وقال فجأة:

«كم يبعد من هنا؟»

لقد شعرت طوال الرحلة أن أفكاره كانت مركزة على
جيمي وسؤاله هذا يؤكد ذلك.

«ليس بعيداً» ردت:

«بعيداً عن هنا حوالي العشرة أميال».

طأطأ رأسه وقال بإرهاق:

«سأذهب لأحضره إلى هنا في الصباح».

«لا» صاحت ناتالي وهي تحدق به بذعر:

«ليس - ليس عليك أن تفعل ذلك. أ... آماليا

ستحضر وإياه إلى هنا في الصباح. فالمحل يقع بنصف المنزل الثاني وهي تفتحه في التاسعة صباحاً وتحضر جيمي وأينها معها. ولهذا - فليس من الضروري ذهابك لإحضاره».

طأطأ روبرت برأسه وتنهدت بعمق أنه قد تقبل لتصبحتها.

من غير الممكن لها مجرد السماح لروبرت بإظهار نفسه هكذا في حياة جيمي. ليس بدون مقدمات وشروحات على الأقل.

«تفضل» قالت وهي تضع الفئجان أمامه على الطاولة:

«القهوة. بعدها سنحاول النوم».

«كم هي الساعة الآن؟» سألها وكأنه على وشك

الغياب عن الوعي من شدة الإرهاق.

«الواحدة بعد منتصف الليل» قالت وعقلها مشغول بما ستقوله أو تفعله غداً.

جلست على الكرسي المقابل له وهي ترتشف فئجائها وتحديق بالطاولة الخشبية».

«ما الذي حدث لنا بحق السماء ناتا؟» تتمم فجأة

رافعاً عينوه المتورمة نحوها:

«أين بحق السماء ارتكبنا الخطأ؟»

ملأت الدموع عينونها وهست بصوت خافت:

«لا أعرف روبرت. أنا حقاً لا أعرف».

«يا الله» قال:

«إني أدير الأشياء وأفكر بها برأسي مجدداً ومجدداً

دون أن اتوصل لشيء مطلقاً»

«أذن لا تفعل ذلك» إقترحت بوهن ثم شعرت بالشفقة

عليه لأن كل شيء كان فعلاً بفوضى عارمة.

مرت يدها لتلامس يده وقالت:

«من غير المجدي التفكير بكل ما حدث. اترك الباقي

للغد، حتى يصفى ذهنك وتتمكن من التفكير بوضوح».

حدق بيدها بأصابعها الرقيقة وهي تلامس يده الكبيرة

وتهدلت كتفاه بألم فعضت ناتالي على شفتها لتمنع

نفسها من البكاء. لا، مهما كان ما حدث منذ ثمانية

سنوات فهي تدرك تماماً أن روبرت قد مر بأصعب

عذاب بحياته لرفضه لطفله. ولربما، هو كعنتها قضى

السنوات الماضية هذه وشعوره بذنبه يقرض ضميره

ويقتض مضجعه.

«هيا» قالت بتنهّد وهي تبعد يدها عن يده:

«لنخلد للنوم. نستطيع أن تستعمل غرفة جيمي ما

دام هو خارجها»

«كلا» قال ورأسه يهتز بشدة وعيونه تحدقان بها بتصميم:

«سننام بغرفة واحدة بما تبقى من هذه الليلة».

كلماتها صلبتها ومنعتها من الحركة وحدقت به يدهول وعدم تصديق:

«أنا لن أنام معك» صاحبت مجنون.

«مستغلين» أصر دون أن يتحرك:

«أو انك لن تنامي أبداً. لا سبيل آخر لك ناتالي، أنا لن أسمح لك أبداً بالتسلل ليلاً لتسرقني ابني مني مجدداً وتختفي للمرة الثانية».

«لكن - هذا - هذا تفكير مجنون روبرت!» قالت وهي تشفق بدهشة:

«إلى أين سأذهب؟ منزلي هو هنا... وعملي! أنت لا تفكر بوضوح... استعمل سرير جيمي وسأوقظك بالوقت...».

«قلت أننا سننام سوياً» قاطعها بتصميم:

«الله يعلم...» تابع بتنهيد:

«أنا بحاجة لبعض الدعم الانساني بهذه الليلة، وبما أنك سبب هذه التعاسة الهائلة التي تشتعل داخلي فأنت وحدك المسؤولة عن التخفيف من ذلك». مجدداً العيون الجليدية اخترقتها والانهاومات كلها واضحة بأعماقها وتابع بقوة:

«النوم فقط. هو كل ما أريده إذا ما كان عقلك المعكوس يفكر بشيء آخر. النوم هو كل ما أريد من الاطمئنان إلى أنك موجودة بجانبني حتى أواجهه في الصباح».

تهدت ناتالي وتراحت كتفها باستسلام وقالت بتناقل ووهن:

«النوم».

ثم وقبل أن تفكر للحظة اخرى بما كانت تفعله غادرت المطبخ متجهة إلى غرفة نومها. روبرت لم يكن يعرف ذلك لكن في الحقيقة هي كانت بحاجة يائسة أكثر منه للدعم الانساني الذي تحدث عنه. وهذه حاجة لم تشعر بها طوال السنوات الثمانية الماضية.

«غرفة الحمام من هناك» اشارت إلى باب صغير:

«سوف ابدل ملابسني فيما تغسل أنت وجهك ويديك».

استغرقت دقائق قليلة فقط لتخلع ملابسها ولترتدي قميص نومها الطويل. مرا بجانب بعضها البعض وهي بطريقها إلى الحمام بعد خروجه هو منه لكنهما لم ينظرا إلى بعضهما البعض.

غادرت الحمام بعد دقائق واندست بالسرير الى جانبه محاذرة أن تلمسه أو تقترب منه.

لكن ذراعه امتدت وقربتها منه ملصقة إياها بصدرة

الصلب.

«شكراً لك على هذا» تتمتع بنعاس وفمه قرب شعرها
الحريري:

«أعرف أن هذا كان طلباً مبالغاً به لكنني بحاجة لك
هذه الليلة، نانا، أنا بحاجة لك...»

وغرق بالنوم بهذه السرعة. ظلت نانالي بلا حراك
بين ذراعيه دون أن تصدق أنه قد استغرق بالنوم بهذه
السرعة وأخذت تشعر بضربات قلبه التي هدأت وبتنفسه
الذي انتظم وأدركت أنه فعلاً قد غرق بالنوم. ثم،
وبسطه أخذت تشعر بالاسترخاء وقد سرى الدفء
بجسدها من جراء التصاقها به واعمضت عيونها واغرقها
الارهاق والتعب بالنوم.

ثم استغرقت غفوتها هذه هي لا تدري، فقد أخذت
تعود إلى وعيها ببطء وشعور عارم بالدفء اللذيذ يغزو
جسدها.

فتمطت بتهند ونعاس.

راقب روبرت حركتها هذه من مكانه قريباً وهو
متكى على ذراعه ويدرس ملامحها الناعسة وجسدها
الرائع. إنحنى على خدنها الحريري وقبلها بخفة
وتعمتت هي شيء ما مطالبة بالمزيد.

- ٩ -

فأعطاهما ما تريد وأخذ يقبل انفها الرقيق ورموشها
المغلقة ووجنتيها.

«نانا...» همس بركة

«روبرت...» تنهدت واستدارت نحوه وذراعيها
تعانقان رقبته وتشده إليها.

ابتسم قليلاً وبرقة بنفس الرقة التي كانت تعود هي بها
إلى الوعي واقترب بفمه منها وأخذ يرتشف بحنان
غريب رحيق شفاهها الجائعة للحب وأخذت يداه
تتحركان على جسدها إياها من القماش الذي يفصل بين
جسديهما.

استيقظت ناثالي تماماً حين شعرت بيديه على ساقها وشهقت:

«روبرت!» دون أن تكون واثقة تماماً سواء اكانت صاحبة أم تحلم.

«شش» همس بخفة:

«لا بأس. انت تريدني نانا، جسدك يخبرني بهذا، والله يعلم...» همس بعمق:

«انني أريدك بدوري وبقوة...»

غطى فمه فمها مجدداً مانعاً إياها من الاعتراض فيما اخذت هي تصارع رغبتها العميقة بالاستسلام الكلي له وقد أخذت ملامسته له تثير نيران رغبتها تماماً كما يحدث في الماضي.

آه، لا... همست بعمق وقد أخذت أمواج المتعة تغرقها بلججها.

«لا أريد هذا» همست بإرتعاش.

«بالطبع تريدين» اكد لها:

«هذا ما ولدت لأجله، أن تكوني لي بهذه الطريقة!»

حقاً؟ هل ولدت لتعرف فقط اللذة الساحرة للمسة هذا الرجل؟ وهي هنا بين احضانه ادركت أن ما يقوله كان صحيحاً لأن ولا أي رجل آخر كان قادراً على الاقتراب منها وفعل هذا لها. ولا أي رجل غيره منذ البداية.

«ستقتلني بهذا اتعرف؟» صرخت بيأس مما كانت تسمح بحدوثه بكل ذرة في كيائها.

«لكن يا لها من طريقة للموت يا حبيبتي» تمت بهمس:

«ضائعة بين ذراعي الرجل الذي يعبدك بيأس ويقدريه».

«يا الهي ناثالي لكن عليك أن تلمسيني، كل هذا عذاب رائع رائع».

استيقظت في الصباح بإدراك عميق أن شيئاً جذرياً قد تغير بحياتها. تمطت بنعاس وشعور الدفء والمتعة لا يزال داخلها.

ثم تصلبت وقد لامست ذراعها جسد دافئ وعاري جعلها تتجمد للحظة. ثم ادارت رأسها ورأت روبرت ينام بسلام وهدوء قربها وعادت ذكرى ما حدث تغزو عقلها وتلون بالرعب خدودها.

«يا إله السماوات» قالت بصوت مختوق وهي تحاول به بما الذي فعلته؟؟.

بدا مسترخياً وراضياً، تماماً كروبرت الذي عرفته منذ سنوات. انتفض قلبها وأخذت الدموع تتساقط بصمت من عينيها.

انها تحبه رددت بنفسها بألم. تحبه بعمق وقوة تماماً كما كانت دوماً وكما ستظل إلى الأبد. تحبه بكل ذرة

من وجدانها بكل لحظة من حياتها. معرفتها هذه تركتها
تشعر بالوحدة والفراغ لأنها ادركت تماماً الآن. أنه مهما
كان ما سببه روبرت لها من ألم وعذاب إلا أنها لم
تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال السنوات
الثمانية تلك.

لكن هل يعني هذا أن عليها السماح له بالتسبب لها
بأي ألم وعذاب وعليها مسامحته بعد ذلك؟ لربما
ستفعل ذلك ردت على نفسها بمرارة وألم.
فتح عيونه والبريق الساحر داخلهما.

«لماذا؟» هفتت به.

إبتسم وانكىء على ذراعه محدقاً بها وقال ببساطة:
«أريد إيني، بأي ثمن لكنني أفضل أسهل وأمتع
الاثمان. انت هو ذلك الثمن ناتالي. غير الأم سأحصل
على الإبن» قال ومد اصابعه ليداعب أطراف فمها
المرتعش.

«انت - انت خططت لهذا؟» قالت بذهول لشدة خبثه
إذا ما فعل.

«ما الذي تعتقدين انني كنت افعله طوال فترة الرحلة
من آشلي إلى هنا؟» قال وعيونه تسخران منها:

«أنا لست أبليها ناتالي، مع انني اعرف جيداً أنك
تعتقدينني كذلك. ألفتط طريقة للحصول على إيني هي
عبرك أنت. عليك أن تكوني بجاني أنا حتى تجعلني

تقبله لي أسهل واسرع - لكنينا معاً».

قطبت بعدم فهم وقالت:

«لا أفهم كيف إغوانك لي سيكسك ذلك الدعم»
«بالطبع تفهمين» قال بسخرية رقيقة ويده تلامس
جسدها وشعر فوراً باستجابتها له وضحك بركة قائلاً:
«أترين؟ أنت لي ناتالي! علي فقط ملاستك
هكذا...»

وفعل ومجدداً نجابت معه بعجز:
«... حتى أجعلك راغبة بتنفيذ أي شيء مقابل
الحب والمتعة»

«ياه!» قالت باختناق:

«أنا اكرهك».

«لكنك مستعدة لي في أي وقت» أعلمها بقسوة وهو
يقبلها مجدداً بإثارة وغرقاً سوياً ببحر الحب.
«انت لي الآن ناتالي» قال لها بعد فترة:

«تذكري هذا حين يعود جيمي إلى المنزل. فقد يعني
هذا الفرق بين حصولك عليه او خسارتك له».

«لا تهددي روبرت» قالت بهدوء وهي تنزل من
السرير وقد ادركت بعد ما حدث هذه الليلة انها له وانها
كانت دوماً وستبقى له حتى لو لم يعد يرغب بها...
«انت لم تتغير كثيراً عبر السنين لا؟ لا تزال متوحشاً
على صورة إنسان».

إبتسم واقترب منها وتعمت قرب فمها:
«وانت أيضاً لم تتغيري، يا معذبتى الصغيرة» قبلها
بتلذذ وعمق وتابع:
«وستظلين هكذا إلى الأبد».
ضحك وابتعد عنها وقال:
«ها إذهبي وارتندي ملابسك فلا أريد أن يصل إبني
ويجد والدته هكذا».
«أنت ملعون روبرت أنت كذلك حقاً» تمتعت بجفاف
وهي تتجه نحو الحمام.
«لست كذلك لكن إبني ينظر العالم كذلك» قال
بحدة:

«وهذا خطأ سيتم إصلاحه على الفور».
«وماذا يعني هذا؟» سألته وقد شعرت بالخطر.
«سأذهب لأحضر الفطور» قال متجاهلاً سؤالها وخرج
من الغرفة تاركاً إياها تحديق الفراغ خلفه متسائلة عما
قصده بكلماته هذه.
استحمت وغادرت الغرفة بعد أن إرتدت ثوباً أبيضاً
جَمِيلاً وأخذ التوتر يزداد داخلها كلما إقتربت الساعة من
التاسعة.

سمعت صوت السيارة في الخارج ورأت أماليا
وجيمي وطوني يغادرونها.
ركض جيمي نحو سيارة روبرت الفارهة المتوقفة

قرب المدخل ثم سارع بدخول المنزل بعد أن شاهد
والدته تقف خلف النافذة.
«ماما!» صاح وانتفض قلبها لسماعها لصوته وهو
يقترّب من باب الدخول.
«أرجوك روبرت...» إستدارت بحرقه نحو روبرت.
«أرجوك دعني اتحدث معك أنا أولاً - دعني أشرح».
«تشرحين؟ كيف؟» تحدّاهما بشدة:
«بإجلاسه وإخباره كم هو والده حقيراً وعديم
المسؤولية وبلا مشاعر؟» رفع عيونه القاسية إليها وقال:
«لا، سنفعل ذلك سوياً».
«لكن...» فتح باب الدخول وأخذت الخطوات
تقترب منهما فسارعت ناتالي إليه وأمسكت بذراعه
بشدة:

«أرجوك، أنت والده بحق السماء روبرت! أنا لن
أؤذيه أبداً بتصويرك بتلك الصورة البشعة! فهذا سيغني
كأنني أشوه صورته هو نفسه».
إقترب صوت الأقدام أكثر وازداد التوسل بأعماق
ناتالي لخوفها من تعرض فلذة كبدها للصدمة.
«أرجوك روبرت إرحمني أرجوك وانتظر».
«حسناً، سأفعل ذلك في قصر النجمة! وسأخذك
وإياه إلى هناك في الحال. أسمع في الحال؟»
«موافقة، موافقة» قالت بسرعة وقد إنفتح الباب

ودخل جيمي بوجهه المشرق بالسعادة.

«أماما» صاح بلهفة:

«متى عدت؟ هل رأيت تلك السيارة الرائعة المتوقفة قرب منزلنا؟ من تعتقدينه يـ... تلاشى صوته بعد أن إنشبه أن أمه لم تكن بمفردها داخل الغرفة وخفت الإشارة عن وجهه بعد أن رأى الغريب الواقف وسط الغرفة.

«آه، آسف، لم أدرك أن هناك أحداً غيرك هنا».

ثم سيطر الصمت على جو الغرفة. لا شيء - لا شيء بالصورة التي تخيلتها ألف مرة حول مقابلة روبرت لجيمي خلال السنوات الثمانية الماضية والتي كانت تدرك أنها كانت ستحصل يوماً ما كانت مشابهة كما كانت تراه الآن وروبرت واقفاً يحدق بابه المطابق له بتلك الملامح والتقاطيع.

ثم دخلت أماليا خلف جيمي كاسرة التوتر الخائق ووجهها الجميل فضولي وهي تنظر إلى ناتالي الواقفة بلا حراك قرب النافذة. نظرت ناتالي إليها بتوسل وهزت رأسها بتحذير صامت والدموع المهددة داخل عيونها ووجهها الشاحب كوجوه الموتى أفهمت أماليا أن خطباً ما قد حل. وتحركت عيونها إلى روبرت وكحال كل من يعرف جيمي فإن الشبه الكبير بينه وبين الرجل الغريب الواقف داخل الغرفة كان أكثر من واضح وشحب وجه أماليا نفسها وهي تعود بنظرها إلى

ناتالي.

ثم بحساسية شكرتها ناتالي عليها فهمت أماليا أن عليها الخروج فاستأذنت وغادرت الغرفة تاركة إياهم بمفردهم.

«جيمي...» استجمعت ناتالي بقوة نفسها تاركة ذراع روبرت ومقتربة بخطوات بطيئة وهي تبتسم لطفلها: «تعال إلى هنا» حنته بصوت مبحوح وهي تمد يدها نحوه:

«هناك شخص هنا يود مقابلتك...»

تناول جيمي يدها وسمح لها بجذبه نحوها فيما عيونهم تحدقان بروبرت الثابت كالثمثال. صارعت للسيطرة على مشاعرها بهذه اللحظة العاصفة ونظرت إلى طفلها ثم إلى روبرت.

«روبرت...» تمتعت بصوت مخنوق وهي تصارع دموعها التي أخذت تهدد بالانسياب:

«هذا جيمي. جيمي... هذا صديق قديم لي. إسمه - إسمه هو روبرت ستابلتون وهو...» لم يعد بإمكانها قول المزيد وأخذت شفاها ترتجف وتوسلت لروبرت للنجدة للمساعدة.

«مرحباً» قال جيمي مخففاً الضغط الهائل الذي كان يخنق الآخرين ومد يده نحو والده وهو يشعر بالتوتر المسيطر على الجو دون أن يفهم السبب بذلك.

روبرت لم يتحرك. بدا غير قادراً على ذلك ونظرت
ناتالي باضطراب إليه. وجهه كان كالبلور تماماً
والتصلب الواضح على ملامحه يظهر مدى البركان
الهائل الذي يتفجر داخله من جراء صدمة رؤيته
لابنه...

«روبرت...» توصلت بصوت مرتعش واجتاحتها
موجة من التعاطف المرير وهو يرفع عينه لتتشابك
نظرتيه مع نظرتها. حثته بملامحها والارتعاش الصغيرة
لكتفها دلته أنها عاجزة تماماً ولا تعرف ماذا عليها أن
تفعل. فابتعد روبرت بنظرتيه عنها وعاد لينظر إلى وجه
جيمي المراقب.

- ١٠ -

تحرك الطفل بعدم إرتياح من جراء تحديق روبرت به
وتحركات اليد الصغيرة مما جذب انتباه روبرت إليها
للمرة الأولى وظل يحديق للحظات باليد الصغيرة
الممدودة نحوه ثم أعاد عينيه إلى وجه جيمي ثم إلى
يده وامتدت يده هو ببطء وارتعاش لتمسك باليد
الصغيرة.

ثم رفع عينيه مجدداً إلى ناتالي والانهام القاسي يلتصق
بأعماقه الرمادية. هذا هو إبني! كانت عينوه المريرة
تقول لها. إبني! وستدفعين أنت ثمن إخفائه بعيداً
عني!

ارتعشت واضطرت للابتعاد بنظرها عنه والألم
والدنب يخفقانها سمعت روبرت يأخذ نفساً عميقاً مهتزاً
ويستجمع شتات نفسه.

ثم جاءها صوته المرتعش:
«اهلاً يا بني».

كلمة بني هذه حزت بأعماق ناتالي كحد الخنجر
الحاد وتمنت لو بإمكانها فقط الهروب من هذه اللحظة.
«هل هي سيارتك التي في الخارج؟» سأل جيمي
بفضول متشجعاً من ابتسامة روبرت التي له:
«إنها ألفا روميو اليس كذلك؟ اعرف لأنني قد رأيت
صورة لها في إحدى المجلات. ما هي مدى سرعتها؟
هل تتجاوز حدود المئة؟ سيارة ماما تصل حتى الثمانين
فقط لكن...» الحديث البريء والرفيق هذا أعاد
روبرت إلى الواقع وجعله يأخذ نفساً عميقاً أعاده من
المكان المظلم الداكن الذي اخذته اليه الصدمة.
«بالطبع نستطيع الوصول إلى المئة وتجاوزها أيضاً»
اجاب:

«وإذا أحببت فسأخذك بها بجولة مطولة الآن».
«حقاً؟» سأل جيمي وعيونه تتوسع من الدهشة
واقترب بخطوة متشوقة نحو والده:
«هذا سيكون رائعاً! لم يسبق لي ابداً أن ركبت
بسيارة مثل هذه».

الدهشة والإثارة كانت تلون نبذة جيمي وتجمدت
ناتالي.

«هيا سنذهب الآن فوراً أنت والدتك وأنا بمرحلة
مطولة سنستغرق ساعتين ونصف».
ساعتين ونصف حقاً؟ يبدو هذا رائعاً اليس كذلك
ماما؟

اكتفت ناتالي بطأطأة رأسها بموافقة للعيون الممتلئة
بالإثارة والتي كانت تنظر اليها.
«لكن إلى أين سنذهب؟»

«سأخبرك بالطريق!» رد روبرت بابتسام:
«هيا لربما نود تغيير ملابسك استعداداً للمناسبة.
سأساعدك بذلك فيمَا تخبر والدتك صديقتها عن رحلتنا
هذه».

ابتسم جيمي بفرح وامسك بيد روبرت الممتدة نحوه
ونفذ ما كان روبرت يقوله:
«هيا يا بني سأساعدك بتغيير ملابسك ونتنظر والدتك
في السيارة».

قاده جيمي والسعادة تضيء وجهه إلى غرفته وأخذ
يثرثر بسعادة عن كل الاشياء المتعلقة بالسيارات والتي
هو مغروم بها.

سارت ناتالي بخطى مخدرة نحو الباب المؤدي إلى
البيتيك الخاص بها وبأماليا.

هبت آماليا إليها فور دخولها وشكلها يوحى انها على
وشك الانهيار الكامل.

«ناتالي، بحق السماء» هفتت آماليا وهي تسرع
لتساعد صديقتها على الجلوس على اقرب كرسي:
«ما الذي يحدث؟ وهذا الرجل إنه... إنه والد
جيمي اليس كذلك؟»

اندفعت الدموع من عيون ناتالي وهمست:

«آه آماليا لا اصدق أن كل هذا يحدث لي. سيأخذنا
روبرت إلى آشلي مجدداً ولا... لا أعرف ماذا علي أن
أفعل آه... أنا لا أستطيع منافسة روبرت وما بإمكانه
أن يقدمه لجيمي وهو يعرف ذلك تماماً».

«لا شك أن الأمر كان بالغ الصعوبة عليه هو أيضاً
ناتالي» قالت صديقتها بمنطق:

«إن يكتشف بعد ثمانية سنوات ان له إبناً يمثل روعة
جيمي».

«صعب ان يكتشف إن ابنه لا يزال على قيد الحياة
تقصدين» قالت ناتالي بمرارة لصديقتها التي تعرف
القصة بأكملها:

«لا أستطيع نسبان الحقيقة أنه قد تنازل عن مسؤولياته
اتجاه جيمي حتى قبل أن يولد».

«لا، لا أعتقد أن بإمكانك ذلك» وافقتها آماليا:
«لكن - هل أنت واثقة أن رسالتك تلك قد وصلته

ناتالي؟ الجواب على هذا السؤال قد يعني تبدل الكثير
من الأمور».

«لقد أرسلتها» ردت ناتالي بتصميم:

«لقد وضعتها بالصندوق الخاص ولا شك أنها قد
وصلته. فلا تحاولي المجادلة بهذه النقطة آماليا
أرجوك».

«حسناً لن أفعل» قالت صديقتها بفهم:

«ما الذي ستفعلينه الآن؟»

«لقد توسلت له الا ينقل الخبر لجيمي كالصاعقة
ووافقت غصباً عني على الذهاب إلى آشلي معه. أنا
وجيمي. فعمتي لا تزال في المستشفى لكن الخطر قد
زال عنها والحمد لله. وستكون بخير مساء هذا اليوم
و... يريد روبرت إطلاق جيمي على كل الحقيقة هناك
و... آه، ماذا يجب أن أفعل؟»

«فقط إفعلي ما يريدك منك ناتالي» ردت آماليا:

«للحياة طريقة غريبة يحل عقد ومتاهات أماننا.
وأشعر بأعماقي أن كل شيء يسير معك على ما يرام
ناتالي من الآن فصاعداً. لقد تعذبت كثيراً وتعرضت
للظلم والطرد من اقرب الناس لك لكن السعادة ستعرف
طريقها اليك قريباً. هذا ما تنبؤني به حاستي السادسة
وأنت تعرفين صدق هذه الحاسة ناتالي؟»

ضحكت ناتالي بخفة ومسحت دموعها وقالت:

«سأحاول أن أتذكر ذلك أماليا. سأتصل بك حين تتوضح الأمور... فليكن الله معي بما سيحدث».

عانقتها صديقتها وذهبت ناتالي وغسلت وجهها ثم بدلت ملابسها وخرجت إلى حيث كان روبرت وجيمي البراق العيون بانتظارها داخل السيارة.

أخذت نفساً عميقاً وشدت المعطف حول بذتها الزيتية الأنيقة وانطلقت الألفا روميو بهم نحو مهد الذكريات.

توقف روبرت بالعديد من المحطات والتي تنوعت بين مطعم فاخر ومدينة العاب ومحطة وقود وكان جيمي واضح السعادة الآن بصحبة روبرت وكأن حاسته قد حللت كل الغرابة والبرود بينهم كونهم من دم واحد.

طوال الطريق ظلت أفكار ناتالي مشوشة ومضطربة من الطريقة التي ستنبعها وروبرت لإطلاع جيمي على حقيقة كون روبرت والده. وتساءلت ناتالي وهي تراقب سعادة جيمي بنكات واحاديث روبرت إن كانت هي قد ظلمت جيمي نفسه بحرمانه من وجود اب قربه طوال سنوات حياته الثمانية السابقة؟ لظالما كان يسألها عن والده ويتساءل لماذا عند كل اطفال صفه آباء الا هو، الا هو لا يملك ذلك الأب؟ وكانت ناتالي دوماً تنهرب من الاجابة وتعطيه الأجوبة البسيطة المهمة ومع الوقت لم يعد جيمي يسألها شيئاً كأنه شعر بذكائه الطفولي

الفطري ان والدته لا ترغب بالتحدث حول هذا الموضوع وانها لن تعطيه المعلومات الكافية التي يريد! لكن هل كانت هي محقة بما فعلت؟ يبتئها لكل الجذور التي كانت تربطها بأشلي وأهلها وحياتها السابقة وخاصة بقطعها الجذور العميقة التي كانت تشدها إلى روبرت مذ وعت على وجه الدنيا؟ ما الذي كان سيحدث لو انها إتصلت به ولو لمرة واحدة طوال تلك السنوات؟ ما الذي كان سيحدث لو انها إستفسرت منه ولو بفضول عن السبب الذي دفعه لعدم الرد على رسالتها اليتيمة التي ارسلتها له؟ هزت رأسها بشدة مبعدة كل هذه الأسئلة عنها ومركزة على ما سيحدث! لا مبرر له لتجاهله لرسالتها لتوسلاتها تلك:

إنه المذنب الوحيد بما حدث! لقد تهرب من تحمل نتيجة خطئه وتركها وحدها تصارع الحياة وهي بعد في السابعة عشر من العمر ومع طفل لم يرى بعد النورا. وصلوا اخيراً إلى «قصر النجمة» وكان الطقس بارداً والغيوم تغطي وجه السماء لكن لم يكن من أمطار ولا رياح.

نظر جيمي إلى القصر الرائع بإعجاب وقال:

«هل تسكن هنا سيد روبرت؟»

«الم تنفق على ان تنسى كلمة سيد هذه؟» عنقه

روبرت بركة:

«روبرت فقط ستكون جيدة... حالياً على الأقل تابع وهو يرمق ناتالي بنظرة فهمت معناها تماماً.
 «إنه قصر اليس كذلك؟» هتف جيمي بإثارة وهو ينزل من السيارة.
 «أجل إنه كذلك وأتمنى أن يعجبك من الداخل تماماً كإعجابك به من الخارج».
 سيعجبه! تمتعت ناتالي بنفسها وتذكرت سعادتها وهي طفلة بالتنقل داخل أرجاء القصر وقفزها على سلالعه وجلسها امام المدفأة الضخمة بإنتظار الكستناء التي كانت تتناولها دوماً مع روبرت في الشتاء.

- ١١ -

دخلوا وارتعشت ناتالي بقوة وتشاغلت بخلع معطفها حتى تمنع روبرت من رؤية الدمعتين اللتين تدحرجتا على وجنتها.

«ماما! اعادة صوت جيمي المثوق إلى الواقع:
 «هل استطيع الذهاب مع روبرت لاستكشاف معالم القصر؟»

«وستذهب بعد ذلك لاستكشاف الاسطيلات». قال روبرت بمرح قبل أن يتسنى الوقت لناتالي بالرد على سؤال ابنها.

«الاسطيلات؟» هتف جيمي بعدم تصديق:

نظرات روبرت وادركت ناتالي فوراً أنه قد حدد الوقت لاطلاع ابنه على حقيقة هويته وانتفض قلبها لذلك.

«ماما الغرف رائعة وآه لو تشاهدين برج الحمام ذاك، إنه كبرج القراصنة».

«أجل يا حبيبي» قالت ناتالي بصوت مخنوق وابتسامة صغيرة.

«جيمي» قال روبرت وهو يقترب من ناتالي ونبرة صوته جعلت جيمي ينظر إليه بتركيز كأنه قد ادرك أن شيئاً كبيراً كان سينطق.

«نحن - والدتك وأنا - عندنا شيء مهم نود أن نخبرك به...»

تجمدت ناتالي وأخذت أعصابها كلها ترتجف مدركة أن اللحظة التي كانت تخشاها قد حلت أخيراً. روبرت لن يدع أحدهم يغادر هذه الغرفة قبل أن يصبح جيمي عارفاً بكل الحقيقة.

«ناتالي» قال بهدوء وتصميم جعلها تستدير وتواجهه وإمتدت يده نحوها أمراً إياها بصمت للاقترب منه ومشاركته، مشاركته مواجهة كل شيء.

ابتلعت ريقها بصعوبة وابتعدت نظرتها عنه وهي تتجه نحوه بخطوات مخدرة وشعرت بذراعه تحيط بخصرها ويقربها منه أكثر. ثم عاد لينظر إلى ابنه الذي كان يدرس بفضول المشهد هذا.

«هل تقصد الاسطبلات حيث الخيول والأحصنة؟»

بالطبع، أجاب روبرت وهو يضحك:

«وهناك فرس صغير قد ولد قبل شهرين وسيناسبك تماماً لأن قدميك ستصلان إلى ركابه بسهولة».

«ماذا؟ صحيح؟» هتف جيمي والسعادة تشرق من عيونه.

هل سمعت ماما سيدعني روبرت أمتطي الفرس الصغير! لطالما رغبت بتعلم الفروسية».

«ستفعل ذلك يا حبيبي» قال روبرت باندفاع:

«وسأكون أنا نفسي استاذك فما رأيك» وركع قرب ابنه وعيونه تشعان بالحب.

«هذا رائع روبرت» قال جيمي بحماس وهو يعانق والده ويطيح قبله على وجنته:

«هذا رائع حقاً».

تجمعت الدموع مجدداً بأعماق عيون ناتالي للنظرة التي رأتها داخل عيون روبرت الذي نظر مطولاً لابنه ثم نهض وقال بصوت مبهور من شدة العاطفة:

«هيا إلى رحلة استكشاف القصر».

«هيا» هتف جيمي وأمسك بيد روبرت وسارا معاً أباً وابنه بخطوات منسجمة متشابهة عصرت قلب ناتالي التي سارت بدورها نحو غرفة الجلوس.

لحظات وانضما لها وقد عادت الجديبة لتسكن

ثم سمعت ناتالي صوت القنبلة التي اذهلتها والتي كانت كلمات روبرت القائلة:
«أريد الزواج من أمك جيمي. لكنها تصر أن علينا الحصول على موافقتك أولاً».
دارت الأرض أمام عيون ناتالي وكلماته الغير متوقعة والصادمة قد سلبت منها عقلها وكادت أن تسقط للضعف الذي شعرته بركبتها لولا أن روبرت شدد من قبضته على خصرها وابقاها مكانها ونظرتة لا تبعد عن وجه جيمي الذي اخذ يرمقهما فجأة بغرابة وسأل بكل برائة وطفولته:
«لماذا؟»

إيتشم روبرت وقال:

«لأنها المرأة الوحيدة بكل هذا العالم التي اردت الزواج منها» وتابع وعبون ناتالي مغمضة بانتظار الفأس التالية التي كانت ستسقط على مسامعها الا أنها سمعته يتابع ويقول:
«لأنني أحبها كثيراً وهي أيضاً تحبني كثيراً».
«هل تحببته؟» سألتها جيمي بتحدى عذائي وعبونه تبرقان بقوة.

«أنا...» لم يكن بإمكانها الرد. لقد فاجأها روبرت بإعلانه الزواج منها هذا والذي لم تتوقعه هي ولم يحضرها هو له. والذي كان دون شك قد خطط له اثناء

رحلة الذهاب إلى واشنطن وتذكرت كلماته:
«غير الام أحصل على الابن».

جيمي كان بانتظار ردها وهو يحدق بها بعبونه المطابقة لعبون والده.

«أجل» همست بإستسلام اخيراً مدركة تماماً أنها لا تملك أي خيار آخر. روبرت كان متمسكاً بالوصول إلى هدفه بكل الطرق كان يريد الحصول على ابنه بالقلب والجسد والروح والطريقة الوحيدة التي تمكنه من ذلك كانت تظاهره الحب العميق لوالدة طفله والا فإن جيمي سيكون دوماً مشككاً ولن يتأكد ابداً لماذا تجاهلهم والده لمدة ثمانية سنوات طويلة قبل أن يعود ويطلب به مجدداً.

«لماذا؟» عاد السؤال الطفولي البريء والحاد ليشق آذان روبرت وناتالي.

تركت ناتالي جانب روبرت واقتربت وركعت امام ابنها وامسكت بأكتافه وبدأت بعناية وهدوء:

«تذكر جيمي قبل سنوات حين سألتني حول المكان الذي ولدت وعشت أنا فيه؟»

طامطاً بصمت وعبونه الغاضبة مركزة على وجهها الشاحب.

«واخبرتك انني...» قالت بصعوبة:

«انني كنت اعيش في مكان يبعد عن واشنطن و...»

لم تزج نفسك حتى بإرسال الرد».

«رسالة؟» هتف بدهول:

«أنا لم أستلم أية رسالة منك».

«آه - توقف عن إدعاء البراءة روبرت ستابلتون».

قالت بحدة:

«بالطبع انت قد استلمتها»

«هل انت واثقة من انك قد ارسلتها؟»

«أجل بالتأكيد أنا واثقة» ردت بتأكيد.

فهي تذكر جيداً ذلك اليوم لقد كتبت له الرسالة بدموعها وتوسلته العودة ومساعدتها لأنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله! ذهبت إلى مكتب البريد بيوم ثلجي عاصف وادعت الرسالة بصندوق البريد أجل إنها واثقة من ذلك كتبتها بوجودها هنا

«أجل لقد أرسلتها» قالت بثقة:

«وأنت قد استلمتها».

«أنا لم استلم أية رسالة منك ناتالي» قال بحدة:

«لقد انتقلت من مقاطعة أونتاريو حيث بقيت لمدة شهر واحد وذهبت إلى فاننا ومنها إلى أماكن أخرى متفرقة حيث كانت فروع الشركة التي تمرنت بها. فكيف تكونين أكيدة انني قد استلمت الرسالة؟»

«أنا اعرف ذلك وحسب» قالت دون ان تفصح له عما قالته لها والدته ووالده من أن روبرت يشك بأن يكون

الطفل طفله من علاقته بفتاة من مستواها.

«حسناً...» قال بنفاذ صبر:

«أذن لفترض ان هناك رسالة وانك قد ارسلتها كما تؤكدين الم يخطر ببالك للحظة أن هناك احتمال الا تصلني رسالتك هذه؟»

«كلا» قالت بثقة غير مصدقة أن هذا كان يحدث فعلاً.

«فكري بهذا ناتالي» حثها بأناة:

«هل سبق لي وطوال سنين معرفتنا أن خذلتك؟»

«أنت فارسي المغوار وأنا حبيبتي إلى الأبد» تردد صدى صوتها المراهق بأفكارها ومعها صوته القاتل بصديق:

«أنت سبب وجودي وكل حياتي نانا».

كل هذا كان خطأ - كل شيء كان خاطئاً منذ البداية. حبهما وتناجيه الهدامة..

لكن ما كان عليها الرجل. هذا ما تعرفه وتدركه هي الآن. كان عليها الصمود وإجبار روبرت على تحمل مسؤولياته بدلاً من ترك زمام الأمور لوالديه المتعسفين. «أسفة» قالت بهدوء الآن وقلبيها يتصلب ضدّه مجدداً:

«أنا لا أصدقك وكل هذا لا يهم الآن، لأن وقت تصحيح الخطأ قد فات - فات منذ زمن بعيد» تابعت

أي شيء عنك أو حتى معرفة أنك كنت موجوداً؟
«كان بإمكانه محاولة إيجادك» قال جيمي بتعاسة:
«إذا كان يحبك كما تقولين فكان عليه محاولة
إيجادنا».

«لقد حاولت» قال وعيونه تحدقان بوجه ابنه:
«لقد حاولت ولسنوات إيجاد والدتك لكنها كما يبدو
كانت قد تبخرت عن وجه الأرض! لأن أحداً لم يراها
أو يسمع أي شيء عنها منذ أن رحلت عنا».
«عنا؟» سأل جيمي وعقله الصغير يعمل بحدة
متمسكاً بكل كلمة كانت تقدم اليه للحصول على
الحقيقة. الحقيقة الكاملة.
«أنا وعمّة والدتك التي ربتها بعد أن توفت جدتك
الحقيقية بعد ولادة أمك بوقت قصير».

توسعت عيون جيمي وهتف:
«أنا عندي جدة أيضاً؟»

ورمى نانالي بنظرة اتهام هائلة.
نهضت نانالي على أقدامها مدركة أن عليها التصرف
قبل أن يفلت زمام السيطرة على جيمي الذي قد تقبل
الحقائق حتى الآن بطريقة ناضجة ادهشتها. لقد أفهمته
منذ سنواته المبكرة أن والده لا يعرف شيئاً عنه وبدأ
أنه قد تقبل ذلك ولكن الآن قد توضح كل شيء لها.
نظرات الألم العميق والكلمات الحارة التي تصدر من

جيمي، ابنها دلّتها أنه كان يتساءل طوال الوقت عن
والده، عن الأسباب والأسباب التي تمنعه من العودة
اليهما، متوصلاً بعقله الطفولي إلى استنتاجات قاسية
وفارغة جعلته بالتالي يرمي بكل هذه التهم الآن.

كل هذه السنوات، ادركت نانالي بذنب، كان ابنها
المسكين يتضور لحب والده دون أن تشعر هي بذلك!
بطء إنجهد نحو ابنها وأمسكته بقوة من يده وأجلسته
على الكرسي وقالت:

«إجلس، من الأسهل لجيمي ألا يلومه أحداً بأية
طريقة كانت». قالت موجهة كلامها إلى روبرت الذي
جلس على الكرسي المقابل لهما وعيونه مركزة على
وجه ابنه الراض.

تابعت نانالي موجهة حديثها إلى ابنها:

«إسمعني جيمي، أعرف أن كل هذا سبب لك
الصدمة لكن يجب عليك أن تسمح لي بشرح القصة
بأكملها قبل أن تبدأ بإصدار الأحكام...»

وبدأت نانالي بهدوء وببطء بالقصة من النقطة الأسهل
والتي بدأت بقراءتها للجريدة ومرض عمته.
«لكنك لم تخبريني أبداً أن لك عمّة!» صاح جيمي
متهماً إياها مجدداً.

«أعرف...» قالت وهي تمسك يده:

«لقد حدث بيننا شجار كبير وأنا - أنا هربت».

«ويغيب الوقت هربث منه؟» سأل جيمي ورأسه ينحني قليلاً بإتجاه روبرت.

«أجل» اعترفت:

«وكوني شخصاً شديداً الكبرياء جيمي، أنا لم أتصل بأي منهما أبداً بعد رجيلي».

«وهل اردت أن تفعل؟» سألها بفضول.

«آه، أجل» همست بإرتعاش وهي تتذكر لحظات المرارة والوحدة التي كانت تدفعها للتخلي عن كبريائها والاتصال مجدداً بروبرت.

«بعض الأحيان...» قالت بخفة.

«وهل هي مريضة جداً؟»

«أجل مريضة جداً» ردت ناتالي بتعاطف:

«لكن صحتها تتحسن بإستمرار وستستفيق من البنج هذا المساء».

تحرك جيمي بعدم إرتياح على مقعده وقال:

«وهل تعرف هي عني؟»

«أجل، هي تعرف» ردت ناتالي وقد علمت أنها سألت فور زوال النوبة القلبية عنها وعن حفيدها وشدت ناتالي على يد ابنها بحب وقالت:

«وهي ترغب بشدة برؤيتك والتعرف اليك».

«لكن علينا أولاً حل المشكلة المتعلقة بي، ورغبتني بالزواج من والدتك وأن أكون الوالد الذي يفترض بي

أن أكونه لك، جيمي». قال روبرت بهدوء.

وتحول كل إلتباه جيمي وناتالي إلى وجه روبرت الهادئ.

«هل تعرف انت عمة ماما - جدتي؟» سأل جيمي بفضول وادرك روبرت رغبة ابنه العميقة بالتحدث عن هذه العمة أو الجدة لتحاشي التحدث بموضوعه هو موضوع الأب.

«روبرت كان يعتني بها من أجلنا جيمي» ردت ناتالي بهدوء.

«حقاً؟» سأل جيمي وقد أثرت عليه هذه الملاحظة وجعلته ينظر إلى والده بإحترام:

«هل ستحبني هي، هل تعتقد ذلك؟»

ظهر شيء ما على وجه روبرت وطمان ابنه بشدة وحنان:

«أعتقد أنها ستحبك من أول نظرة - أنت تبدو كثير الشبه بوالدتك وهي ستحبك على الفور».

«كلا، هذا ليس صحيحاً رفض جيمي بقوة وقال بإتهام وهو يبعد نظره عن روبرت:

«أنا أبدو مثلك أنت».

«ليس بإبتسامتك» اخبره روبرت:

«إبتسامتك مماثلة تماماً لإبتسامة والدتك - الإبتسامة الواسعة والدافئة والتي وقعت بحبها مذ كانت هي بمثل

عمرِكَ أو حتى أصغر قليلاً.

«ما دمت تحبها فلماذا تركتها؟» سأله جيمي بإصرار.
«لأنه كان علي السفر إلى كندا، لأعمل هناك لمدة
سنة» أجابه روبرت بثبات:

«لكن، فيما كنت أنا هناك، اكتشفت والدتك أنها
حامل بك ولهذا فقد كتبت لي رسالة تخبرني بها كل
شيء عنك وتطلب مني العودة اليكما - أنا فقط لم
أتسلم رسالتها وبالتالي حين لم تستلم هي رداً مني
إعتقدت والدتك أنني لم أعد أهتم لها ولهذا فقد
هربت. أنا لا ألومها لا شك أنها كانت تشعر بالألم
الشديد وبالغضب الكبير. وأنت أيضاً لا يجب أن
تلومها جيمي، لا شك أن ذلك كان أكثر الأوقات خوفاً
وهلعاً لها، لكنها رغم ذلك تمكنت أن تعتني بك
بنفسها وقد أحبتك واهتمت بك وجعلتك صبيّاً رائعاً
يشعر كل رجل بالفخر والسعادة لتكون ابنه».

اذن عليه التوضيح له بهذه الطريقة الفضلى؟ فكرت
نانالي وهي تحديق بيدها الممسكة بيد إبنها وتقبلت
بجفاف أن هذه قد تكون فعلاً الطريقة الوحيدة -
والفضلى. على الأقل توضيح روبرت لم يسيء لأي
شخص كما وأنه لم يؤدي موقع جيمي بكل ذلك.

«لكننا الآن قد وجدنا بعضنا البعض» تابع روبرت
بعد فترة صمت صغيرة حتى يتيح لابنه استيعاب ما قاله

له:

«وأنا أريد أن أعوض لكما سوياً عن السنوات الثمانية
السابقة. وأريد أن نصبح مجدداً العائلة التي كنا
سنكونها لو أن رسالة والدتك قد وصلتني».
«وأين سنعيش؟»

كان يريحه: لاحظت نانالي بألم ببطء وعناية يريح
إبنها.

«هنا في هذا القصر» رد روبرت بهدوء:

«هذا سيعني الكثير من التغيير لكل واحد قينا، لكني
أعتقد أنه إذا حاولنا بجهد وبأفضل ما لدينا فإن بإمكاننا
أن نكون سعداء».

حين لم يرفض الفتى ما كان يقوله له والده تماماً فقد
انحنى روبرت إلى الأمام مركزاً كل اهتمام جيمي عليه
ونظرته الرمادية مرتكزة على النظرة الرمادية الصغيرة.

«ستكون لك غرفتك الخاصة وجناحك الخاص جيمي
وساملاً لك بكل ما تريد وترغب وهناك بحيرة رائعة
خلف القصر ونهر طويل حيث كانت والدتك...»

«هل هناك سمك في النهر؟» قاطعه جيمي بلهفة
وادركت نانالي أن روبرت قد كسب ود جيمي.

طأطأ روبرت رأسه وإبتسم قائلاً:

«ما يكفي من السمك حتى تصطاد كل يوم حتى
تصبح بمثل عمري أنا دون أن يتقلص عدد الأسماك -

هل تحب اصطياد السمك؟

«آه، أجل» رد جيمي بحماس:

«العم مارك كان يأخذني وطني وقد انزلت قدمه مرة وسقط وسط المياه» نحن نذهب دوماً للتصيد اثناء العطل المدرسية»

«حسناً إذن سنذهب للتصيد كلما رغبت بذلك ويعد انتهاك من فروضك المدرسية بالطبع و...»

«وهل سأذهب إلى مدرسة جديدة هنا؟» سأل جيمي والتقطعية تعلو جبينه.

«أجل بالطبع» أجاب والده بهدوء:

«لكنها ستكون نفس المدرسة التي ذهبت إليها والدتك وذهب إليها والدك حين كانا يمثل سنك. واسمع ما رأيك أن ندعو الأولاد الذين يمثل سنك إلى حفلة كبرى هنا حتى يتسنى لك التعرف عليهم قبل ذهابك إلى المدرسة؟»

هز جيمي برأسه وقال:

«تبدو هذه فكرة جيدة!»

«أجل وسأحضر لك كل المهرجين والسحرة الموجودين في أشلي الآن بسبب الاستعراض الكبير وستكون أنت صاحب الحفلة والمسؤول عن ترتيبها فما رأيك؟»

صفق جيمي بيديه وقال:

«أجل سأفعل» صمت للحظات مفكرة ثم سأل:

«روبرت... بابا هل تحبني حقاً؟»

التمعت عيون روبرت بدموع الحب والصدق وعانق ابنه بكل حب وقال:

«أجل يا حبيبي أحبك أكثر من أي شيء في هذا العالم... أحبك وسأظل هكذا إلى الأبد».

ويبدو أن حدس العنبي واحساسه اخبراه أن روبرت الرجل الغريب الذي قابله هذا الصباح والذي اكتشف أنه والده الذي كان يفتش عنه ويتساءل عن سبب اختفائه كان يقول الحقيقة فقد لبس له جيمي إبتسامته الدافئة الرائعة وقال:

«وأنا أيضاً سأحبك كما أحب أمي» ثم عانق والدته التي أخذت تبكي من شدة التأثر.

«ما رأيك الآن بالذهاب إلى المطبخ لتناول فطيرة التفاح التي حضرتها السيدة فالو لك خصيصاً؟»

«همم سأفعل حالاً». يبدو أن السيدة فالو ساحرة فقد عرفت ما الذي أفضله من الحلوى. تمتع جيمي بطقولة بريئة.

«هذا لأن والدتك وأنا نفضل هذا النوع من الحلوى منذ الصغر اليس كذلك نانالي؟» سألها وعيونها تضحكان لها.

فطاطات برأسها موافقة وراقبت جيمي وهو يخرج من

الغرفة متجهاً إلى المطبخ.

ثم السيطرة الكبيرة التي كانت تمارسها على اعصابها منذ الصباح ثلاث وأخذت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها الذي خيأته بين يديها وشعرت بعد ذلك بذراعي روبرت تحيطانها وتربتان على شعرها وتشدانها إلى صدره حيث كان ملجأها الدائم.

«لقد اقتلعتني مجدداً من جذوري روبرت» قالت بعد أن خفت دموعها:

«لقد عملت جاهدة للوصول إلى كل ذلك روبرت، منزلي عملي الاحترام الذاتي الذي عملت بجهد خارق للحصول عليه».

وأنت تعتقدين انني سأحرمك من كل ذلك ناتالي» قال وصوته يداعب جبينها.

«أنت تريد الانتقام».

«أنا أريد ناتالي» قال بصديق:

«ناتالي التي لم يكن من الواجب ابتعادها عني منذ البداية» رفع ذقنها إليه وحقق بعيونها وقال:

«الانتقام هو لمن يشعر بالمرارة وأنا لا أشعر بها ناتالي، أنا فقط أشعر بالغضب» قال بتنهيد:

«بالغضب لانني قد خسرت الكثير الكثير فقط لأن رسالتك اليتيمة تلك لم تصلني».

تصلبت بين ذراعيه لرفضه المستمر لاستلامه

لرسالتها.

«أنت لا تزالين لا تصدقيني اليس كذلك؟» قال عبر أسنانه المصطكة:

«ماذا علي أن أفعل لأجعلك تصدقي ذلك. أنا لم استلم رسالتك أيتها المعتومة. حين لم تصلني بي ولم يصلني منك أي رسالة أدركت أن هناك خطب ما فتركت كندا وعدت إلى آشلي بعد أربعة أشهر من سفري. وصعقت حين لم أجذك ولم يخبرني أحد عن مكان تواجدك وقال الجميع أنهم لا يعرفوا إلى أين ذهبت. وقد قضيت شهراً طويلاً وأنا أفتش عنك لإدراكي أن مصاباً قد حدث وجعلك تهربين بهذه الطريقة لكني لم أجذك ولم أجد أي أثر لك...»

«أرجوك توقف عن إعادة الماضي» قالت وهي تسد أذنيها:

«مهما قلت فإنني لن أصدقك لقد أرسلت رسالتي ولم يكن يعرف أي أحد بأمرها ولا حتى عمتي فكيف عرف والدك إذن بأمرها وبما هو محتواها إذا لم تكن أنت من اطلعه عليها؟ لقد اخبرني بوضوح أنك تنكر أن تكون أنت والد الطفل وأمرني بإجهاضه والا فإنه سيرمي بي وعمتي في الشارع...»

وضع روبرت يده على قمها بذهول وقال:

«ماذا؟ والذي؟ عرف بأمرها؟ هيا ناتالي اخبريني ما

الذي حدث وكيف أرسلت الرسالة؟» سأل بلهفة شديدة
اذهلت ناتالي.

الا إنها هي قالت:

«لا فائدة من ذلك الآن لقد...».

هزها روبرت بشدة وقال:

«اللعنة عليك! أخبريني كل ما حدث
وبالتفصيل...»

سعلت ناتالي قليلاً لتوضح صوتها وأعدت والالم
يعتصر قلبها ذكرى إيصالها للرسالة إلى مكتب البريد.

القدر والقدر وحده جعلها تذكر لروبرت رؤيتها للسائق
الخاص بوالده هناك نهض روبرت من مكانه كالصاعقة
حين وصلت بسردها إلى هذه النقطة وتعبير غامض يبرق
داخل عينونه. هتف:

«هل قلت جان سائق والذي قد شاهدك هناك؟؟»

نظرت إليه بحيرة وقالت:

«أجل لقد شاهدني وأنا أدخل مكتب البريد وشاهدني
وأنا أسلم الرسالة للساعي!... وماذا في هذا؟»

«في هذا كل شيء. أيتها البلهاء الغبية» صاح وهو
يغادر الغرفة بسرعة وكان شيطان يلاحقه:

«بهذا كل شيء! انتظري هنا ناتالي سأعود حالاً».

جلست ناتالي مكانها والحيرة تلفها وأخذت تحاول
ضمن الضباب المسيطر على عقلها التوصل إلى تحليل

ما يبرر تصرف روبرت هذا. لكن ظروف وأحداث اليوم
وما حدث مع سردها لذكرى ألمها ومرارتها أثناء
إرسالها لتلك الرسالة منعها من التفكير بوضوح. وحين
عاد روبرت إلى الغرفة مجدداً برفقة رجل عجز عرفت
ناتالي فوراً أنه جان سائق والده السابق ازدادت حيرتها
وأخذت تحديق روبرت وعيونها متوسعة باستفسار.
دفع روبرت الرجل الآخر ببعض القسوة الخفيفة
وقال:

«هيا تكلم قل كل شيء».

«آسف ناتالي إذا ما كنت قد تسببت لك بالنعاسة من
جاء تصرف طائش قمت به بوحى من إخلاصي وتقاني
بخدمة السيد ستابلتون الوالد» بدأ السائق السابق بالقول
وملامح الأسف واضحة عليه:

«لكنني أقسم لك أنني لم أعتقد للحظة واحدة أن ما
قمت به كان سيصبح السبب الأساسي لكل ما حدث
فقد...»

«جان توقف عن المقدمات وأدخل بصلب الموضوع
فوراً» أمره روبرت مقاطعاً إياه بنفاذ صبر وعيونته تبرقان
بشدة.

«حسناً» قال جان وصرح بنظره إلى البعيد إلى ثمانية
سنوات مضت وقال:

«ذلك اليوم العاصف الماطر كنت أمر بطريقي قرب

مكتب البريد لأن السيد ستابلتون كان قد أرسلني لإحضار بعض الحبوب من محل جاردني الملاصق لمكتب البريد. كنت قد إشتريت ما أوصاني به السيد وبطريق مغادرتي للمحل حين شاهدتك ناتالي قال دون أن ينظر إليها وتابع:

«بمعطفك الوافي من المطر ووجهك المبلل بالمطر تدخليين مكتب البريد وتسلمين رسالة ما إلى الموظف الخاص الذي وضع الرسالة بالتالي في الصندوق استعداداً لإرسالها في الصباح الباكر مع بقية الرسائل والطرود». صمت قليلاً وكأنه قد تعب من الذكرى ثم تابع:

«لسبب ما ارتأيت أنه من الواجب علي إطلاع السيد ستابلتون على هذا الأمر. فجميعنا كان يعرف أن ناتالي كانت وحيدة ولا أحد لها في الدنيا سوى عمته وهكذا فلمن سترسل رسالتها الا للسيد روبرت والذي كنت قد لاحظت وجود شيء ما بينكما»

صمت مجدداً وتصلبت أوصال ناتالي وقد بدأت خيوط الحقيقة تتوضح أمامها ولم تستطع الا البقاء مكانها والتحديق بعيون متوسعة بالرجل الواقف أمامها الذي تابع:

«وهذا ما حدث فعلاً لقد عدت إلى القصر وأطلعت السيد على ما شاهدت جن جنون السيد ستابلتون

لمعرفته بهذا وأخذ يشتم ويهدد ويتوعد ثم أمرني بإيصاله إلى مكتب البريد فوراً.

نفذت الأمر دخل هو المكتب وبعد حوالي النصف ساعة خرج وبيده رسالة مغلقة. لا شك أنه قد أستعمل نفوذه وسلطته وكذلك تهديده حتى تمكن من سحب الرسالة... رسالتك من الصندوق والتي كانت معنونة ومرسلة إلى السيد روبرت في كندا... صمت مجدداً ولم تشعر ناتالي الا والدموع الحارة تغسل وجهها وهي تسمعه يتابع:

«السيد ستابلتون لم يفتح الرسالة ويقرأها في السيارة بل ظل يتفاخر وامارات السرور والاكتفاء بادية على كل محياه من أنه سينقل ابنه من بين يران صاندي الثروة وأنه لن يدع أي شيء يقف في طريق سعادة ونجاح السيد روبرت. هذا هو كل ما حدث وحين هربت من البلدة بعد ذلك بأسبوع لم يخطر ببالي أبداً أن إطلاعي على ما شاهدت للسيد ستابلتون كان له أي يد بذلك».

نظر إليها الآن بعيون يملؤها الندم والأسف الصادق وقال بصوت ضعيف:

«ناتالي... سامحيني إذا ما كنت قد أسأت اليك فقد كنت أقوم بواجباتي وما يمليه علي عملي بخدمة السيد بصدق و... تلاشى صوته ورأت ناتالي ضمن دموعها دمعة تندرج على خده.

فأجبرت نفسها على التطق ومدت يدها لثريت على
كتف الرجل العجوز وتقول:

«لا بأس... انسي اسامحك فأنت لم تقصد
الأذية... و... وبيدوه تابعت وهي ترفع عيونها
الباكية إلى روبرت وتقول:

«يدو أن الذنب هو ذنبي أنا منذ البداية...»

غادر الرجل الغرفة وظلت هي مكانها وعيونها لا
تبتعد عن وجه روبرت ودموعها تساق على وجهها
بصمت.

مد روبرت يده إليها ورأت شفاهه تبتسم بتلك
الابتسامة الدافئة التي كانت معتادة على رؤيتها فسارت
إليه، سارت إليه وقلبيها في عيونها وأخفت وجهها في
صدره وأخذت تنتحب وتنتحب ماسحة ذكرى كل
المرارة والألم والحزن.

«آه روبرت... آه! ماذا فعلت!... لكم كنت
غبية... لاعتقادي للحظة... انك قد خذلتي و...
إنك قد تخليت عني... لكن... لكني كنت خائفة
جداً وصغيرة...»

وضع روبرت يده على فمها وتلاّلت الدموع داخل
أعماق عيون الرمادية وقال بحنان:

«يكفي نانا! لا تقولي أي شيء آخر... أنا أفهم
جيداً كل ما تقوله... أعرف تماماً ما الذي شعرت به

وما الذي مررت به... حتى أن لومي وغضبي منك
لابعادك ابني عني طوال هذه السنوات قد تبخر الآن
وتلاشى... ما يهمني الآن اثني قد وجدتك ووجدت
جيمي و... عادت شمس حياتي لشرق مجدداً حدق
عميقاً بعيونها ثم انخفض وقبل شفاهها برقة وحنان
غريب وهمس:

«أنا أحبك نانا، لطالما كنت أحبك وسأظل أحبك
طوال حياتي. أحبك، ولم أتوقف عن حبك للحظة
واحدة.»

التصقت ناتالي به وشعرت أن حياتها قد بدأت الآن
ورفعت إليه وجهها وعيونها تشع وكيانها كله يصرخ
بحبه وتطق لسانها بذلك وقالت:

«آه روبرت أنا أحبك مذ فتحت عيني على هذه
الدنيا، أحبك البارحة وأحبك اليوم وأحبك غداً فأنت
رمز وجودي ومعنى حياتي... مجرد وجودي هنا بين
ذراعيك يجعلني أنسى كل ألم كل مرارة مرت بي
وجودك قربي يبهج قلبي ويبعث الحياة داخلي و...»

وأسكتها بالطريقة التي يسكت بها أي رجل عاشق فم
حبيته ويقف سيل العبارات الحارة بتثيتها بالمشاعر
الحارة التي تفوق الوصف.

ومن المستشفى ومن غرفة العناية الفائقة حيث بدأ
مشوار ناتالي بالعودة إلى الماضي بدأت مجدداً رحلة

حياة ناتالي المشرقة والناضجة بسعادة الكون. فقد تعافت عمتها وكانت دموعها وهي تقابل جيمي وناتالي تغسل كل الآلام والأحزان التي مروا جميعاً بها بسبب القدر وأخطاء البشر.

حفلة زفاف روبرت وناتالي كانت أكبر حفلة تقام في آشلبي منذ سنوات وسنوات وازدانت قاعات القصر وحدائقه بالزينة والأنوار وكان أهل البلدة بأجمعهم هم المدعوون. وحدها كارولين بوشيه لم تحضر فقد أدركت أن الهدف الذي كانت تخطط له منذ سنوات وتحاول الوصول إليه قد تبخر وأصبح يعرمى امرأة أخرى. شعرت ناتالي ببعض التعاطف معها لكنها أدركت أنها ستتخطى هذا الأمر لاحقاً لأنه ومنذ البداية كان عليها أن تدرك أن روبرت لم يكن لها وأنه كان منذ البداية مرتبطاً بحب ناتالي وبحبها له وأن القدر كان رحوماً بالنهاية بجمع شملهما معاً.

«لن يفرقنا أي شيء الآن يا حبيبتي» قال لها وكل الحب يلصق في عيونه.

«لكن كل تلك السنوات الضائعة روبرت...» قالت وهي تعانقه.

«إنسيها - إنسيها تماماً» أمرها بلطف:

«لقد ذهبت ومضت والتحسر على ما مضى قد يحرمنا من السعادة القادمة لتلفنا بذراعيها، إنسيها

ناتالي، اخرجيها من عقلك وروحك. لقد سجننا في النهاية وهذا هو كل ما بهم. انظري إلى جيمي وإلى السعادة التي تقفز من عيونه لرؤيتنا معاً. ستعوض كل ما فات وستكون أيامنا القادمة أيام حب وسعادة...»

كانت هي من رفعت شفاها إلى هذه المرة واخبرته قبلتها أنها فعلاً قد نست كل ما حدث وحين إقترب جيمي منهما مهماً ولسان حاله يقول:

«أحم، نحن هنا».

ضحك روبرت وناتالي وعانقاه سوياً بسعادة وعيون الجميع ترمقهم بإبتسام وبالذات عيون العمة سابرين التي كانت تبكي بسعادة لرؤيتها أخيراً للحب يرفرف على الثلاثة الأحب إلى قلبها ناتالي وجيمي وروبرت ستايلتون.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^